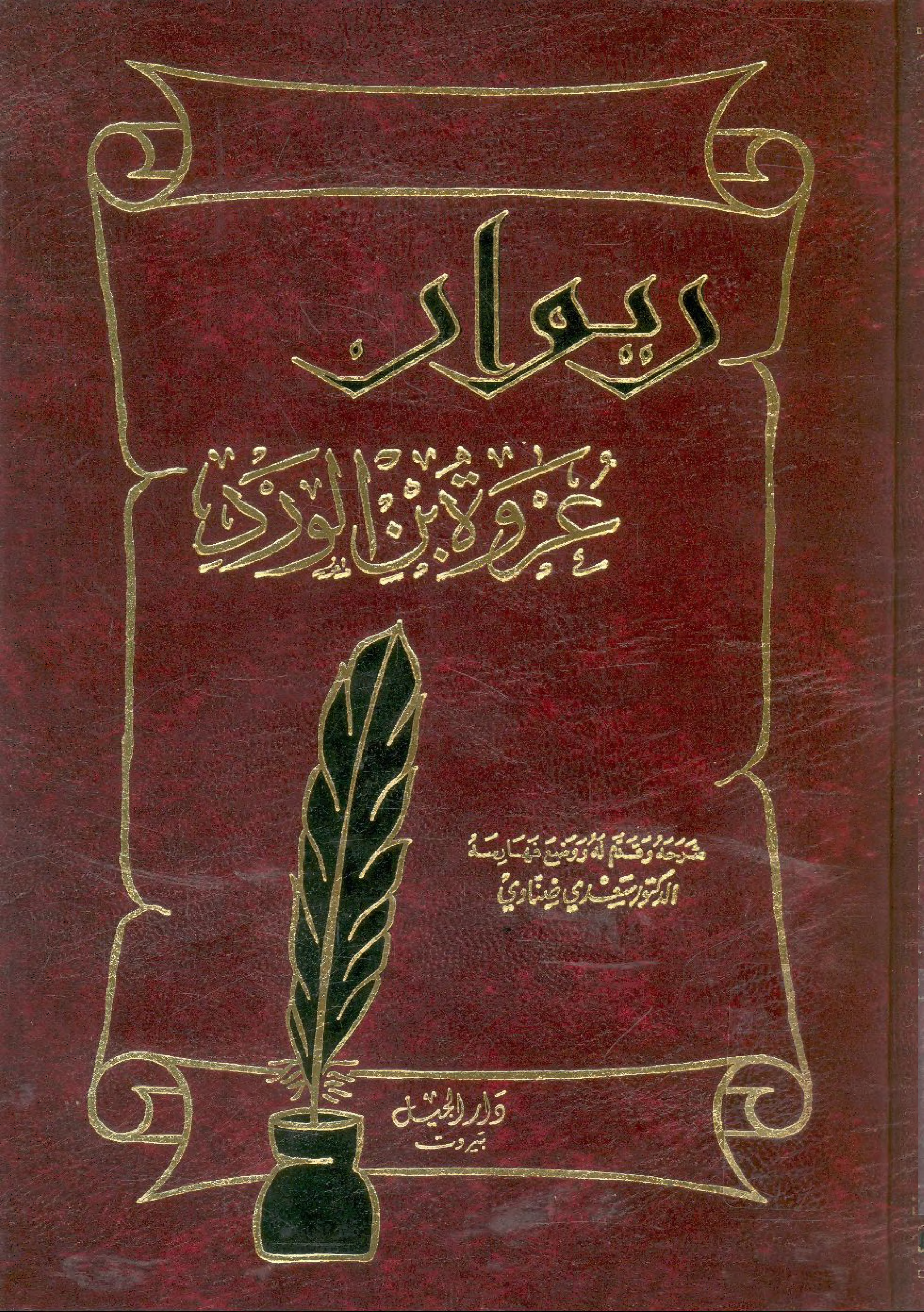

ديوان
عُرْوَةَ ابْنِ الوَرْدِ
شرحه وقدّم له ووضع فهارسه
الدكتور سعدي ضناوي
دار الجيل
بيروت

ديوان
عروة بن الورد

دِيوَانُ
عُرْوَةَ بْنِ الوَرْدِ

شَرَحَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَوَضَعَ فَهَارِسَهُ
الدكتور سَعْدي ضِنَّاوي

دارُ الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

«إنّي رَأيْتُ أنّهُ لا يَكتُبُ أحَدٌ كِتاباً في يَوْمِهِ إلّا قالَ في غَدِهِ: لَوْ غُيِّرَ هٰذا لَكانَ أحْسَنَ، وَلَوْ زِيْدَ هٰذا لَكانَ يُسْتَحْسَن، وَلَوْ قُدِّمَ هٰذا لَكانَ أفْضَل، وَلَوْ تُرِكَ هٰذا لَكانَ أجْمَل. وَهٰذا مِن أعْظَمِ العِبَر، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلى استِيلاءِ النَّقْصِ عَلى جُمْلَةِ البَشَر».

العماد الأصفهاني

حركة الصعلكة في العصر الجاهلي

حركة الصعلكة في العصر الجاهلي

١ ـــ الانتماء الاجتماعي

كان العرب، شأن سائر الشعوب البدائية التي عاشت قبائل وعشائر، مجموعةً من المجتمعات يجمعها، داخلياً، رابطة الدم والعصب[1]، ويربطها، خارجياً بعضَها بالبعض الآخر، علاقاتُ التآلفِ أو التنافسِ والصراع. وكان كل مجتمع من هذه المجموعة يقوى بأفراده وهم يقوون به[2] : ان قوته تكبُر مع ازدياد عدد الشبان

(١) الرابطة الأساسية هي رابطة الدم، والولاء أبوي عن طريق الذكور. وقد تمنى العربي انجاب الكثير من الذكور لتقوى بهم شوكته في جماعته. يقول ابن خلدون : « اعلم ان كل حي او بطن من القبائل، وإن كانوا عصبةً واحدة، لنسبِهم العام، ففيهم ايضاً عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاماً من النسب العام لهم، مثل عشير واحد وأهل بيت واحد واخوة بني أب واحد، لا مثل بني العم الأقربين والأبعدين...

والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل. ولما كانت الرياسة تكون بالغَلَب وجب أن تكون عصبةُ ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها وتتم الرياسة لأهلها... » المقدمة ج ٢ ص ٤٣٩.

(٢) يقول ابن خلدون : « ولا يصدُقُ دفاعُهم وذيادهم الا اذا كانوا عصبةً وأهلَ نسب واحد لأنهم بذلك تشتدّ شوكتُهم ويُخشى جانبهم. » المقدمة ج ٢ ص ٤٢٣ =

الأقوياء فيه. والفردُ المنتمي الى جماعة كبيرة معروفة بالبأس يشعرُ بقوّتِهِ مضاعفةً ومعها منعةً وهيبة. وذلك يعود الى التركيب الداخلي للجماعة القائم على قاعدتين : الفرد للجماعة، والجماعة للفرد.

فانتماء الفرد الى جماعة، عائلية أو قبلية، يفرض عليه الذوبان في خضمّها، معتدّاً مصالحَها مصالحَ ذاتيةً له. والانتماء هذا يفرض عليه كذلك أن يكون حاضراً، عند كل طلب من الجماعة، مستعداً للتضحية في سبيلها، كما يفرض عليه التقيدَ بجميع اعرافها وتقاليدها و« يرى أن خيرها من خيره وشرها من شره، يصادق من تصادق ويعادي من تعادي »[1].

وبالمقابل، فإن ما يميّز الجماعة العربية، عائلة كانت، أو عشيرة أو قبيلة...، هو استعداد الجماعة لتحمّل اوزار الفرد المذنب، والثأر للمغدور. إنّ أي عضوٍ من اعضاء الجماعة، يقترف خطأً أو يرتكب جريمةً بحقِ إنسان، يجعل الجماعة بكاملها عرضةً لانتقام هذا الانسان المساءِ اليه، مدعوماً بجماعته.[2] ولم يكن غريباً

= ويقول امرؤ القيس :

بِعِزّهِـــــمُ عَزَزْتَ، فإن يَذِلّــــوا فَذُلُّهُـــمُ أنــالَكَ ما أنـــالا

(الديوان ص ١٥٨)

ويقول دريدُ بن الصِمة :

وهـل أنـا إلا من غُزِيَّــةَ، إن غَوَتْ غَوَيْتُ، وإن تَرْشُدْ غُزَيَّـــةُ أَرْشُدِ

(الحماسة ج ١ ص ٣٣٣)

(١) قصة الادب في العالم ج ١ ص ٣٥٥.

(٢) لم يكن العربي يتهاون في الثأر لكرامته أو لمقتل قريب له. وكانت الدية مكروهة الا في ظروف محدودة. ومن قصّر في واجب الثأر لبسه العار طوال حياته، وقد يورث عارَه أبناءَه فيظل العار عالقاً بِهم الى أن يغسلوه بالدم. ولعلّ افضل تمثيل لحياة العربي، بين واترٍ وموتور، ابيات دريد بن الصمة : =

أن لا يستهدف الثأرُ الفردَ المذنبَ، المغمور في قومه، وانما يستهدف سيدَ جماعته ليكون الانتقام أكبر وأبعد أثراً في النفوس.[1] هكذا تكون الاساءةُ مناسَبةً تجمع كلًا من الجماعتين حول المسيء أو المساء اليه وفق المبدأ المشهور : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ».

ويبدو مبدأُ الأخذِ بالثأر كأنه قام، في عالم الجاهلية، مقام القوانينِ العامة في البلدان المتطورة. فالقوانينُ العامة تُعاقبُ المذنبَ وتقتصّ منه، فيهابُها الناسُ ويبتعدون عن إحداث الأذى للآخرين خوفاً من ذيوله عليهم، فيكون بها الرَّدْعُ. والأخذُ بالثأر هو، كذلك، عقابٌ للمذنب واقتصاص منه، يعمل له الناسُ ألف حساب، ويبتعدون، قَدْرَ الامكان، عن الوقوع في دوّامته. فكم من قاتلٍ قضى عمرَه يهربُ من طالبي ثأر ضحيته، وكم من طالب ثأر بقي دهراً يُلاحقُ واتره، وقد حرّم على نفسه الخمر والطيبَ والنساء وجميع مباهج الدنيا،[2] الى أن يصل الى بُغيته ويطعنه قائلاً : خُذْها من يد فلانٍ بثأر فلان، أو يموت دون ذلك.

= فإمّــا تَرَينــــا، لا تزالُ دماؤنــــا ... لدى واترٍ يسعى بها آخِرَ الدهرِ
فإنّا لِلَحْمِ السيفِ، غيرَ نكيــرةٍ، ... ونُلحِمُهُ، حيناً، وليسَ بِذي نُكْــرِ
يُغــارُ علينَــا، واتريــنَ، فيُشتَفَــى ... بنـا إن أُصبنـا، أو نُغيرُ على وِتْـرِ
قَسَمنا، بِذاكَ، الدهرَ شَطْرَينِ بَيننـا : ... فما ينقضي إلا ونحنُ على شَطْـرِ.

(المجاني الحديثة ج ١ ص ٣٢٠)

(١) قال الحرث بن زيد الخيل :

لا تجزعـــي يا أمَّ أوسٍ فإنمــــا ... تُصيبُ المنايا كُلَّ حافٍ وذي نعلِ
قتلنا، بقتلانا، مِنَ القـــوم، ضَمَّـــةً ... كراماً ولم نأكُلْ بهم حَشَفَ النخلِ

(الحماسة ج ١ ص ٣٥١)

(٢) يقول المهلهل :

عَزَّ، واللهِ، يا كُلَـــيبُ علينــــا ... أن ترى هامتـــي دِهانـــاً وكُحـــلا

(ديوان المراقسة ص ٢٨٩)

وليست العصبية العائلية أو القبلية غير هذه النصرة للظالم أو المظلوم من ابناء الجماعة، مع احساس مشترك، لدى جميع أعضائها، بوحدتهم،[1] من جهة، وبتميزهم، من جهة أخرى، عن سائر الناس في سائر الجماعات. ولعل هذا ما يجعل العصبية حاجزاً يقف في وجه ائتلاف الجماعات وانتظامها في وحدةٍ كبرى تتابع هدفاً مشتركاً.[2]

ونحن، في هذه العجالة من البحث في موضوع يمكن أن يستنفد المجلدات، ننبّه الى أن الأمور لم تكن تجري واقعياً بهذه البساطة والغيريّة والروح الجماعية، بل عكسُ ذلك هو الصحيح. فالمعروف عن البدوي أنه أنانيٌ لا يرى الا ذاته ولا يحترم الا حقوقه، ولا يعترف بقيمةٍ لعمل الآخرين وجهدِهم[3]. وبالمقابل، فان العشيرة أو القبيلة ليست معنية كلُها بأخذ ثأر المقتول، لكن المعنيين هم اقرباؤه من أولاد واخوة واولاد أخ وعم. والقبيلة تقدّم لهم مساعدتها ودعمَها، وأحياناً لا تجد مفراً من الاصطلاء بنار العداوة التي تورثها الجريمة. لذلك فهي لا تتحمل اوزار

---

(١) يقول ابن خلدون : « وبها تكون الحماية والمدافعةُ والمطالبة، وكلُ أمر يُجتمع عليه. » (المقدمة ج ٢ ص ٤٢٤)

(٢) يقول فيليب حتي : « ان هذه الصفة الفردية اللاصقة التي اختصت بها العشيرة صورةٌ مكبّرة للاستقلال الفردي الذي يشعر به ابنُ العشيرة، وهي تحدو به الى الظن بأن العشيرة أو القبيلة، حسبما كان الحال، هي وحدةٌ اجتماعيةٌ قائمةٌ بذاتها، تذود عن حوضها، مطلقةَ الحرية، ولها أن تحسبَ كلَ عشيرةٍ أو قبيلةٍ أخرى لُقمةً سائغة وغنيمةً باردة، يحل لها فيها النهبُ والسلبُ والقتل. » تاريخ العرب مطول ج ١ ص ٣٥.

(٣) يصفه بطرس البستاني قائلاً :

« والبدوي، في أنانيته وامتلائه من شخصيته، يؤثر الخيرَ أبداً لنفسه، ويجمع الفضائل في ذاته، فإن أبتعد في تفكيره الى ابناء عشيرته فلأنه يجد في العصبية القبلية خيراً ومنفعة، حتى اذا امتنع هذا الخير ترك القبيلة وأنكرها، والتحق بغيرها لينتفع منها. » الشعراء الفرسان ص ١٦ و١٧.

المذنبين الى ما لا نهاية : فالشريرُ، الكثيرُ الجرائر، الذي لا يني يورث العداوات، ويثير الأحقاد ويُذكي الثارات، تحاول قبيلتُه أن تَردَعَه، فإن لم يرتدع تتخلى عنه وتخلعه فيصبح بلا انتماء.

٢ ـــ اللاانتماء والصعلكة

يترك الفرد قومه وعشيرته، في الغالب، لأنه يتخلّى عنهم أو لأنهم يتخلّون عنه.

يتخلى الفردُ عادةً عن جماعته اذا بَرِم بهم أو أَنِف من وضعهم أو نَقَم عليهم. فاذا كانت القبيلة حقيرة الشأن قليلة العدد، عُرِف افرادُها بضعفِ الهمة والقعود عن الحروب، يظلمُهم الجميعُ ولا يظلمون أحداً، أَنِفَ الشاعر الفارس أن ينتسب فيهم ويحيا حياتَهم. وقد يحاول استثارةَ نخوتهم فلا يستجيبون، ودَعوتَهم الى المعالي فيفضلون التمرّغَ في الأوحال، حينها لا يجد مناصاً من النقمة عليهم وتركهم[1]. وقد يجد الفرد نفسه وسط جماعةٍ تسعى الى تحقيق اغراض لا تعجبه، فيخالفُها الرأي، ويرحلُ عنها طلباً للبعد عن الأذى المتوقَّع. ويمثل الشنفري ذلك كله في بيتيه :

وفي الأرض منأىً للكريم عن الأذى ... وفيها، لِمَن خافَ القِلى، مُتَعَزَّلُ
لَعمرُكَ ما في الأرض ضيقٌ على امرئٍ ... سرى راغباً، أو راهباً، وهو يَعقِلُ[2]

وحين يترك الفردُ قَومَهُ الى غير رجعةٍ يكون أمامه طريقان : إما أن يبحث عن قبيلةٍ جديرة بأن يلتحق بنسبها عن طريق التبني، وإما أن يبقى وحيداً يقوم بغارات فردية على سالكي طرقِ الصحراء، ويروّعَ الأحياءَ الآمنةَ، وبذلك يغدو صعلوكاً.

أما تخلي القبيلة عن أحدِ أفرادها فهو مظهرٌ اجتماعيّ معروفٌ وله اسمٌ محدَّدٌ

---

(١) وقد يناصب اهله العداء فيكون شاطراً، من شَطَرَ: شطارةً « اذا نزح عنهم وتركهم مراغماً أو مخالفاً وأعياهم خبثاً. » (لسان العرب ج ٤ ص ٤٠٨ [شطر].

(٢) لامية العرب ص ١٤ و١٥.

هو « الخَلْع ». والجماعةُ تخلعُ من أفرادها مَنْ طُبع على الشرّ وعلى اقترافِ الآثام والموبِقاتِ وجَرِّ الجرائرِ عليها، حين تشعرُ بعجزها عن تحمُّل جرائره وبالمذلة والمهانةِ لما يلحق بها من سوء سمعته. وقد تنذره وتأمره بالتخلي عن سلوكه، فإن لم يفعل تَسحبُ منه هُويّته القبلية. « وليس من كارثة على البدوي أشرّ من خسرانه نَسَبَه القبلي. وماذا يفعل من لا قبيلة لَه في بلادٍ يُحسَب بها الغريبُ عدواً ؟ انه واقعٌ في شرٍّ مستطير. »[1]

« وكان الرجل منهم يأتي بابنه الى الموسم ويقول : ألا إني قد خلعتُ ابني هذا، فإن أَجَرَّ لم أَضمن، وإن جُرَّ عليه لم أَطلُب... فلا يؤخذ بجرائره »[2] أما الخليع[3]، فلا احد يقبل بتبنّيه، لذلك ليس أمامه خيارٌ غير الالتحاق بعالم الصعاليك[4].

---

(١) تاريخ العرب مطول ج ١ ص ٣٤.

(٢) بلوغ الأرب ج ٣ ص ٢٧.

(٣) جاء في لسان العرب مادة [خلع] :

« غُلام خليع : بيّن الخلاعة، وهو الذي قد خلعه أهلُه، فإن جنى لم يُطالَبوا بجنايته. والخليع : الرجل يجني الجنايات يؤخذ بها أولياؤه، فيتبرّأون منه ومن جنايته ويقولون : إنّا خلعنا فلاناً، فلا نأخذ أحداً بجناية تُجنى عليه، ولا نؤاخذ بجناياته التي يجنيها. » ج ٨ ص ٧٧.

(٤) هم المجموعة من الناس التي عاشت خارج الانتماءات المعروفة في عالم الجاهلية. وهم إما فئةٌ انطوت على فقرها تجترُّه بِذُلٍّ وسلبية، وإما فئةٌ ثائرةٌ استهدَفت الجماعات ذات الانتماء وراحت تُمعن نهشاً في جسدها. يصفها الدكتور محمد رجب النجار بأنها « وجهت نشاطها أساساً الى الهيئة الاجتماعية، وغايتها التمرد على النظام الاجتماعي والاقتصادي كفئة اجتماعية وجدت نفسها ضحية هذا النظام الجائر فلم تقبله، ورفضته، وتمرّدت عليه... وبدأ الصراع بين الجانبين، منذ أن وجد هؤلاء الخُلَعاءُ الصعاليكُ أنفسَهم خارجَ الشرائع والاعراف والتقاليد القبلية، محرومين من كل شيء... » حكايات الشطّار والعيّارين ص ١١٤.

هذه مظاهر للانتماءِ دائم. وقد عُرف الى جانبها مظهر للإنتماءِ مؤقت تفرضه الرحلةُ في طلب الغنى.

٣ ـــ التصعلك

أ ـــ مفهوم الملكية في عالم الصحراء : كان للنظرة الى الملكية لونٌ خاص في الجاهلية ؛ فما يملكه الانسان لا يقدِّس الآخرون حقَّهُ فيه، وليس هناك تشريعاتٌ مكتوبةٌ تَحفظُ الملكية لصاحبها، ولا أجهزةٌ مؤسسية عامة تسهر على تطبيق هذه التشريعات، لو قُيِّض لها الوجود.

إنّ من يملكُ المالَ يُحسّ أنه يتمتع بملكيةٍ رجراجةٍ غير مستقرة، لا يستطيع حمايتها الا بمنعتِهِ أو بقوةِ ساعدِهِ. ومع الاحساسِ بالملكية يعيش احساسٌ آخرُ بامكان فقدها، في كل لحظة. ومع احساس المحروم بـلاملكيته المال يعيش احساسٌ آخرُ بحقِّهِ فيه، وبامكان حصولِهِ عليه بوسيلة أو بأخرى[1]. وقد يكون هذا الشعورُ، لدى صاحب المال، بنوعٍ من حق للآخرين فيه، ولدى المحرومِ، بقِسطٍ له فيه، احدَ الحوافز التي كانت تسهّل على الكريم ممارسةَ كَرَمِهِ والتنازلَ عن ملكيته، لا مُرغماً مغلوباً على أمره، بل عن طيب خاطر، مُحصِّلاً بذلك حسنَ الصيت والمِنّةَ بدلاً من الخيبةِ والحسرة. وبالمقابل، فقد يكون ذلك مما يسهّل على المحتاج، وإن كان كريمَ النفس أبياً، أن يتقبل كرمَ الآخرين وضيافتَهم وقِراهم، دون أن يرى في ذلك غضاً من كرامته او انتقاصاً : إنه بعضٌ من حقِّهِ يعودُ اليه طائعاً.

---

(١) يقول الأحيمر السعدي :

وإنـي لأستحيـي لنـفسيَ ان أُرى　　أُمُــرُّ بحبـلٍ ليس فيــه بعيـــرُ
وأن أسألَ العبــدَ اللئيــمَ بعيـــرَهُ　　وبُعــرانُ ربــي في البــلاد كثيــرُ
(الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٩٢)

وهنا يكمن القربُ بين افكار العربي الجاهلي وبعض مبادئ الاشتراكية التي تنطلق من أن خيرات الطبيعة ملكٌ للجميع، ولكلٍ حقٌّ فيها لا يقل عن حق سواه.[1]

ب ـ الفقر والغنى : من المعروف أن شخصية البدوي سلبية تجاه ظروف الطبيعة والمعاش، تتقبّلها، وتتكيّف وإيّاها، وقلّما تحاول تحويرها وتطويرها. ولما كانت البيئةُ التي يعيش فيها البدويُّ هي الصحراء، « ذات المناخِ الحارِ والمواردِ الطبيعيةِ المحدودةِ المرتبطةِ بالمطرِ تجودُ به السماءُ في فتراتٍ غير منتظمة »،[2] ولما كان الجفاف والجدبُ يخيّمان على عالم البداوة معظم شهور السنة، لذلك كان الارتحالُ في طلبِ المعاش، وكان الفقرُ طابعاً مميّزاً للحياةَ[3].

والفقر ليس قلة الموارد عموماً، وقلةَ ذاتِ اليدِ عند فئةٍ معينةٍ من الناس، لكنه طابعٌ لحياة الصحراء يتميّز بالقلّة في كل شيء : في موارد الطبيعة، في وسائل الراحةِ والرفاهية، وفي المشاريع الضخمة والآمالِ الكبيرة وفي كل ما يملأُ الحياةَ ويشغَلُ اليدَ والفكرَ.

هكذا، اذا تتبعنا أقوالَ الدارسين مع الدكتور يوسف خليف نجد أن (البدوي والعِوَز صاحبان أَلِف كل منهما صاحبَه) وأن (الفقْرَ مكانُ الشظف والسغَبَ) وأن (نكدَ العيش وشظفَ الاحوال وسوءَ المواطن) التي اختص بها أهل البادية أمورٌ (حملتهم عليها الضرورةُ التي عيّنت لهم تلك القسمة) وأن (الظروف الاجتماعية التي تسود البيئة الصحراوية توصدُ أبوابَ الرزق في وجوه أبنائها وتجعلُ

---

(١) يرى الاحيمر السعدي أنها ملك لله. (راجع الهامش السابق) وهي بالتالي ملك لجميع الناس.

(٢) الشعراء الصعاليك ص ٧٢.

(٣) بلوغ الأرب ـ ج ٣ ـ ص ٢٤٦ : « كانت العرب في جاهليتهم في ضنك عيش وكلف من الحاجة وشدة من العوز. »

من العملِ في سبيله مهمةٌ شاقةٌ غير مثمرة : فهي حياة تعرف الكدح الكثيرَ، ولكنها تضيّعُ ثمرَتَهُ).[1]

انحصرت حياة البدو الانتاجية في الرعي. فهم انفوا من الزراعة والصناعة واعتدُّوهما مهنتي الكسالى والعبيد. ولم يكن بامكانهم التجارةُ لافتقارهم الى رأس المال، فانحصرت التجارة بالحواضر. لهذا كانت ثرواتُهم: القطعانَ، وكان مالُهم : الابلَ. وكان فيهم مَنْ مَلَكَ الكثيرَ من الإبل وعُدّ من الأغنياء. لكن الثروة من القطعان « التي يملكها البدوي ليست بالثروة المضمونة البقاء : فإن وباءً ينتشر بين قطعانه، أو جدباً في المرعى، أو جفافاً في الآبار، يضعه وجهاً لوجه أمام المجاعة ».[2] ونضيف الى ذلك وباءً فاتكاً هو طمع البدوي في مال الآخرين. فالغارات التي يقومُ بها فريقٌ ضد آخر تؤدي أحياناً الى خراب كامل وافتقار تام، فضلاً عن خسارة الشبان والنساء والأطفال، وهم عنصر الانتاج البشري. وهناك، أخيراً، سببٌ وجيهٌ يُفقِدُ بعضَ ذوي المالِ مالَهم، ألا وهو «الإتلاف». ان هؤلاء المتلفين لا يؤمنون بحصر الملكية والحفاظِ على المال، بل يبذلونه عطاءً وضيافةً وقِرىً : يعتادون العطاء ويعتادُ الآخذون منهم اللجوءَ اليهم، فيصبح بين هؤلاء وأولئك ارتباطٌ لا انفصام له، ولا يعود بالامكان التقصيرُ في واجب الكرم والمعروف، فيظلُ الواحد منهم يعطي ويعطي حتى يغدو فقيراً مُعدَماً.

ج ـــ **الرحلة في سبيل الغنى** : لهذا كله كانت الأحوال متقلبةً لا يقرُّ لها قرار : ترى السيدَ مُطاعاً، آمراً ناهياً، يُعطي فيُغدق العطاء ويستعبد النفوسَ، ثم تراه

---

(١) الشعراء الصعاليك ص ٧٢ عن مقدمة ابن خلدون وعن
SEMPLE: Influences of Géographic Environnement.

(٢) المرجع السابق ص ٧٣ عن مقدمة ابن خلدون وعن
SEMPLE: Influences of Géographic Environnement.

فجأة في الحضيض بين الصعاليك والسُّوقة[1]. وترى الصعلوك فتخافه، ثم تعود لتراه سيداً مضيافاً، يخدم قاصديه ويتفانى في ارضائهم.[2] وتنالُ السيدَ الكريمَ مصائبُ تتلاحق وتتابع حتى تأتي على ماله وتجرفَ كلَّ ثروته.[3]

ماذا يفعل من يفتقر ؟[4]

ان الصحراءَ محدودةُ الموارد، والثروةُ كذلك محدودةٌ. لهذا تتداولُها الأيدي. فهي، كي تصل الى يدٍ، تتركُ يداً كانت تُمسكُ بها. والمفتقِرُ، اذا سعى الى الغنى، وأرادَ المال، يطلبُهُ عند الآخرين الذين يملكونه : بأخذه منهم عطاء كريماً، أو يستولي عليه غصباً : يغزو، يُغير، يسلبُ، ينهبُ ويعودُ غنياً ليعيش حياته الطبيعية، أو ليتولّى من جديد، مهمّات الضيافة والكرم. لا بدّ اذن، لمن يفتقر، من أن يقوم بالرحلة المعروفة، فيحيا فترةً حياةَ رائد الصحراء الأبدي : يصطاد وحشها ويبحث عن وسيلة أو فرصة لاصطياد انسانِها وأخذِ ما بيدِه.

---

(١) تقول حرقة بنت النعمان بن المنذر اللخمي :

بينا نسوسُ الناسَ، والأمرُ أمرُنـا، اذا نحنُ فيهـم سُوقَـةٌ نتـنصَّفُ
فأفٍّ لِدُنيـا لا يدومُ نعيمُهـا، تَقَـلّبُ، تاراتٍ، بنـا وَتَصَرَّفُ
(الحماسة ج ٢ ص ٥٢)

(٢) يقول الأعشى الأكبر :

إمّا تَرَينا حفـاةً، لا نِعـالَ لَنـا، إنّـا، كذلك، ما نَحفـى ونَنتعِـلُ
(المجاني الحديثة ج ١ ص ٢٢٨)

(٣) يصف عروة الرجل الكريم المفتقر فيقول :

له خَلّةٌ لا يدخُلُ الحقُّ دونهـا، كريـمٌ أصابَتْـه خطـوبٌ تُجَـرِّفُ
(الديوان ص ٥٢)

(٤) يُقيمُ الرجـالُ الأغنيـاءُ بأرضهـمْ وترمي النوى بالمُقْتِرِيـنَ المراميـا
(أراجيز العرب ص ١٥)

انه التصعلك، يغدو أمراً طبيعياً في عالم البادية، يأتيه الكريمُ والسُوقي. والفرقُ بينهما أن الكريمَ، اذا تصعلك، يحفظ عِرضَه وكرامتَه اللذين يعودان وافرين من رحلة الغنى [1]. ونجد في بيتي حاتم الطائي شعاراً لكل متصعلك كريم المنبت :

غَنينا، زماناً، بالتصعلُكِ والغنى، وكُلّاً سَقَاناهُ، بكاسَيهما، الدهرُ
فما زادَنا بَأْواً، على ذي قرابةٍ، غِنانا، ولا أزرى بأحلامِنا الفَقْرُ [2]

لكن، الى أي مدى ينجح طالبُ الثروة في كسبِها على وجه السرعة ؟

ان النجاحَ في هذه المهمّة الشاقة يشترط وجودَ صفاتٍ لا تتوافر لكل انسان : صفاتٍ من قوة الجسد وجرأة القلب، من الصبر والجَلَد والتَمَرُّس بالجوع والعطش ومعرفة القفار ودروبها. ومن لم تتوافر فيه هذه المُعطياتُ يقعدُ عن اجتياز المفاوز. واذا اجتازها قد لا يجرؤ على الغزو والسلب، فلا تُتاح له فرصةُ « الكسب الشريف » الذي يُغني. وقد يصبح لزاماً عليه، ليعيش، أن يقصدَ الأجوادَ ينعَمُ بعطاياهم ويتألم من مَنِّهم بما يَهَبون. [3] فالواقع أن ظاهرةَ التصعلك مزدوجةُ الوجه : الرحلَة هي الغنى، والرحلةُ هي المشقةُ والموت. والغنى لا يتم بمجرد

---

(١) أحد بني أسد :

إنــي لأَستغنـي، فمـا أُبطَـر الغِنــى وأعرِضُ مَيسوري على مُبتغي قَرضي
وأُعسِرُ، أحيانــاً، فتشتــدُّ عُسرتــي وأُدرِكُ ميسورَ الغِنى ومعي عِرضي
(الحماسة ج ٢ ص ٢٦)

(٢) العقد الفريد ج ١ ص ٢٩.

(٣) يصوّر منقذ الهلالي هذه الحالة أفضل تصوير :

أيُّ عيشٍ عيشي، اذا كنتُ منــهُ بينَ حِلٍّ وبينَ وشْكِ رحيـلِ؟
كلُّ فَجٍّ من البـــلادِ كأنّـــي طـالبٌ بـعضَ أهلِـهِ بِذُحـولِ
وبَــلاءٌ حمــلُ الأيــادي وأن تَسـ ـمعَ مَنّاً تؤتى به من مُنيلِ!

الانتقال، انما يكون عن طريق الغزو والأخذ بالقوة. لذا فَخَر البدويُ بهجماته وغزواته وكثرةِ أسلابه.[1] وهذا يتجلّى في ديوان عروة.

٤ ــ موقع عروة من حركة الصعلكة

ندرس هذا الموقع على مستويين : تصعلك عروة، وقيامه بأمر الصعاليك.

تصعلك عروة : ولم نقل صعلكتَه، لأن عروة، في رأينا، لم يلتزم حياة الصعلكة : لم ينسلخْ نهائياً عن قومه، ولم يخلعْهُ قومُه، وهو لم يُعادِهِمْ ولم يَثُرْ عليهم.

أما متى بدأ عروةُ تصعلكَه ؟ فهذا يصعبُ تحديدُه. وأمّا لِمَ بدأ ذلك ؟ فقد يكون لوضعه العائلي ونَسَبِ أمِه الغريبة سهمٌ واضح فيه. وندرس ذلك اثناء عرضنا لحياة عروة..

كان هناك ظلمٌ من الأهل، بلا شك، وكان هناك شبهُ تمرّدٍ من الشاب الطموح، العالي الهمة، بلا شك. ولم تكن ثروةُ الأب كافيةً، أو هي لم تكن بمتناول عروةَ وتصرّفه، يُرضي، من خلالها، طموحَه. فكان عليه أن يسعى لكسب قيمةٍ اجتماعية واحترامٍ وهويّةٍ مستقلّة، وأن يقومَ، حُكماً، بالرحلة في طلب الغنى... وتستمرّ الرحلةُ وتطولُ وتتكرّرُ، ويتعرف عروةُ بعالَم الصعاليك من جهته المشرقة : عالَمِ حريةٍ وقوةٍ وإباء، عالمِ أملٍ بالمستقبل يصنعه الانسانُ بيده وعلى هواه، وقد أغرم عروة بهذا العالَم... لكن عروة لم يغدُ صعلوكاً عَدّاءً، فلا شيء في شعره يشير الى

(١) يقول جواد علي : « لم تعد الغارةُ سرقةً ولا عملاً مُشيناً يُلحق الشَينَ والسُبّةَ بمن يقوم به، بل كان الفخر بالغارات، وَعُدّ المكثرُ منها (مغواراً) لما فيها من جرأة وشجاعة واقدام... وقد عاش قومٌ على الغارات : كانوا يغيرون على أحياء العرب ويأخذون ما تقع ايديهم عليه ». (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ ص ١٠٠).

ذلك. وعروةُ لم يصبح صعلوكاً متذئباً[1]، يعيش عيشة الذئب : ابناً باراً بالقيافي والقفار، يهرب من الناس ويهربون منه[2]. انه، على خلاف ذلك، يبدو أليفاً يحيا حياةَ سائر الناس، بل انه يهتمّ بالآخرين، والآخرون يتقرّبون اليه، ويستنجدون به ويشعرون أن لهم عليه حقاً من قِرىً وعطاء ومساعدة... ويكثُر حديثُ عروة عن الجار والمنازلِ والعلاقاتِ الطبيعية بين الناس : من عتابٍ ولومٍ واتّهامٍ وردّ، وتعيير بخُلُق أو موقفٍ، ورفضِ التعيير وما الى ذلك، مما لا نجده عند الصعاليك المستوحدين[3]. وهذا كله يُثبت، في رأينا، أن عروة لم يعش كصعلوك، وإن اعتنق الصعلكة وفلسفها وتصرّف وِفقَ مُعطَياتها. وفيما عدا ذلك، كان يعيش بين قومه، يُحسُّ بينهم بالانتماء القبلي، بكل ما في الكلمة من حقوقٍ وواجبات... قد يبدو قومُه غيرَ موافقين على تَصعلكه، وعلى حمايته ضعفاءهم ومنبوذيهم، لكنْ بينه وبين قومه شبهُ معاهدة عدم إعتداء تنقلبُ، عند الضرورة، ومن طرفٍ واحدٍ هو طَرَفُ عروة، معاهدةَ دعمٍ ومساعدة يكسب بهما عروةُ حق الانتماءِ ويرُدُّ الى نفسه وصعاليكه، في لحظاتٍ محدودة، احساسَ ابنِ القبيلةَ المنتمي اليها[4]، البارّ بها، الذي يدفع عنها الاخطار ويُنجدها في الملمّات ؛ وهذا لا يمنعه من أن يستمر، في سلوكه الخاص، أباً حنوناً لفقراء القبيلة والزَّمْنى من ابنائها. ونحن نرى أن، في

(١) ذَؤب الرجل وتذأّب : خَبُث وصار كالذئب خبْثاً ودهاء... وذؤبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصّصون ويتصعلكون. (لسان العرب ج ١ ص ٣٧٨ [ذأب]).

(٢) كان عروة يتصعلك، شأن كثير من الاشراف والفرسان في عصره، على غرار حاتم الطائي، تحدو به الاهداف النبيلةُ نفسُها. فَرْقٌ بين عروة وحاتم أن حاتماً كان يغتم ليعطي من يطرق بابه، وأن عروة كان يعطي مثلَه، لكن همّه الأكبر كان انتشال الصعاليك الفقراء من البؤس.

(٣) انظر توسيعاً لهذه المعطيات ص ٥١ من هذه المقدمة.

(٤) نتحدث بالتفصيل عن ذلك عند دراستنا لشعر عروة في الديوان. (راجع ص ٥١ وما بعد من هذه المقدمة)

استمراره هذا، السببَ الأكبر لاستمرار تصعلكه،[1] وان ارتباط اسمه بالصعلكة جاء من قيامِهِ بأمر الصعاليك، لا من ممارسة حياة صعلكةٍ دائمة.

قيام عروة بأمر الصعاليك : لا بد هنا من تذكير سريع بأن الصعاليك نوعان : نوعٌ مارس الصعلكة الثائرةَ واتخذها أسلوباً في الحصول على المال ليُشبع حاجاتٍ عنده يرفض المجتمعُ إشباعَها له، ونوعٌ بائسٌ يائس، لَفَظه المجتمعُ لخموله وضَعَةِ أصلِه وقِلةِ جدواه في حياة الصراعِ والقوة، نشأ بين القذارة وعاش خلفَ البيوت يمضَغُ أفانين الذل ويلبّي ما يصدر اليه من أوامر. انها فئة معروفة في كل جماعة، في كل شارع، وكانت معروفةً في كل قبيلة وحيّ. هذه الفئة تطامَنَت الى الذلِّ فلم تشكُ منه، وقامت بالأعمال الحقيرة فلم تتضجّر منها، وكانت في عالم الجاهلية هدفاً للتخلّي الدائم، لا على سبيل الخلع، فهي لم تكن تجرؤ على جرّ الجرائر وبالتالي لم تستدْعِ العداوات، وإنما على سبيل الاستغناء عنها اذ تشكّل عبئاً سلبياً، تأخذ ولا تعطي، تستهلك ولا تنتج، وهذا العبء يصبح ثقيلاً في أيام القحط والمجاعة. لقد كان على هؤلاء الصعاليك أن يوطّنوا نفوسهم على الموت جوعاً في سنوات الجدب، جُلُّ همهم أن يقضوا بصورة طبيعية فلا تنهشهم الذئابُ وهم أحياء. وتقول الأخبار إنهم كانوا، أيام عروة، يجمعون أنفسَهم ويبنون لهم حظيرةً من أغصان الشجر وورقها[2]، يأوون اليها وينتظرون الأجل، بينما قومُهم عنهم غافلون، وبمصيرهم لا يهتمّون !

ما كانت طبيعةُ عروة تقبل هذا الظلمَ، ولا كانت نفسُه الأبيّةُ ترضى بهذا

---

(١) يقول جواد علي : « عروة لم يكن فقيراً، محتاجاً، معدماً، كما يُفهم من لفظة (صعلوك). لقد كان في وسعه أن يجمع مالاً مما كان يغنمه من غاراته على العرب، فيكون حَسَن الحال غنياً. لكنه فضّل الصعلكة على اكتناز المال، ورجّح اشراك الفقراء فيما يغنمه على جمعه له واستئثاره به له وحده. » (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤١٢).

(٢) راجع ص ١٠٣ مقدمة قصيدته الحائية (عن ابن السكيت).

الخنوع والاستسلام. فكان تدخُّله الى جانبهم: يدفع عنهم الأذى وينقذُهم ويَشحذُ عزيمتهم ويتبنّاهم، لأن التخلّي عن هؤلاء المساكين يخالف القيمَ التي يفخرُ بها العربي، فما قيمةُ الكرم والجود والقِرى اذا لم تتوجه الى هؤلاء؟ وما قيمة النجدة والنخوة اذا لم تُنجدا هؤلاء؟ لكن استدرار الشفقة على الصعاليك لم يكن هدفَ عروة بل كان هدفُه أن يبعثَ فيهم إحساساً بالكرامة يجعلُهم يأبَون الذلّ، ورغبةً في الحياة وايماناً بحقهم فيها لينتزعوا اللقمة غصباً وقهراً من يد المترفين[1]. هكذا كان يجمعهم، يقدّم لهم ما لديه، كثيراً كان أو قليلاً، يداوي مرضاهم ويدرّب أصحّاءهم، حتى اذا اكتملت لهم قوّةٌ وعدد، ترَكَ الضعفاءَ في كنائفهم وقاد الأقوياء في دروب الصحراء، في رحلة الغنى،[2] يعلّمهم أن الحياة ترفض الخنوع، وأن الدنيا واسعة فيها مجال لكل مجاهد، وأن الغنى في متناول يد كل إنسان، يكفي أن يمدَّها ليطاله. ولقد علّمهم التعاونَ اذ جعل اقوياءهم يعودون بالغنائم ليتقاسموها والضعفاءَ منهم... انها قيادةٌ بكل معنى الكلمة. فعروة هو مفلسفٌ للصعلكة وقائدٌ للصعاليك في دربِ الإباء والثروة...

---

(١) « ذُكر أنه كان، اذا شكا اليه فتى من فتيان قومه الفقر، اعطاه فرساً ورمحاً وقال له: إن لم تستغنِ بها، فلاأغناك الله. » (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٤١١ — عن ثمار القلوب للثعالبي).

(٢) يصفه الاصفهاني: « كان عروة بن الورد، اذا أصابت الناس سنةٌ شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف. وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء، من دون الناس من عشيرته، في الشدة، ثم يحفر لهم الاسرابَ ويكنُف عليهم الكُنُف ويكسيهم. ومن قوِي منهم — إمّا مريضٌ يبرأ من مرضه أو ضعيفٌ تثوب قوتُه — خرج به معه فأغار، وجعلَ لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً. حتى اذا أخصب الناسُ وألْبَنوا وذهبت السنةُ، ألحقَ كلَّ انسانٍ بأهله وقَسَمَ له نصيبَهُ من غنيمةٍ إن كانوا غنموها. فربما أتى الانسانُ منهم أهلَه وقد استغنى. فلذلك سُمّي عُروةَ الصعاليك... » (الاغاني ج ٣ ص ٧٥).

عروة بن الورد

القسم الأول : نسبه ــ حياته

عروة بن الورد

القسم الأول : نسبه ـــ حياته

هو عروة بن الورد العبسي، الغطفاني، القيسي، المضري.

أولاً : ابوه[1]

هو الورد بن حابس بن زيد بن عبدالله بن ناشب بن هُرَيم بن لُديم بن عوذ ابن غالب بن قُطيعة بن **عبس** بن بغيض بن أشجع بن الريث بن **غطفان** بن **قيس** ابن عيلان بن **مضر** بن نزار..

فالورد صاحب نسب معروف شريف أصيل. وله في تاريخ عبس دوران أثّر فيهما على احداث الحرب الشهيرة بين عبس وذبيان، حرب داحس والغبراء. الدور الأول يرويه ابن الأثير في تاريخه، عند ذكر اسباب حرب داحس والغبراء التي تتلخص في الرهان حول أي الفرسين أسبق. أما طرفا الرهان فاحدهما حذيفة بن

---

(١) اختلفت الروايات في ترتيب آبائه. وقد اخترنا ما هو مشترك بينها وما يوافق التسلسل المعروف في انساب مضر... راجع الأغاني ج ٣ ص ٧٠ وتاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٦٦ وابراهيم الخواجه ص ٦٣ والشعراء الصعاليك ص ٣٢٠.
ويدعوه ابن الاثير : الورد بن مالك (الكامل في التاريخ ج ١ ص ٣٤٦).

بدر، وكان بنو عبس، ورئيسهم قيس بن زهير، ينزلون في جواره. والطرف الثاني الوردُ والدُ عروة. يقول ابن الأثير :

« ثم إن حذيفة كره قيساً (بن زهير) وأراد إخراجَه عنهم فلم يجد حجة. وعزم قيس على العُمرة فقال لأصحابه : إني قد عزمتُ على العمرة، فإياكم أن تلابسوا حذيفةَ بشيء، واحتملوا كل ما يكون منه حتى أرجع، فإني قد عرفتُ الشرَّ في وجهه، وليس يقدر على حاجته منكم إلا أن تراهنوه على الخيل ـــ وكان ذا رأي لا يخطئُ فيما يريده ـــ وسار الى مكة. ثم إن فتىً من عبس، يقال له وردُ بن مالك، أتى حُذيفة فجلس اليه. فقال له ورد : لو اتخذت من خيل قيس فحلاً يكون أصلاً لخيلك. فقال حذيفة : خيلي خير من خيل قيس. ولجّا في ذلك الى أن تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة، والرهن عشرة أذواد.[1]

وسار ورد فقدم على قيس بمكة، فأعلمه الحال، فقال له : أراك قد أوقعتني في بني بدر ووقعت معي، وحذيفة ظَلوم لا تَطيب نفسُه بحق، ونحن لا نُقرُّ له بضيم. ورجع قيس من العمرة فجمع قومه وركب الى حذيفة وسأله أن يفكَّ الرهنَ فلم يفعل. فسأله جماعةُ فزارة وعبس فلم يقبل، وقال : إن أقرّ قيسٌ أن السبق لي، وإلّا فلا... »[2] واستمرّ الرهن وجرى السبق وقامت على إثره حرب بين عبس وفزارة، وتعددت المعارك وقُتل الأبطال وغير الأبطال من الجانبين، فكانت خراباً للجميع. ولذلك قال الاصفهاني عن لسان عبسيين سُئِلوا عن عروة : « لقد كُنا نتشاءم بأبيه لأنه هو الذي أوقع الحرب بين عبس وفزارة بمراهنته حذيفة. »[3]

---

(١) الذود، للقطيع من الابل، ما بين الثلاث الى العشر وقيل ما بين الثنتين والتسع، وقيل غير ذلك (لسان العرب ج ٣ ص ١٦٨ [ذود]).

(٢) الكامل في التاريخ ج ١ ص ٣٤٦ وما بعد.

(٣) الأغاني ج ٣ ص ٨٣.

أما الدور الثاني للورد فيرويه التبريزي وأبو عبيدة. يقول التبريزي : « ورد بن حابس العبسي هو الذي قتل هرم بن ضمضم المرّيّ الذي يقول فيه عنترة :

وَلَقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تكُنْ للحرب دائرةٌ على ابني ضَمْضَمِ

قتله في حرب عبس وذبيان، قبل الصلح. »[1]

ثانياً : أمّه

لا نعرف لها اسماً وانما نعرف أنها غريبة عن عبس، وانها من بني نهد. ولهذه الحقيقة أثرٌ كبيرٌ في مجرى حياة عروة. فالغريب في عالم القبيلة يبقى غريباً خصوصاً اذا كان دخوله ذلك العالم دخولاً دوناً، كأن تأتي المرأة من أسر أو سبي أو أن تكون من قبيلة أقل شأناً وأمجاداً. انها تكون نزيعة[2]. (فنزائع القبائل غرباؤهم الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم)[3]. ولأن أم عروة من نهد، ونهد قبيلة مغمورة ليست بذات أمجاد، وهي تنتمي الى قضاعة التي تيامنت الى حمير وعُدّت في عرب الجنوب، ولأن بين عرب الجنوب اليمانية وعرب الشمال القيسية عداوة تقليدية لم تنطفئ جذوتها قط، فإن هذا النسب كان نقطة ضعف في كرم منبت عروة، أحسّ به احساساً قوياً عندما شبّ وبدأ يفاخر فتيان الحي ؛ وقد ولّد عنده ذلك نقمةً على والده وغضباً على قوم أمه فجّرهما شعراً وموقفاً رافضاً أخذه عليه أشراف القبيلة.[4] وقد يكون نسب أمه هذا في جذور تصعلكه.

---

(١) ابراهيم الخواجه ـــ عروة بن الورد ـــ ص ٦٤ (عن شرح القصائد العشر للتبريزي وأيام العرب في الجاهلية ـــ وشرح نقائض جرير والفرزدق).

(٢) « هي من النساء التي تزوج في غير عشيرتها » (لسان العرب ج ٨ ص ٣٥٠ [نزع])

(٣) المرجع السابق.

(٤) يقول قيس بن زهير :

أَذَنْبٌ علينا شتمُ عروةَ خالَهُ بِغُرّةِ أحساءٍ، ويوماً بِبَذْبَدِ !

(شعراء النصرانية ص ٨٨٨)

ثالثاً : عروة في أسرته

ان احساس عروة بالعار من نسب امه لم يتولد من معاشرته أبناء القبيلة، وانما نبت وترعرع داخل أسرته. فزواج الورد من النهدية لا يبدو أنه زواجه الأول بل سبقه زواج ترجّح أنه من عبسية. وهذا الزواج انتج ولداً هو ابن الورد البكر. ونستطيع بسهولة أن نتصوّر جوّ أسرةِ الورد حيث العبسيةُ يحيطُ بها أهلُها ورهطُها وتتمتعُ بنفوذِها وكرامتها الموفورة، وحيث النَهديةُ غريبةٌ منبوذةٌ مغلوبةٌ على أمرها. ولا نشكّ في أن نفوذَ العبسية كان موجّهاً ضد النهدية وابنِها. وهنا يكمنُ السرُّ في سوءِ معاملةِ الاب لعروة، مع اعجابِهِ بمخايل الشخصية القوية التي كانت تتراءى له فيه، واهتمامِهِ بالابن الاكبر، مع قلة تقديرِهِ له[1]... ليس الا نفوذُ الزوجة يجبر الأب على هذا النوع من الظلم. ولقد أثّر الظلم في نفس عروة ولكنه ساعدها على أن تصبح أقوى شكيمة وأكثر تصميماً وأبعد رأياً، وأن تنمو معتمدة على ذاتها، مفجّرة طاقاتِها لمصلحتها، وأن تترك جماعةَ الظلم لتبني مجداً بعيداً عنها. وقد تكون هذه المعاملة أيضاً في جذور تصعلكه.

رابعاً : عروة في حياته الخاصة

لم تذكر الأخبار شيئاً عن زوجةٍ له عبسية وانما ذكرت له زواجين انتهيا بفراق.

١ ــ الزواج الأول : من سلمى الغفارية الكنانية

« كان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف. وكانت سلمى من بني غفار، فسباها عروة من قومها، وكانت ذات جمال، **فولدت له أولاداً**، وكان شديدَ

(١) يذكر الاصفهاني عن الورد، أنه كان له ابن أسنُّ من عروة، فكان يؤثره على عروة، فيما يعطيه، ويُقرّبه. فقيل له : أتؤثر الأكبرَ، مع غناه عنك، على الأصغر، مع ضعفه ؟ قال : أترونَ هذا الأصغر ؟ لئن بقي، مع ما أرى من شدة نفسه، ليصيرنَّ الأكبرُ عيالاً عليه !» الاغاني ج ٣ ص ٨٤.

الحب لها[1]. وكان ولدُه يُعيَّرون بأمهم ويُسمَّونَ بني الأخيذة، أي السَّبيَّة. فقالت: ألا ترى وَلدَك يُعيَّرون ؟ قال: فماذا ترين ؟ قالت: أرى أن تردّني الى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك،فأنعمَ لها. فأرسلت الى قومها أنِ القَوْه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكر ويثمل، فإنه لا يُسأل حينئذٍ شيئاً إلا أعطاه. فلقوه، وقد نزل في بني النضير[2]... فأتوه فسقوه الشراب، فلما ثمل قالوا له: فادِنا بصاحبتنا فإنها وسيطة النسب (كريمة)، فينا، معروفة، وإنّ علينا سُبَّةً أن تكون سبيّةً، فإذا صارت الينا وأردْتَ معاودتَها فاخطبها الينا فإننا نُنكِحُك. فقال لهم: ذاك لكم ولكن ليَ الشرطُ فيها أن تُخيِّروها، فإن اختارتني انطلقتْ معي الى ولدها، وإن اختارتكم انطلقتم بها. قالوا: ذلك لك. قال: دعوني أَلَهُ بها الليلة وأُفادِها غداً. فلما كان الغد جاؤوه فامتنع من فدائها، فقالوا له: قد فاديْتنا بها منذ البارحة، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممن حضر، فلم يقدر على الامتناع وفاداها[3]. فلما فادَوه بها خيَّروها فاختارت أهلها، ثم أقبلت عليه فقالت: يا عروة، أما إني أقول فيك، وإن فارقتُكَ، الحقَ: والله ما أعلمُ امرأةً من العرب ألقتْ سِتْرَها على بَعلٍ خيرٍ منك، وأغَضَّ طرفاً، وأقلَّ فُحشاً وأجودَ يداً، وأحمى لحقيقةٍ. وما مرّ عليّ يومٌ، مذ كنتُ عندكَ إلا والموتُ فيه أحبُ إليّ من الحياة بين قومك، لأني لم أكن أشاء أن أسمع امرأةً من قومك تقول: قالت أَمَةُ عروة كذا وكذا إلا سمعته. ووالله لا أنظر في وجه

---

(١) في رواية أخرى يذكرها الاصفهاني: « من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه، أنه أصاب امرأة من بني كنانة بِكراً يُقال لها سلمى وتُكنى أمّ وَهْب، فأُعتقها واتخذها لنفسه، فمكثت عنده بضع عشرة سنة، وولدت له أولاداً، وهو لا يشك في أنها أرغَبُ الناس فيه... » الأغاني ج ٣ ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧.

(٣) في رواية أخرى للأصفهاني: « إن قومها أغلَوا بها الفداء، وكان معه طَلْقٌ وجُبار، أخوه وابن عمه، فقالا له: والله، لئِن قبلتَ ما أعطَوك لا تفتقر أبداً، وأنت على النساء قادرٌ متى شئت، وكان قد سكر، فأجاب الى فدائها... » المصدر نفسه ص ٧٤.

غَطَفانيةٍ أبداً. فارجع راشداً الى ولدك وأُحْسِن اليهم[1]...

٢ ــ الزواج الآخر : من ليلى بنت شعواء الهلالية.

« كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها : ليلى بنت شعواء. فمكثت عنده زماناً وهي مُعجِبةٌ له تُريه أنها تُحبه. ثم استزارته أهلَها، فحمَلها حتى أتاهم بها. فلما أراد الرجوع أبَتْ أن ترجعَ معه. وتوعّده قومُها بالقتل فانصرف عنهم، وأقبل عليها فقال لها : يا ليلى، خَبّري صواحبَكِ عني كيف أنا. فقالت : ما أرى لك عقلاً. أتُراني قد اخترتُ عليك وتقول : خبّري عني ؟! »[2]

هكذا تكررت قصة المرأة السبية التي يُكرمها آسرُها فيعتقها ويتزوّجها فتعيش معه وجُلُّ مناها أن تعود الى أهلها. لا لأن عروة لا يُعجب النساء، بل عكس ذلك هو الصحيح.[3] لكن وضع السبية في قبيلة الزوج هو وضع الغريبة ووضع الأمة. أعتقها الرجل لكنها في انظار الباقين تبقى « الأخيذة ». وقد يحلو لنساء القبيلة أن يذكّرنها ذلك، بمناسبة وبلا مناسبة، حتى لا تعود تطيق البقاء، فتحتال لتنجو مستغلة طيبة الزوج واعتداده بنفسه. وهذه القصة، كما نعرف هي قصة أم عروة

---

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٣

وفي رواية أخرى للأُصفهاني وَرَد المديحُ التالي من سلمى لعروة : « والله إنكَ، ما علمتُ، لضحوكٌ مُقبلاً، كسوبٌ مُدبراً، خفيفٌ على مَتْنِ الفرس، ثقيلٌ على العدوّ، طويلُ العِماد، كثيرُ الرماد، راضي الأهل والجانب (الغريب أو الضيف). فاستوصِ بنيك خيراً. » المصدر نفسه ص ٧٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٧٧.

(٣) راجع ابياته العينية ص ١٨٧ وما بعد.

نفسها لكن أم عروة لم تتمكّن من الافلات. ولئن أنصفت سلمى عروة كرجل فإن ليلى كانت تحسّ جرحاً عميقاً جعلها تحاول أن تجرح المسبِّب. ولقد ردّ عروة، في شعره، لكل من المرأتين، موقفها بموقف مماثل. فتغنّى بسلمى وذكرها في كثير من قصائده،[1] حَنَّ الى الأيام الحلوة التي قضاها برفقتها وأسف للفراق ولتفريطه بها، وتمنّى لو يعود الماضي[2]. بينما عرّض بليلى وبأسره لها وبموقف الذل الذي وقفته آنذاك...[3]

إن عروة كان يتعفف عن جارته ويغض طرفه عنها. ويعامل النساء عامة باحترام؛ ولكنه، مع ذلك، كان يقوم بغارات ليلية على مخادع معشوقات له. ويبدو ان البدوي الذي كان يفخر بالسطو على مال الاعداء وحرمهم وبسبي نسائهم، هو نفسه الذي يفخر بالدفاع عن جيرانه وحلفائه والموت في سبيل ذلك. والبدوي المتعفف قد يتحدث عن علاقاته النسائية بفخر واعتزاز[4].. ويذكر الاصفهاني قصّة عن عروة يجد فيها نفسه وجهاً لوجه أمام ابن غير شرعي له من امرأة سمعت به فأُعجبت واستدرجته اليها. يقول واصفاً الغلام ووالده الشيخ وأمه : أتى ناقة فَمَرى أخلافها ثم وضع العلبةَ على ركبتيه وحلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخ فسقاه، ثم أتى ناقةً أخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك، فشرب هو. ثم التفع بثوب واضطجع ناحية، فقال الشيخ للمرأة، وأعجبه ذلك :

---

(١) قصيدته التائية ص ٩٦ وما بعد، وقصيدته الرائية : صعلوك فقير وصعلوك أمير ص ١٤٢، والثالثة : هل في كريم ماجد ما يُعيِّر ص ١٥٨ وقصيدته على الفاء : للمقام أطوّفُ ص ١٩٤ ...

(٢) راجع قصيدته الرائية : سقوني النسء ص ١٢٦ وما بعد.ورائيته الأخرى : لعلك يوماً... ص ١٣٤ وما بعد.

(٣) راجع ابياته البائية ص ٨٧ وما بعد (اسماء العبسية، وليلى الهلالية).

(٤) راجع قصيدته العينية : ألا أقصر من الغزو... ص ١٨٥.

كيف ترين ابني ؟ فقالت : ليس بابنك. قال : فابنُ مَنْ ويلك ؟ قالت : ابن عروة ابن الورد. قال : ومن أين ؟ قالت : أتذكُرُ يوم مَرّ بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت : هذا عروة بن الورد ووصفتَه بِجَلْدٍ، فإني استطرفتُه. قال : فسكت، حتى اذا نوَّمَ، وثب عروة وصاح بالابل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى، ورجا الا يتبعه الغلام — وهو غلام حين بدا شاربُه — فاتّبعه. قال : فاتّخذا وعالجه. قال فضرب به الأرضَ فيقع قائماً. فتخوّفه على نفسه. ثم واثبه فضربَ به وبادره فقال : إني عروة بن الورد، وهو يريد أن يعجزه عن نفسه. قال : فارتدع. ثم قال : ما لك ويلك ! لستُ أشك أنك قد سمعتَ ما كان من أمي. قال : قلتُ : نعم. فاذهب معي أنت وأمك، وهذه الابلُ، ودع هذا الرجلَ فإنه لا ينهاك عن شيء. قال : الذي بقي من عمر الشيخ قليل، وأنا مقيم معه ما بقي فإنّ له حقاً وذماماً. فاذا هلك، فما أسرعني اليك... ثم إن الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ. »[1]

أما عن ولد عروة، فيبدو من هذه القصة ومن قصته مع سلمى، أنه أنجب أولاداً. ولكن يبدو أيضاً أن أحداً من أولاده لم يعش لينجب ويواصل نسل عروة. فالاصفهاني يروي سؤال المنصور لثمامة بن الوليد العبسي عن عروة : « فهل أعقب عندكم ؟ قال : لا... »[2]

خامساً : عروة في حياته العامة

قلنا إن عروة لم يعش صعلوكاً دائماً بل عاش فارساً متصعلكاً، وزاد على ذلك عنايته بالصعاليك وتوحيد كلمتهم وقيادتهم لرفع مستواهم. فحياته سارت على وتيرتين : وتيرة الحياة العادية والوتيرة المتصعلكة.

---

(١) الأغاني ج ٣ ص ٨٢ و٨٣.

(٢) المصدر السابق.

ففي حياته العادية كان يعيش مع أهله، حياة عائلية فيها الزوجة والولد، وفيها الكَرَم والعطاء وفتح الباب للضيف وطالب القِرى، يتخلّلها عتاب الزوجة ولومها لأن الإنفاق يؤدي الى الإملاق فالمغامرة في طلب الغنى. وفي هذا النمط من الحياة كان عروة يقوم بواجبه نحو قبيلته : يدفع عنها الألسن الطويلة، يفخر باسمها على اعدائها[1]، ويحارب الى جانب فرسانها.[2] وكان مُغرماً بتقديم الخدمات واكتساب الصيت الحسن وتحمل الديات والقيام بواجب المعروف : انها الرغبة في أن يكون الفرد عُضواً نافعاً في الجماعة، وهذه الرغبة لها مسوِّغ طبيعي عند عروة الذي كان يحس انتقاصاً في احترامه بسبب نسب والدته وشؤم أبيه على عبس، وهي حجتنا في أن عروة لم يعش صعلوكاً، بل فارساً متصعلكاً.

أما في حياة التصعلك فتروي له الأخبار غاراتٍ منفردة وأخرى جماعية. ويتحدث هو، في شعره، عن غزوات يقود فيها صعاليكه، العدّائين منهم والفرسان.[3] يروي الأصفهاني قصته مع الهذلي فيقول : « خرج عروة حتى دنا من منازل هُذَيل، فكان منها على نحو ميلين، وقد جاع ؛ فإذا هو بأرنب، فرماها ثم أَوْرى ناراً فشواها وأكلها، ودَفَن النار على مقدار ثلاث أذرع، وقد ذهب الليل وغارت النجوم. ثم أتى سرحةً[4]، فصعدها وتخوّف الطلب.. » ويبدو أن عند هُذيل رجلاً بعيد النظر رأى النار فحدّد موقعَها وأقنع جماعته بمرافقته لضبط مُوقِدها المتلصّص. جاء الهذليون وحفروا مقدار ذراع فلم يجدوا أثراً فعادوا ناقمين

(١) راجع « اسماء العبسية وليلى الهلالية » ص ٨٧، و« يوم التخانق » ص ١٦٥، و« دار الحفاظ » ص ١٦٩.

(٢) راجع ص ١٨١ « اذا قيل يا ابن الورد ».

(٣) راجع قصيدته الرائية : « صعلوك فقير وصعلوك أمير » ص ١٤٢ وقصيدته اللامية : « منايا النفس خير من الهزل » ص ٢٠٠.

(٤) سرحة : شجرة عظيمة.

على رجلهم الذي أقلقهم بلا مسوّغ. وقد تبع عروة الجماعة وتسلّل الى « كِسربيت » كان، بحكم الصدفة، بيت الرجل الهذلي الذي لم يكن قد أوى اليه. فسمع عروة زوجة الرجل تغازل عبدها وتسقيه من علبة لبن، قبل أن تشرب هي. وعندما عاد الرجل الى بيته، قدّمت له المرأة علبة اللبن ليشرب، فاشتمّ فيها رائحة رجل. أنكرت المرأة وادّعت عليه اتهامه زوراً وشكته الى قومها. فسكت ونام. تحرك عروة حينها وتقدم الى فرس الرجل ليسرقه، فضربَ الفرسُ بيده وتحرّك؛ فرجع عروة الى موضعه، ووثب الرجل فقال : ما كنتَ لتكذِبني، فما لك؟ فاقبلت عليه امرأته لوماً وعذلاً. قال : فصنع عروة ذلك ثلاثاً، وصَنَعه الرجل. ثم أوى الرجل الى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم، فقال : لا أقوم اليكَ الليلةَ. وأتاه عروةُ فحالَ في متنه وخرج ركضاً. وركب الرجلُ فرساً عنده أنثى. قال عروة : فجعلتُ أسمعُه خلفي يقول : إلحقي فإنك من نسله. فلما انقطع عن البيوت قال له عروة : أيها الرجل، قِف، فإنكَ لو عرفتني لم تُقدم عليّ، أنا عروة بن الورد، وقد رأيتُ الليلة منك عجباً فأخبِرْني به وأُرُدُّ اليكَ فرسك.. » ثم سأله عن سبب تراجعه عن رأيه الصائب في المواقف الثلاثة التي حضرها عروة، فادعى الرجل أن توقّد ذهنه يأتيه من أعمامه من هُذَيل، وأن « كعاعته » وتراجعه يأتيانه من أخواله من خزاعة. ثم تابع الرجل : « ولولا ما رأيتَ من كعاعتي لم يَقْوَ على مناوأة قومي أحدٌ من العرب. فقال عروة : خذ فرسك راشداً. قال : ما كنتُ لآخذه منكَ وعندي من نسله جماعةٌ مثلُه، فخذه مباركاً لك فيه... »[1]

أما عن قيادته الصعاليك وعنايته بأمرهم فيروي الاصفهاني أنه « أجدب ناس من بني عبس في سنة أصابتْهم فأهلكت أموالَهم وأصابهم جوعٌ شديد وبؤس، فأتوا عروة بنَ الورد فجلسوا أمام بيته. فلما بَصُروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصعاليك،

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٩ وما بعد.

أغِثنا. فرقَّ لهم وخرج ليغزو بهم ويصيب معاشاً... »[1] « فندب منهم رهطاً فخرجوا معه، فنحر لهم بعيراً وحملوا سلاحهم على بعير آخر، وقدّد لهم بعيراً فوزّعه بينهم. وخرج يريد أرض قضاعة، وقصد قِبَلُ أرضَ بني القين. فمرّ بمالك بن حمار الفزاري... فقال له مالك : اين تنطلق بفتيانك هؤلاء ؟ تُهلكهم ضيعةً ! قال : ان الضيعة ما تأمرون به أن أُقيمَ حتى أهلك هزالاً. فقال : إن أطعتَني رجعتَ على حرسين[2] فكان طريقك حتى تأتي قومي فتكون فيهم. قال : فما أصنع بمن كنتُ عوّدتُهم اذا جاؤوني واعتروني ؟ قال : تعتذر فيعذروك اذا لم يكن عندك شيء. قال : أنا لا أعذر نفسي بترك الطلب ».[3]

فعصاه ومضى حتى انتهى الى بلاد بني القين، « وهم بأرض التيه. فهبط أرضاً ذات لخاقيق، وهي الحجارة، الواحد لخقوق، فيها ماء. فرأى عليها آثاراً فقال : هذه آثار من يرد هذا الماء فاكمنوا، فأحرِ أن يكون قد جاءكم رزق. وفي أرض بني القين عرى من الشجر العظام، اذا أجدب الناس رعوها، فعاشوا فيها. فأقام بأصحابه يوماً، ثم ورد عليهم فصيل فقالوا : دعنا فلنأخذْه، فلنأكل منه يوماً أو يومين. فقال : انكم، إذن، تنفّرون أهلَه، وإنّ بعده إبلاً. فتركوه ثم ندموا على تركه، وجعلوا يلومون عروة من الجوع الذي جهدهم. ثم وردت إبلٌ بعده بخمس، فيها ظعينة، ورجل معه السيف والرمح، والإبل مئة متال ؛ فخرج اليه عروة، فرماه في ظهره بسهم أخرجه من صدره، فخرّ ميتاً. واستاق عروة الإبل والظعينة... »[4]

في هذه الغزوة كان عروة قد ترك أصحابه المُجهَدين في ماوان « وكنَف عليهم

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٨.

(٢) حرسين : واد بنجد، أو هما جبلان في أرض بني فزارة (ديوان الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ١٧٨).

(٣) شعراء النصرانية ص ٩٠٣.

(٤) ابراهيم الخواجه : عروة بن الورد ص ١٣٠ (عن خمسة دواوين العرب).

كنيفاً من الشجر، وهم أصيحاب الكنيف ».[1] وقد « أتى بالإبل أصحابَ الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها. حتى اذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخَذَ مثل نصيب أحدهم، فقالوا : « واللات والعُزّى، لا نرضى حتى تجعل المرأةَ نصيباً، فمن شاءَ أخذَها. فجعل يهُمُّ بأن يحملَ عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه، ان فعل ذلك، أفسد ما كان يصنع. فأفكر طويلاً ثم أجابهم الى أن يردّ عليهم الإبل، إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله، فأبوا ذلك عليه حتى انتدب رجلٌ منهم فجعل له راحلة من نصيبه... »[2] هكذا كان أبو الصعاليك يرعى عياله ويتحمل عقوقهم بصبر وأناة، فهم صنيعته !

(١) الأغاني ج ٣ ص ٨٢.
(٢) المصدر السابق ص ٧٦.

القسم الثاني : اسمه وصفاته والآراء فيه

أولاً : اسمه

يحلو لبعض المؤرخين أن يربطوا بين اسم عروة وما عُرف من صفاته وسيرته. فهو شجاع مغوار. والعروة تعنى الاسد « وبه سُمي الرجلُ عروة. »[1] وعروة كان موئلاً للضعفاء، اليه يلجأون وبه يعتصمون اذا اجدبت الأرض وتخلى عنهم الناس، والعروة من الشجر : الذي لا يزال باقياً في الأرض ولا يذهب. وهو أيضاً من الشجر ما لا يسقط ورقه في الشتاء، مثل الأراك والسِدْر، الذي يُعوّل عليه الناس اذا انقطع الكلأ، أو هو الشجر الذي يلجأ اليه المال في السنة المجدبة فَيعصمه من الجدب[2].

وكان عروة يُكنى « أبا الصعاليك »، وقيل : بل كان يُكنى « أبا نجدة ». وقيل : كنيته « أبو المغلّس ». وقال آخرون : كانت كنيتُه في الحرب « أبا عبلة » وفي السلم : « أبا هراسة »[3].

---

(١) لسان العرب، ج ١٥ ص ٥١ [عرا].
(٢) المصدر نفسه ص ٤٦.
(٣) سمط اللآلي ج ٢ ص ٨٢٣.

ثانياً : صفاته والآراء فيه.

يعرّفه الأصفهاني بأنه : « شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد. »[1]. فهو **شاعر وهو فارس وهو صعلوك** كريم محترم. ونلاحظ هنا أن الاصفهاني لم يستخدم كلمة صعلوك بمعنى الفقير أو اللص أو الذليل، وانما استخدمها بمعنى الانسان الذي يعيش بسيفه ويؤمّن رزقه بقوة ساعده، ثم أضاف اليه صفة الجود. والواقع أن هذا التعريف يلخص شخصية عروة، كما سنرى في دراستنا للديوان، ولذلك نقله عنه كل من تحدث عن عروة. وتستكمل صورة هذه الشخصية بباقي تعريف الاصفهاني : « وكان يلقّب عروة الصعاليك بجمعه اياهم وقيامه بأمرهم. »[2]

وتتمثل في عروة صفات الفروسية العربية من العفة والنجدة واباء الضيم، والكرم.[3] فحُق لعبد الملك بن مروان القول : « من زعم أن حاتماً أسمحُ الناس فقد ظلم عروة »[4]. ولشدة حبه للكرم، ولتأمين الثروات اللازمة للقيام بواجبه، قضى عروة حياته متنقلاً ساعياً، متشرداً، غازياً، ما يستقرّ الا قليلاً، يسلب الاحياء، والناس البخلاء. ونؤكد صفة البخلاء لمن يسلبهم عروة فهو يقصد ذلك ويتوخّاه، ويترصد الغني البخيل الى أن تحين منه غرّة يغتنمها ليوقع به ويسطو على امواله، يقدمها للصعاليك والفقراء.[5] « قيل إن عروة بلغه عن رجل من بني كنانة بن

---

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نتحدث عن ذلك في عرضنا مواضيع شعره التي وردت في الديوان. (انظر ص ٦٠ وما بعد من هذه المقدمة)

(٤) االاغاني — ج ٣ ص ٧١.

(٥) راجع قصيدته اللامية : منايا النفس خير من الهزل. ص ٨٦.

خزيمة أنه من أبخل الناس وأكثرهم مالاً، فبثّ عيوناً فأتوه بخبره، فشدّ على إبله فاستاقها ثم قسمها في قومه. »[1]

ومما يميز عروة أن أخلاقه السامية لم تبق دفينة في نفسه مكتفية بتوجيه سلوكه وتصرفاته، بل كانت تفيض عنه شعراً سهلاً محبّباً فتشكل مدرسة يتعلم فيها ابناءُ عبس حُسنَ السلوك. يروى « أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنّا ألفَ حازم. قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً، وكنا لا نعصيه. وكنا نُقدم إقدامَ عنترة ونأتمّ بشعر عروة بن الورد وننقَاد لأمر الربيع بن زياد.. »[2] ولم يُخف عبدُ الملك بن مروان اعجابه بعفة عروة ومروءته وإيثاره المحتاجين على نفسه حين قال : « ما يسرّني أن أحداً من العرب وَلَدني، ممن لم يلدني، إلا عروة بن الورد لقوله :

إني امرؤ عافي إنائي شركةٌ — وأنتَ امرؤٌ عافي إنائك واحدُ.
أتهزأُ مني أن سمنتَ وان ترَى، — بوجهي، شحوبَ الحقّ، والحقُّ جاهدُ؟
أقسِّمُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ — وأحسو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ »[3]

---

(١) ابراهيم الخواجه ــ عروة بن الورد ــ (عن خمسة دواوين العرب) ص ١٠٣.

(٢) الاغاني ج ٣ ص ٧١ ولشدة تأثير شعر عروة قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لمربي ولده : « لا تروِّهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها :

دعيني للغِنى أسعى فإني — رأيتُ الناسَ شرُّهُم الفقيرُ

ان هذا يدعوهم الى الاغتراب عن اوطانهم. » (المصدر نفسه).

(٣) المصدر نفسه.

القسم الثالث : ديوان عروة بن الورد

يبدو أن ابن السكيت هو اول من تنبّه الى أهمية عروة وعني بجمع شعره، وعنه أخذ الآخرون. واخترنا للشرح ديوان عروة، طبع دار صادر، واقتبسنا ترتيب القصائد كما جاء فيه لأنه يتسلسل حسب الحروف الابجدية بالنسبة الى القوافي. ولذلك فإننا نعني هذه الطبعة من ديوان عروة، كلما ذكرنا الديوان.

أحصينا في الديوان تسعاً وثلاثين مقطوعة تعد، في مجملها، مئتين واثنين وأربعين بيتاً. ولقد عثرنا في ثنايا المصادر على سبعة وعشرين بيتاً، الحقناها بالديوان.

اولاً : شكل القصائد

ان ما يلفت في ديوان عروة هو أنه مجموعة مقطوعات قصيرة لا مجموعة قصائد. فأطول مقطوعة بلغت ستَّةً وعشرين بيتاً، بينما لا تتجاوز المقطوعة، أحياناً، البيتين.[1] ولذلك، في رأينا، سببان :

---

(١) في الديوان عشرون مقطوعة أبياتها دون الخمسة، واثنتا عشرة مقطوعة أبياتها ما بين الخمسة والعشرة، وست مقطوعات تتجاوز أبياتها العشرة وهي على التوالي : مقطوعة من احد عشر بيتاً، وأخرى من اثني عشر بيتاً، وثالثة من ثلاثةَ عشر بيتاً، ورابعة من أربعة عشر بيتاً، وخامسة من ستة عشر بيتاً، وسادسة من ستة وعشرين بيتاً.

الأول أن أجزاء أخرى متممة لهذه المقطوعات قد تكون ضاعت، أو لم تُرو. فمن الصعب أن نقنع بأن نتاج عروة الشعري جاء كله على هذا النمط. وفي رأينا أن شعر الشاعر الجاهلي يمكن أن يسير ويُروى ويحفظ اذا عبّر عن حكمة مطلقة أو عن صورة حضارية يتلاقى فيها الجميع ويجد كلُّ فرد لها صدىً في نفسه، أما اذا عبّر الشعرُ عن تجربة محدودة مرّ بها الشاعر فقد لا يُحفظ ولا يروى ويكون البيتُ أو البيتان دليلاً عليه وأثراً منه تسرّب الى لسان الرواة.

وليس غريباً أن يضيع شعر عروة، خصوصاً ما تعلّق منه بحياته الخاصة أو بتجربة الصعلكة. فشعره في هذا المضمار يعني صعاليكه، وقد يكونون هم رواته. والصعاليك لا يؤمّون التجمعات السكانية ولا يختلطون بالناس ليتبادلوا وإياهم الآراء والأشعار، بل إنهم يعيشون في الخفاء ويفيدون من عيشهم في الخفاء. ومعظم الصعاليك الحقيقيين لا يجرؤون على اظهار أنفسهم لأن القبائل تطلبهم بأموال لها وثارات. فإذا كانوا هم رواة أشعارهم أو أشعار أميرهم، فليس غريباً أن تتناثر هذه الأشعار، أو بعضها، على رمال الصحاري المقفرة، نقول هذا مع الاعتراف بأن أطول قصيدة في الديوان هي قصيدة « صعلوك حقير وصعلوك أمير ».[1]

والسبب الثاني هو عدم التزام عروة هيكلية القصيدة الجاهلية وتجاوزُه المقدمات التقليدية وهذا ما نتحدث عنه بعد قليل. ونكتفي الآن بالإشارة الى أن القصائد الجاهلية الطويلة، لو حُذفت منها المقدمات وأُبقي منها على الأبيات التي تتناول موضوعاً واحداً، لم يكن هذا الجزء المتبقي أطول بكثير من قصائد عروة.

(١) لعل قصر القصائد وقلة عددها عند عروة هي التي جعلت الأصمعي يرد على أبي حاتم حين سأله عن فحولة عروة، قائلاً « شاعر كريم وليس بفحل » (فحولة الشعراء ص ٢١).

ثانياً : ميزة مقطوعات عروة

تتميز هذه المقطوعات بأنها تخرج على نظام القصيدة الجاهلية وتلتزم وحدة الموضوع. فعروة لم يقف على الاطلال. ولئن أشار في قصيدة، أو في غير قصيدة، الى مكان يرتبط باسم المحبوبة فلأن ذلك المكان يرتبط أيضاً بالقصة التي يعرضها في هذه القصيدة. وعندما ذكر البرق والمطر ذكرهما في قصيدة يأسف فيها على زوجته المحبوبة.[1] وحين مدح الحكم بن مروان اكتفى بحديثه عن الناقة المجدّة وبذكر الأمل المنتظر[2]... هكذا كان عروة في مقطوعاته : يتناول موضوعاً واحداً، أو هدفاً واحداً يضعه نصب عينيه ويحاول الوصول اليه من خلال ابياته. لم يستطرد عروة ولم يعالج مواضيع الغزل والفخر والمدح وما الى ذلك في قصيدة واحدة. استغنى عروة عن الهياكل التقليدية التي قدّسها شعراء عصره وقصد مباشرة الى موضوعه يعالجه بتسلسل وتواصل ومتابعة، وبلا مقدّمات تقليدية أو غير تقليدية. ولم يكن يلتزم وحدة البيت، بل كان يعطي فكرته حقها وإن امتدت الى مجال بيتين أو أكثر. فكأن عروة لم يعش عصر الفردية في بيت الشَعر وبيتِ الشِعر. ويبدو أن خروج عروة عن نمط الحياة العادية، واغراقه في الاكتفاء بعالمه الخاص الذي صنعه على هواه، أعطياه من الاستقلالِ النفسي ما مكّنه من تجاوز الاتفاقات المتواضَع عليها والمتوارَثة.

ثالثاً : مواضيع مقطوعات عروة

ان الشعر العربي، من بين أشعار الأمم، هو أكثرُها واقعية ووجدانية : انه غالباً ما يرتبط بمناسبات الحياة اليومية محاولاً أن يكون سجلاً لها، وهو غالباً ما يعبّر عما يخالج نفس الشاعر في هذه المناسبات أو عما يتوخاه من اشتراكه فيها. والشعر

(١) راجع ص ١٢٧ « سقوني النسء... ».

(٢) راجع ص ٢٢٠ « أمل في عطاء... ».

الجاهلي، من بين شعر جميع الحقب العربية، أكثر من سواه ارتباطاً بالواقع والحياة. قد تكون لهذا الشعر قوالب ثابتة يصبُّ فيها الشاعر إلهامه، لكن هذه القوالب ما غدت كذلك لولا ارتباطها الشديد بحياة الانسان الجاهلي وبمعاناته، راعاها الشعراء بلا تمرّد أو مخالفة، انما بشكل عفوي وبقناعة عميقة. ويبدو أن شعر الصعاليك، ونخص منه شعر عروة، هو أكثر الشعر الجاهلي صفاء وتنزّهاً عن التقليد والتقيد بقوالب الشكل. فهو شعر وجداني بحت، وهو ابن المناسبة المادية وابن الخاطرة الذهنية والمعاناة النفسية. قد يمثل هذا الشعر ملامحَ من الحياة العامة، لكنه قيل فيها لأنها ملامح من حياة عروة وصعاليك عروة. لذلك كان لكل قصيدة مناسبة، ومن الصعب فهمُ القصيدة اذا لم تُعرف مناسبتها. فالقصيدة تتضمن الاسماء والأماكن التي تحددها المناسبة، والشعر فيها انفعالي، وكثيراً ما يكون رسالة موجَّهة الى جهة ارتبطت بها المناسبة، أو يكون تعليقاً عليها أو لفتة نفسية ولّدها التأثر بها... أما أهم الموضوعات التي تناولها عروة في شعره فيمكن تصنيفها كما يلي :[1]

١ ــ القضايا العائلية

أ ــ عروة وأخوه: عروة ابن النهدية وأخوه ابن العبسية لم يختلفا في النسب فقط، وانما اختلفا في الطباع أيضاً وفي نمط الحياة وفي فهم القيم والمثل الاجتماعية. اختار عروة حياة المغامرة وكسب المال لتوزيعه على المحتاجين. وعلى رغم ما في هذه الحياة من سموّ، فهي أولاً وأخيراً حياة صعلوك، والصعلوك صعلوك مهما سمت أخلاقهُ وعُرف فضلُه. والأخ لم تعجبه هذه الحياة فلم يرضها

---

(١) تناولنا حتى الآن بعض هذه الموضوعات عرضاً لحياة عروة وتعليقاً عليها مما حُفظ عن الرواة والشارحين. أما الآن فنعرض حياة عروة ومشاكله وآماله وأفكاره كما أراد لها أن تظهر في ديوانه وديوانه وحده.

لعروة. ويبدو أنه راح يعيّره نَمَطَ العيشِ هذا وينصحه بالاقلاع عنه حفظاً لصحته وقوة بدنه. فكان ذلك أكثر مما يمكن لعروة تحمّله وطفق يرد على أخيه يعيّرهُ السِمَن الذي يتسربل به ويؤكد أن نحولَه هو ليس وليدَ السفر والتنقل، وانما وليدُ الجوع الناجم عن اطعام الجائعين وايثارِهم بالقليل الذي لديه :

اتهزأُ مِنّي أن سمنتَ وأن ترى بوجهي شحوبَ الحق، والحقُ جاهد[1]

ب ــ **عروة وأبوه الورد**: لم يكن تصرفُ عروة مع أخيه عدائياً، وإن ردّ على هزئه به، وكذلك لم يكن تصرفه مع أبيه عدائياً وإن كان له مآخذ عليه. لم يكن عروة يرى أن يُلام والده لدوره في حرب داحس والغبراء، بل انه اراد الدفاع عنه ونفي الخطأ عن تصرف له ما كان باستطاعته أن يعرف مسبقاً أبعاده. ويؤكد عروة أن أباه انسان محترم يستحق الاعجاب ولا شيء يمكن أن يشينه ويقلل من قيمة حسبه وامجاده. اللهم الا الخطأ الكبير الذي ارتكبه عندما تزوج في بني نهد. ان من الاخطاء ما يمكن أن يُغتفر، لكن هذا الخطأ قاتل ولا يمكن تجاوزه. ولعل معاناة عروة من هذا النسب حملته على التصريح بأن أباه فَقَدَ حَسَبَهُ ومجدَه حين تزوج : فمصاهرة النهديين ذلٌّ لا شيء يمحوه.[2]

ج ــ **والدته** : لا يذكر عروة شيئاً عن والدته ولكنه نقمةٌ عارمة على نَسَبِها وقومِها، وطبيعة وجودِها في بني عبس.

فنسبُها من خارج عبس، وهي نزيعة؛ ويكفي ذلك ليجعل الانسان شوكةً في جسد القبيلة ؛ أما أن تكون من نهد، فذلك ما لا يمكن تقبّله. ومن هم بنو نهد ؟ إنهم جماعة مغمورون، لا حَسَب ولا أمجادَ لهم، يراوغون ويمكرون في الحرب ويشتدّون وقت السلام[3]...

---

(١) انظر مقطوعة «شحوب الحق» ص ١٢١ وما بعد.

(٢) انظر مقطوعة «الورد بن مالك يخسر أمجاده» ص ٨٥ وما بعد.

(٣) انظر مقطوعة «ثعالب في الحرب» ص ١١٣ وما بعد.

والواقع أن عروة تنازعته ثلاثة تيارات ازاء نسب والدته. ففي اتجاه أحد التيارات، كان عروة يتألم اذ يُحسّ أن جميع المكارم التي يأتيها، وجميع الأمجاد التي ينالها، يخبو ضوؤها اذا ما ذُكر نسب والدته المشؤوم. وهكذا يستحيل عليه ادراكُ المجد الحقيقي. وفي قمة ثورته العنيفة، يتمنى لو تبرّأ من أخواله، يتمنى لو أنه لم يَمُتَّ اليهم بصلة، لو أن علاقته بهم كانت أي علاقة غير علاقة النسب. فلو أنه عبدٌ لديهم لعاش على أمل الحرية، أما ارتباط النسب فلا انفصام له ولا مهرب منه[1].... وفي التيار الثاني يجري عروة وراء صوت العقل، والعقل يقول : إن المرء لا يُسألُ إلا عما يأتيه ؛ فإذا ما أتى أعمال المروءة وتحلّى بكرم الخلق، وحقّق الأمجاد، فلن ينال منه شيء، وليعيّره المعيّرون بقدر ما يريدون[2]... وفي التيار الثالث ينساق عروة وراء عاطفة البنوّة فيتولى الدفاع عن والدته وعن كل غريبة مثلها تزوجت من غير قومها. فهؤلاء النسوة هنّ أفضل مُنجبات، وأولادُهنّ عُرفن بالنجابة. وعروةُ لا يقلّ عن سواه اهتماماً بأمور القبيلة وأخذاً لثاراتها، وهذا دليل على أنّ من ولَدَتْه حُرةٌ بكل ما في الكلمة من معنىً.[3]

هكذا كان دأبُ عروة : ينفعل فيعبّر عن انفعاله في لحظته، ويسيل تعبيرُهُ شعراً صادقاً، وجدانياً، لا تشوبه شائبة من غرض أو طمع.

د ـــ عروة وزوجتاه : لم يذكر عروة شيئاً عن زوجة له من عبس، انما ذكر في شعره زوجتيه السبيّتين : سلمى الكنانية وليلى بنت شعواء الهلالية. ويبدو أن اعتاق السبيّة والزواج منها أمرٌ عادي في عالم الجاهلية، وهو يُعدّ إكراماً لها لأن من سباها يحق له التمتع بها، بلا زواج. والغريب أن مأخذ عروة على والده زواجَه من خارج قبيلة عبس كان تحاملاً منه، لأنه، هو، لم يتورّع عن السير على خطاه اذ لم

---

(١) انظر ص ١١٤.

(٢) راجع قصيدة : « هل في كريم ماجد ما يعيّر » ص ١٥٨.

(٣) راجع مقطوعة « ابن الحرة يطلب الثأر » ص ١٩١.

يكن ما قاساه من نسب والدته درساً له رادعاً، لكن الدرس جاءه من زوجتيه. فعروة استكان الى سلمى، وكذلك الى ليلى. ونشأت بينه وبين زوجتيه رابطةٌ يمكن أن نسميها حباً له واعجاباً به، حسب وصفه لها. لكن كلا المرأتين رفضتا وضعهما الشاذ، وضعَ النزيعة، وراحتا تتحيّنان الفرص للالتحاق بقومهما. والغريب أن مأساته مع أسماء تكررت مع ليلى، وإن اختلفت بعض التفاصيل :

مع سلمى ذاق عروةُ السعادة وأحس بغرور الرجل تهتمّ به زوجتُه حين تُشعره خوفها عليه اذا سافر وغامر، فكانت عروسّ اشعاره ذكرها في ثمان من قصائده[1] وصوّرها، في معظم الأحيان، وهي تنهاه عن الغزو وتطلب منه الاستقرار في بيته، أو تتأذّى من تبذيره المال لأن تبديده أحد اسباب ترك الديار لنيل غنىً يساعد على التبذير. وهو دوماً يذكّرها بأن البخل لا سبيل له الى نفسه، وأن الجبن لا يمكن أن يدخل قلبه، وأن الخوف من المجهول ومن المغامرة ومن التعرض للمهالك لا يمكن أن يخامره لحظة، وأنه لن يقبل الفقر لأن الفقر ذلّ، كما لا يقبل طلب المساعدة من أحد وامتهان نفسه.

ومع ذلك تخلت عنه سلمى، تركته لتعود الى اهلها، اثر مؤامرة شارك فيها قومُها واخوه وابنُ عمه، اذ سقوه الخمر، وحين لعبت برأسه أحاطوا به وتعاونوا عليه ليستدرجوه الى اقرار بأنه يترك لها حرية الخيار، ومقابل ذلك، يقدّمون له فديةً من مال كثير. وقد شرب وأعطى الاقرار وشرط أن يلهو بها ليلته، ثم كان الفراق، ومعه الحَسْرةُ والندم : كيف أتى شيئاً لا يوافقه عليه قلبه ولا فكره ؟

---

(١) هي : « رأبي ورأي البخل » ص ٩٦ وما بعد، « سقوني النسء » ص ١٢٦ وما بعد، « صعلوك فقير وصعلوك أمير » ص ١٤٢ وما بعد، « للغنى رب غفور » ص ١٧٤، « احب وانهق » ص ١٧٧، « ألا أقصر من الغزو » ص ١٨٥، « للمقام أطوّفُ » ص ١٩٤، « المال في خدمة الحقوق » ص ٢٢٢.

أما ليلى بنت شعواء فقد ذكرها في قصيدتين ؛[1] لكل منهما موضوع خاص، وفي كلتيهما عتب على ليلى أو إزراءٌ بها... قد يكون للأيام التي قضتها عنده اثر في نفسه. لكن الانفصال كان مأساوياً، وموقف ليلى متشنّجاً، وموقف أهلها عدائياً. لذلك كانت صدمة عروة مزدوجة : صدمة اضطراره الى التخلي عن زوجته تحت ضغط التهديد بالقتل، وهذا ما فعله أهلها، وصدمة اكتشافه قلة تقدير ليلى له وانعدام وفائها واخلاصها. فهي فضلاً عن موافقتها على تصرف أهلها، سخرت منه حين طلب منها أن تخبر عن صفاته، كما فعلت سلمى، بل انها ذهبت الى نعته بقلة العقل، وعروة معجب بنفسه وبصحة رأيه[2]. ويشدُّ عروة على ليلى في شعره، لائماً ومؤنّباً، لماذا لا تحدث صاحباتها عنه ؟ لماذا لا تذكر أمامهن ما عرفته عن كرمه وقراه، عن جوعه في الشتاء لإشباع الجياع، وحمايته عِرضَه وافراً مهما قست الظروف ؟[3]

ويبدو أن موقف ليلى، لحظة الفراق، قد ترك في نفس عروة جرحاً لا يندمل : جرحاً في كرامته وفي رجولته، لأن من مظهر الرجولة التأثير في النساء والسيطرة عليهن، بل استقطاب انتباههنّ حتى ليذهلن عن ازواجهن، وهذا ما كان يفعله عروة بهن...[4] والجرح هذا جعَل عروةَ لا يساوره، الى ليلى، الحنينُ الذي كان ينتابُه الى سلمى. وقد اغتنم عروةُ، فيما بعد، مناسبة هجاء ردّ فيه الكيلَ لابن الطفيل وقومِه بني عامر، فعرّض بليلى ذاكراً أسرَها وذلّها في موقفها آنذاك، ثم تمتُّعَهُ بها

---

(١) هما : « لعلك يوماً أن تُسرّي ندامةً » ص ١٣٤ و« اسماء العبسية وليلى الهلالية » ص ٨٧.

(٢) راجع قصيدته « رأيي ورأي البخل مختلف » ص ٩٦.

(٣) راجع قصيدته « لعلك يوماً أن تُسرّي ندامةً » ص ١٣٤ وما بعد.

(٤) راجع مقطوعته « ألا أقصر من الغزو » ص ١٨٥.

وبشبابها دهراً، قبل أن تعودَ الى أهلها وقد شاب منها الرأس ولم تعد فيها رغبةٌ لراغب.. هكذا كان الرد : طعنة بطعنة، وجرحاً بجرح أعمق.[1]

٢ ــ القضايا القبلية

خلافاً لما ذهب اليه الدكتور يوسف خليف ، ومعه الدكتور ابراهيم شحاده الخواجه، حول شعر الصعاليك الذي يخدم اغراض القبيلة، وتحديده بالفترة التي تسبق صعلكتهم، نعتقد أن هذا النوع من الشعر، عند عروة بالذات، كان مرافقاً لحياته كلها. فعروة، كما سبق لنا القول، لم يثر على قبيلته ولم يقطع بها صلته ؛ وصعاليكه كلُهم من عبس، يجمعهم ويقودهم للبحث عن رزقهم، وقد يقودهم للدفاع عن القبيلة، كما يسخّر شعره لخدمة أغراضها. ولنا، على ذلك، الأدلّةُ التالية من ديوانه :

أ ــ بين عروة وأقوام من عبس تقوم علاقات، كأي علاقات بين فرع من القبيلة وآخر : علاقات تعاون أو صراع. وهذه الانماط من العلاقات لا يمكن أن تنشأ الا نتيجة للمعايشة والتجاور... يذكر عروة بني ناشب وبني عوذ بن زيد[2]، ويوجّه اليهم رسالة أن يردّوا عنه سفهاءهم وإلا رسَخ في اعتقاده أنهم خلف أولئك السفهاء، وحينها تكون بينه وبينهم حرب يعرف، هو، نهايتها ومبلغَ الشدةِ التي سيعانون منها. ويأخذ عبساً شاهدة على ما يقول.

ب ــ وبين عروة وأعداء عبس يحكم السيف، كما يحكم اللسان : اذا ذكروا نصراً لهم على عبس ذكر، هو، انتصارات عبس عليهم، ولا يهتم باظهار نفسه صاحبَ المُبادرات ومحرز الانتصارات، المهمُّ أنها لعبس، وفي رصيد عبس يُسَجّلُها. هكذا يُخرِسُ عروةُ بني عامر الذين هلّلوا لتمكّنهم من أسر أسماء العبسية

(١) راجع مقطوعته : اسماء العبسية وليلى الهلالية ص ٨٧.

(٢) انظر مقطوعته « يلحق بالخيرات من كان أهلَها » ص ٨١.

مدة ساعات، اذ يذكّرهم ليلى بنت شعواء التي بقيت عنده سنوات، أكرمَها خلالَها وتزوّجها، لكنّ ذلك لا يمحو ما عانته، عند أسرها، من ذل الموقف ومرارة اليأس والأسى والحسرة حين عجز قومُها عن انقاذها[1].

ج ــ ان كثرة ذكر الاسفار والمغامرة، وترك الديار، ولوم الزوجة له على قضائه العمر بعيداً عنها، كل ذلك يخالف الصورة المعروفة عن الصعلوك الذي يسكن البراري والقفار. فعروة يسكن بين قومه، يترك دياره في رحلة التصعلك، ثم يعود اليها.

د ــ ان تماضر[2]، زوجته، تعيّره فقره الذي ينكّس رأسه، اثناء وجوده في النادي. ووجوده في النادي الذي يؤمّه عليّةُ القومِ دليل على عيشه بين أهله وعلى تقبُّلِهم إيّاه وتكريمهم له.

هـ ــ ومثل ذلك ذكره الحي والعيال الجائعين الذين يطعمهم في سنوات القحط[3]، فهو دليل على وجوده في الحي، بين الناس وعلى أنه لا يحيا متوحداً.

و ــ إن تسجيله مآثر قومه، ونَيلَه من اعدائهم بشعره، جعلاه شاعر القبيلة، كما جعلته فعاله، التي يذكرها، فارس بني عبس. وهاتان الصفتان، ان لم تلازماه بصورة دائمة، معروفتان له وتزداد قيمتهما اذا برزتا والحاجةُ ماسّة اليهما... إن عروة يتحدث عن يوم الرقم، وهو يوم لغطفان على بني عامر، بضمير « نحن ».[4] وهذا يسجّل انتماءه، اختياراً وطوعاً، لا الى عبس وحدها، بل الى غطفان بصورة أشمل... وعروة، بعد قتل طيء لعنترة ودعوةِ عامر بن الطفيل على طيء بجدع

(١) أنظر مقطوعته « أسماء وليلى » ص ٨٧.

(٢) اذا صحّت نسبة هذه المقطوعة اليه « المال مهابة » ص ١٠٩.

(٣) انظر مقطوعة « اذا أجدبت يحلو العطاء » ص ١١١.

(٤) انظر مقطوعة « يوم التخانق » ص ١٦٥.

انوفهم، يبشّر عامراً بأن دعوته استُجيبت وبأن عبساً حققت الثأر فغَزتْ طيئاً واستاقت نساءها الحرائر سبايا لا أمل في فكاكهنّ.[1]

ز ــ يتحدث، عروة عن استنجاد قومه به في الحرب، بأسلوب عنترة بن شداد. وواضح أن الوغى والحرب والهيجاء التي يتحدث عنها ليست حملات الصعاليك وانما حروبُ القبيلة.[2]

ح ــ في قصيدته « نبوءة ووعيد »[3] يذكر عروة أن قيس بن زهير، سيد عبس، يتمنى غُربته، أي يطلب منه ترك الديار والابتعاد عن القبيلة مع جماعته. وعروة يندِّد بهذا الطرد الملتوي ويتنبأ لعبس بفقد مُعينها وقتَ الشدة ورافع لواء مجدها في حال تحققت امنية قيس. وفي هذا دليل واضح على المكانة التي يشغلها في قبيلته.

ان عروة، اذن، ثار على تقاليد القبيلة، ثار على الظلم وقلة العدالة في التعامل مع الاخوة، ثار على عدم التوازن في توزيع الثروات، ثار على البخل كما ثار على الخنوع والاستكانة وقبول الذل، لكنه لم يثُر على عبس ولم يتخل عنها وعن مطامحها وهمومها.

٣ ــ الصعلكة

عرض عروة الصعلكة في اسبابها ومفهومها ومظاهر تجليها.

أ ــ **اسباب الصعلكة** : يعزوها عروة الى ما يمكن أن نقول عنه، بمُسَمَّيات عصرنا، «**فقدان التوازن الاقتصادي الاجتماعي**»، ومظهره خلوُّ اليد وتخلّي الأهل

---

(١) انظر مقطوعة « قد بلغت دار الحفاظ قرارها » ص ١٦٩.

(٢) انظر مقطوعة « اذا قيل يا ابن الورد أقدم » ص ١٨١.

(٣) ص ٢١٦.

والاقارب.[1] فإذا كان الفقر والغنى متجاورين في عالم الجاهلية، واذا كان المنتمي الى الجماعة انساناً مميزاً يتمتع بجميع الحقوق التي تعطيه المنعة، واذا كان الخليعُ مهدور الدم يحمل وحدَه أوزارهُ، فقد ظهرت الصعلكة بديلاً عن الغنى وانتماءً ينبع من اللاإنتماء.

ويفصّل عروة قيمة الغنى في عالمه : الغني هو المحترم، وهو المقرَّب الى الله والعباد، الله يغفر له ذنوبه، والعباد يطيفون به ويتزلفون اليه، بينما الفقر ذل، والفقير مرذول منبوذ. فالفرق كبير بين أن يملك الانسانُ المالَ فيحتاج اليه قومُه ليسعفهم وقت القحط، وبين أن يحتاج الانسانُ الى ما عند الآخرين فيطلبه منهم... كذلك الفرق كبير بين انسان تعطف عليه جماعته وتحميه، وانسانٍ يتجنبه الجميع فيغدو وحيداً غريباً. أما من ابتُلي بالمصيبتين : الفقر وتخلي الاهل، فهو انسان ميت، بل إن الموت خيرٌ له من هذا النمط من الحياة.[2] وعليه أن يرفضه، فبذلك يرفض مكائد الأهل، ويرفض الضيق، وينفتح أمامه عالمٌ واسع، عالمٌ بعيد الأرجاء غير محدود.[3]

ب ــ **مفهوم الصعلكة عند عروة** : قسم عُروة الصعلكة قسمين : صعلكة الخمول وصعلكة علوّ الهمة. فالصعلوك الخاملُ فقيرٌ حقيرٌ يزدريه الكبير والصغير، لا يحسّ نقصاً ولا يترفّع عن القيام بكل ما يؤمَر به، حتى خدمةِ النساء، في سبيل الحصول على لقمة العيش، وأي لقمة ! لقمة من فتات، من بقايا اللحم، من عظام ترمى قرب المجازر. هذه هي الصعلكة السلبية، ويقابلها الصعلكة الايجابية التي يعتنقها عروة، اليها يدعو وعنها يدافع. انها تتلاقى وعمليات الغزو التي اشعلت الصحراء وتحدث الناس عنها بفخر واعتزاز، على ما كان يتم فيها من تعدّ وظلم

---

(١) راجع مقطوعته « مذهب الصعلكة » ص ٨٩.

(٢) المقطوعة نفسها ص ٩٠ ومقطوعة « جود في الغنى وعفة في الفقر » ص ١٠٧.

(٣) ص ٩١.

وقهر، مع فارق واحد هو أن الغزوات تتم بحافز مادي وبحافز عصبي : انها بين قبائل اتفقت على الخصومة والعداوة فتناوبت الهجوم والدفاع. أما حافز الغزوات الصعلوكية فهو مادي بحت، وان كان يرفده حافز اجتماعي انساني عند عروة بالذات. وفيما تنحصر الغزوات في القبائل المتعادية، فإن الصعاليك يسطون على جميع الناس، وأحياناً على قبائلهم.

ان عروة الذي يرسم للصعلوك الخامل صورة مزرية به، يعطي صورة مشرقة للصعلوك الثائر الأبي : انه مضيءُ الوجه، مَخوفُ الجانب، يُقلق أعداءه فلا ينامون، خوفاً منه، يسهرون ليلهم في زجره واعادة زجره. وهو لا يخشى الردى لأن له خياراً من اثنين : الموت الشريف الكريم أو الغنى.[1]

ج ـ **مفهوم عروة لدوره في الصعلكة** : إن مفهوم الصعلكة عند عروة : أن يثور المرء على جماعته التي لم ترع حقَّه، حقَّ انتمائِهِ إليها، وأن يضرب في الأرض الواسعة يطلب الرزقَ، لعلَّ الأيام تسوق إليه صاحب إبلٍ يجمعها ويحميها، فيسطو عليه ويأخذ ماله ويصيب الغنى[2].

الصعلكة عند عروة هي اغتراب وأسفار، طوافٌ، بحثٌ،[3] تتبعُ أثر ونصب شِراك ورسم مكائد، وهي سطو منفرد[4]، أو في جماعة قليلة[5] تنظِّم وتوزِّع الادوار وتعيّن المهاجمَ والربيئةَ والحارس[6]... ولا بد هنا من الاشارة الى أن

---

(١) أنظر مقطوعته : « صعلوك فقير وصعلوك أمير » ص ١٤٢ وما بعد.

(٢) انظر « منايا النفس خير من الهزل » ص ٢٠٠.

(٣) المقطع السابق و« الموت في طلب الغنى » ص ١٧٢.

(٤) انظر « هل في كريم ماجد ما يعيَّر » ص ١٦٢.

(٥) أنظر « للمقام أطوّف » ص ١٩٦.

(٦) انظر « منايا القوم خير من الهزل » ص ٢٠٠.

مفهوم الصعلكة هذا هو مفهوم عام يشارك فيه عروةُ جميعَ الصعاليك. لكنّ عروة يتميز عن سائر الصعاليك بأمور :

ــ أولُها أنه ليس انساناً ناقماً على المجتمع، ينتقم منه انتقاماً نفسياً فيسطو اينما استطاع السطو، ويأخذ مال الغني والفقير على السواء. كلا، فالحوافز عند عروة تختلف عنها عند غيره. ان عروة يتصعلك ويسطو، لا ليأكل ويشبع، أو ليدّخر زاداً يتناوله أيام الجدب والقحط، وانما عروة ينطلق من الحسرة التي يورثه اياها توزيعٌ للأموال غيرُ متكافئ : بعض الناس عندهم أكثر مما يلزمهم، وبعضهم ليس عندهم ما هو ضروري. لذلك أخذ على عاتقه القيام بعمل اصلاحي : أن يعيد التوزيع بشكل عادل، أن يأخذ مال الغني البخيل ليعطيه الفقيرَ المُعدَم.[(١)]

ــ عن هذا تنجم الميزة الثانية لعروة وهي أنه لم يتصعلك لنفسه، بل تصعلك للآخرين.

كانت هموم عروة، في تصعلكه، تتجمع في سبيلين : الأول ايجاد الضحية التي يأخذ منها، والثاني توزيع المغانم على المستحقين. وقد حدّد لنا عروةُ، بدقة، الضحية النموذجية التي يختارها لغارته : انها رجل صاحب قطيع من الإبل يحميها ببخله ويمنعها أهله، يتضجّر منه أقرباؤه، وينقُمُ عليه ذوو الحاجات والأصحاب. لا أحد يرافقه لحمايتها، ولا أحد يلحقه ليتفقّدَه[(٢)]، فلا أحد، اذن، يطالب بثأره اذا اصابه مكروه. إن المغنم كبير والمخاطر قليلة، وردات الفعل محدودة. بل إن فتك عروة بهذا البخيل قد يكون خدمة فعلية يقدمها لأهله وذويه.

---

(١) يقول :

دعيني أطوِّفْ في البلادِ لعلّني ... أصيبُ غِنىً فيه، لِذي الحقِ، مَحملُ

(ص ٢٢٣)

(٢) انظر « ان منايا النفس خير من الهزل » ص ٢٠٣.

أما توزيع المغانم على المستحقين، فكالبحث عما يمكن أن يوزَّع عليهم، هَمٌّ يشغَل عروة ليل نهار. من هؤلاء المستحقين يذكر عروة « عزيزَ قوم ذَلّ » أو، كما يسميه، « كريمٌ أصابته خطوبٌ تُجَرِّف »[1]، كما يذكر الاطفال والجيران في الحي[2]، ويذكر الفقير الذي يرفع صوته بالطلب[3]. وفي الديوان لوحة فريدة تمثّل جماعة من هؤلاء المستحقين انتظروا عودة عروة بالغنائم، حتى اذا ما صار بينهم نصبوا القِدر الكبيرة، وهي قِدر اسودّت وظهرت فيها خطوط لكثرة ما استُعملت ونُقلت. في القدر راح اللحم يغلي وعليه المرق، وحول القِدر تحلّق الاطفال والايتام والنساء والارامل[4].

ــ وهنا نستخلص الميزة الثالثة لعروة في تصعلكه وهي أنه « صعلوك أمير ». لقد وصف عروة نفسه، في مواضع كثيرة من ديوانه، بصفات السيادة ؛ لكنه، في قصيدته البائية « مذهب الصعلكة »[5] يصف نفسه كصعلوك مع المحافظة على صفات السيِّد، وهذا ما جعلنا نسميه « الصعلوك الأمير ». ففي هذه القصيدة يحدّد سبب تصعلكه بضيق ذات اليد وتخلي الأقارب، مما ترفضه نفس أبية كنفسه فتجعله يستقبل فِجاجَ الأرض يَنشُدُ فيها بديلاً من الفقر ونسياناً لظلم الأهل. إلا أنه يستبق ما قد يتبادر الى الذهن من أن التصعلك ثورة، والثورة تقود أحياناً الى التطرف، يقسو معها القلب وتتجلى فيها الأنانية، فيقول : إنه ملتحم بإخوانه التحاماً عضوياً، لا يتركهم للمخاطر ما دام فيه نَفَسٌ يَرعَش... وثورته على الفقر لا تهدف الى اشباع بطنه وانما الى استمرار فضيلة القِرى والعطاء. إن تصعلكه لا يُزري به، لأنه يحافظ على نجدته ومروءته، فإذا ما نزل به جار نال حقَّ الجِوار كاملاً : لا

---

(١) انظر « للمقام أطوّف » ص ١٩٤.
(٢) انظر « اذا أجدبت يحلو العطاء » ص ١١١.
(٣) انظر « رأيي ورأي البخل مختلف » ص ٩٦.
(٤) انظر « عقوق أهل الكنيف » ص ٢٠٦ وما بعد.
(٥) ص ٨٩ وما بعد.

ضَيْمَ يصيبه، ولا تململَ ينغّص عليه اقامته، ولا غِيبة تسري من ورائه... أما النخوة العربية وتقديس المرأة ففي نفس عروة، صعلوكاً وأميراً : إنّ جارته تسرح وتمرح لا تخاف تلصّصاً. واذا فاجأتها ريح واقتلعت بيتها لم تخف ايضاً، لأن سياجاً آخر يحميها هو سياج التعفُّف في نفس جارها[1].

د ـ **غزوة صعلوكية نموذجية** : نعرض لوحة غزو أخذنا عناصرَها شذراتٍ من مقطوعات متفرقة :

* بعد بثّ العيون ودراسة المواقع حَدَّدوا مكانَ الإبل التي ينوون الاغارة عليها. وهم فضّلوا الابلَ السارحةَ في المرعى[2] على الإبل المحبوسة في الحظائر : في المرعى تكون الابل تحت حراسة محدودة، بعيدةً، نوعاً ما، عن اصحابها وفرسانِهم. وفي المرعى يسهل اقتياد الابل اذ يكفي لذلك تنفيرُها.

* أتَوا الى أواخر الإبل يضربونها على أُدبارها. أجفلت واندفعت لا تَلوي على شيء، فنفّرت ما أمامها من الماشية، وتدفّقت جميعاً.

* دَخَل الصعاليك بين الإبل وحُماتها. بعضهم اعترض طليعةَ القوم يقاتلهم بالرماح وبالسيوف الخفيفة ليشاغلَهم عن مالِهم، والبعضُ الآخَر يتابع تنفيرَ الابل وتوجيهها.[3] وراحت خيل الصعاليك تعدو بهم طاردة أمامها الإبل الكريمة، وقد أُحكِمت الخَدَمَاتُ فوق أرساغها وشُدّت اليها سيورُ نِعالها، فاجتازوا بها طرق الحجاز الضيقة الى معاقلهم الجبلية حيث يعيشون مجاورين الشَثَّ والعَرعَر.[4]

---

(١) راجع « مذهب الصعلكة » ص ٨٩ وما بعد.

(٢) هي السوّام انظر ص ١٥٤ (ستفزع بعد اليأس...).

(٣) راجع ١٥٤ (يطاعن عنها...).

(٤) راجع ص ١٥٥ (يناقلن بالشمط الكرام...).

وصل الصعاليك بغنائمهم الى منهل الماء في معقلهم. تركوا الإبل ترتاح، وترجّلوا عن خيلهم... نصبوا في المكان المرتفع رقيباً لهم بقي ثابتاً كجذع شجرة مقطوعة لا يتحرك فيه الا عيناه تقلّبان الطَرْفَ في الأرض الفضاء... [1]

ثم نُصبت القدر وأُوقدت النار، وقُطّعت الجزور وأخذت القِدر تغلي بها. وراح الناس يتحلّقون حولها : نساء وأولاد وشُبّان، يطيفون بها، يقتربون منها ويبتعدون عنها، ويتجرأ بعضهم على مد أيديهم في الماء الغالي يتناولون قطعة « لحم بعظم » يأكلونها ولمّا تنضَج... [2]

هكذا تنقضي الأيام : يوم على نجد يغيرون، ويوم على أرض الجبال، يأكلون وينعمون. [3]

رابعاً : فلسفة عروة وأخلاقه

انها فلسفة واقعية تنهل من نبعين رئيسين : ايمان بأن الموت حقّ يأتي الانسان في ميعاده، اينما كان، وإيمان بأن خيرَ الناس أنفعهم للناس. وكان تجليها على مستويات ثلاثة :

١ ــ **المستوى الأول** : ابراز صفاته الشخصية وخلقيته المميزة، بداعي الفخر ونشر الفضائل. بهذا المنظار، يتجلى عروة في الديوان متحلياً بصفات السيد وأخلاقه، بل نموذجاً للعربي الأصيل. من هذه الصفات :

أ ــ **الشجاعة** : وهي مظهر تجلي القوة في الساعد وفي النفس. فعروة شجاع

---

(١) انظر ص ٢٠٤ (اذا ما هبطنا ...).
(٢) انظر ص ٢٠٨ وما بعد (واذ ما يُريح الحيّ...).
(٣) راجع ١٥٥ (فيوماً على نجد...).

لا يخشى الحرب ولا تزعجه نتائجها[1]، يستنجد به قومه عند الملمات فيقدم عندما يحجم الآخرون أو يدبرون، ويختار أقوى الفرسان وأشدَّهم بأساً وأكثَرَهُمْ سلاحاً ليقارعهم ويتركهم على الثرى مجندلين.[2]

ب ــ **ازدراء الموت وعدم تهيّبه** : هو يؤمن بأن الموت خاتمة طبيعية لكل حياة، والدنيا ممرّ ومكان لقاء لا يلبث أن يتبعه الفراق.[3] والموت ليس دائماً أمراً مكروهاً، فهو أحياناً المنقذ وهو المريح من حياة الحرمان والذل[4]...

على ضوء هذه القناعة يمكن تفسير شجاعة عروة التي تحدثنا عنها واستخفافه بالموت ووضعه لقاءه نصب عينيه، ان سار وغامر أو بقي في مكانه، لأن الموت لا يصيب المغامر وحده، بل يصيب ايضاً المتخلف المتقاعس.[5]

ج ــ **الكرم** : وهو الفضيلة التي يجسّدها عروة في أسمى معانيها، انه يعطي كما يتنفس، وكما يشرب ويأكل، بل انه يعطي أكثر من ذلك، يعطي اللقمة، التي ليس عنده سواها، لجائع يحتاجها. قد نقول ان عروة آمن بالاشتراكية لأنه يعتد كلَّ ما عنده قابلاً لمشاركة الضيف وطالب القرى والعطاء : ففراشه فراش الضيف،

---

(١) يقول :

فلا أنا مما جرّت الحربُ مُشتكٍ ولا أنا، مما أحدث الدهرُ، جازعُ
(ص ١٨٤)

وعروة صاحب قناعة بأن أية معركة يخوضها تكون نتائجها لصالحه. لذلك كان دائماً يتحدى منافسيه مؤكداً ترحيبه بالحرب اذا أرادوها. (انظر « يلحق بالخيرات من كان أهلها » ص ٨٤) (وانظر « نبوءة ووعيد » ص ٢١٨).

(٢) انظر « اذا قيل يا ابن الورد » ١٨١ وما بعد.

(٣) انظر ص ١٦١ (وأن المنايا ثغر...).

(٤) انظر ص ١٠٨ (فرغم العيش...) وص ٢٠١ (أقيموا بني لبنى...).

(٥) انظر ص ١٨٠ (تخوفني ريب المنون...) وص ١٨٦ (لبوس ثياب الموت...) وص ١٩٥ (لعل الذي خوفتنا...).

وبيته بيت الضيف[1]، وبردته يلتف بها وضيفه اذا اشتد البرد[2]، أما ماله فمشترك بينه وبين جاره[3].

الا أن فضيلة الكرم العربية تذهب أبعد من الاشتراكية فتقارب التضحية. وقد عُرف ذلك عن حاتم الطائي، وما كان عروة يقل عنه ايغالاً في هذا الميدان. ان عروة يرهن نفسَه، فِكرَه وانتباهَهُ، وجميعَ امكاناته لِضَيفه. انه يلقاه بالبشاشة والتَرحاب، وهكذا يبدأ القِرى[4]. ثم يقف وقته على ادخال البهجة الى نفسه : يحدثه ويسلّيه ويجعله يشعر بالراحة النفسية والانبساط، ويبقى كذلك الى أن يغلب الضيفَ النعاس فيهجع ويفك أسر عروة.[5]

ويتجاوز عروة بكرمه حدود القِرى والضيافة، والعطاء لمن يطلب، يتجاوز ذلك كلَّه الى المشاركة في رفع الأعباء عن قومه : يسخّر ما يملك لتخفيف البؤس

---

(١) انظر ص ١٩٠ (فراشي فراش الضيف).
(٢) انظر ص ١٨٩ (فإنك والاضياف في بردة...).
(٣) انظر ص ١١٦ (فإذا غنيت...).
(٤) يقول عروة : (ص ١٥٧).

أيُسفر وجهي؟ أنه اول القِرى، وأبذل معروفي له، دون مُنكَري

ويعلق المرزوقي على هذا البيت بقوله : « يريد أن اظهار البشاشة للضيف وتطلّق الوجه معه، واظهار السرور بقصده ومثواه، من أوائل قراه ؛ ثم الترحيب به وايناسه من بعدُ، حتى كأنه يُنتَظَر كما يُنتَظَر الغائب الآيب ؛ ثم المبالغة في الانزال وحط الأثقال واظهار سعة الحال والمكان، الى غير ذلك مما يبسط منه ويزيل الحشمة والانقباضَ عنه... وقوله : « ابذل معروفي »... دخل تحته كلُ محمود من الأفعال والرسوم، كما أن قوله « دون منكَري » اشتمل على نفي كل مذموم من الخصال والامور. وقيل إن المنكَر هو أن يُسأَل عن حاله ونسبه وقصده في سفره وكيفية مأتاه حين نزل به، لأن جميع ذلك مما يجلب عليه حياء ويوسعه نفوراً وامساكاً.. (شرح الحماسة ج ٤ ص ١٥٧٦).

(٥) انظر ص ١٩٠ (احدثه، ان الحديث من القرى...).

عنهم في أيام البؤس، ويبذل كل ما عنده في تحمل الديات والجرائر عن جماعته. انه كرم يشع وينتشر ولا يعرف قيوداً أو حدوداً، وهو كرم ايجابي متحرك لا سلبي جامد. ولعل أطرف ما في عروة أنه يستنكر أن يصاب أناس من قومه دون أن يقوم بنصيبه في الدفع عنهم،[1] ويستعظم أن تلم بقومه ملمّة دون أن يشارك في تحمل الحقوق، ويعدّ موقفاً كهذا مرفوضاً تأباه نفسه ويفضل الموت على أن يقفه.[2]

ويتعالى عروة بكرمه الى مستوى الايثار،[3] ويدمج عطاءه بنفسه حتى لنراه يحسّ أنه لا يعطي الأموال وانما يعطي ذاته، وهذا سبب هزاله، لأن من يتحمل الحقوق لن يستطيع أن يشبع[4]. وكيف يستطيع أن يشبع وهو يعلم أن جائعاً في الحي[5] ؟ وكيف تمتد يده الى السَّمن ووعاءُ السمن عند جاره فارغ[6] ؟

وفي تقديسه للكرم يبدو البخل في نظره نقيصة كبرى. انه يستنكر مواقف الزوجة التي ترتاع لعطاءاته، ويستنكر أن تدعوه الى امساك اليد، أياً كانت الأسباب، ويؤكد أن البخل مكروه، مردود، مرفوض، لا يمكن لعُروة أن يتقبَّلَه، سواء عطش أو روى. انه والبخل ضدان لا يلتقيان أبداً.[7] وحين هجا آل سلمة بن الحُرشب الانداري تلخص هجاؤه لهم بالبخل. فرسم لهم صورة فريدة في بخلهم : انهم يبخلون في النهار ويبخلون في الليل، يبخلون ربيعاً ويبخلون شتاءً.

---

(١) انظر ص ١٥٢ (ايهلك معتم وزيد...)

(٢) انظر ص ٢٢٣ (اليس عظيماً أن تلمّ...)

(٣) يقول : (ص ٩٨)

ورُبّتَ شُبعـــةٍ آثـــرتُ فيهـــا   يداً جاءت تُغيــرُ، لهـــا هَتــيتُ

(٤) انظر ص ١٢٤ (أقسّم جسمي في جسوم كثيرة...) وص ١٢٥ (ومن يؤثر الحق النوادب...) وانظر ص ١٤١ (أقب ومخماص الشتاء...).

(٥) انظر ص ٩٨ (ورُبة شعبة آثرت فيها...).

(٦) انظر ص ٩٨ (فان حميتنا أبداً حرام...).

(٧) راجع مقطوعة « رأيي ورأي البخل مختلف » ص ٩٦ وما بعد.

لا هُمْ يعطون النابَ المسنّة، ولا نفسُهم تجود بالجمل الفتيّ الشاب، ان بخلهم يتجلى كيفما قلّبتَ النظر فيهم[1].

د ـــ **الاباء والعفة** : ان اشتراكية عروة بقيت من طرف واحد : هو يشارك الآخرين ما معه، لكنه لا يتطلع ابداً الى مشاركتهم ما معهم. ان نفسه الكبيرة، تأبى عليه أن يطلب، خوفاً من أن تصدَّه نفسٌ صغيرة فتلحق به اهانة لا تُغتفَر. ماذا يفعل عروة[2] **إذا افتقر؟** انه يقتات بما تنبته الأرض ويشرب الماء الصافي ويكتفي بذلك. انه يأبى وقفة الذل والطلب يقفها الانسان أمام غني لئيم يسأله عما تجود به نفسه. ان هذه الصورة بعيدة جداً عن عروة ويفضّل عليها أن يدخل المفاوز المهلكة متعرضاً لأسباب الردى وأفانينه، في بحث عسير عن الرزق[3]... أما الوقوف في افناء البيوت وخلف الأقبية فمرفوض رفضاً قاطعاً لأن الاحساس بالذل هنا لا يمكن أن يغطيه شيء ولا حتى أن يكون المعطي جواداً كريماً يبذل عن طيبة خاطر ويحسن معاملة المحتاج. ان عروة يأبى هذه الوقفة، والموت أسهل عليه منها. [4]

ولأن الفقر ذل، ولأن تقبّله والعيش معه استكانة، فإن عروة يدفع الفقر ويسعى أبداً في طلب الغنى. وبذا يبعد عن زوجته.

٢ ـــ المستوى الثاني : حوار الزوجة.

الى أي مدى تتقبل زوجةُ عروة تصرفاته، تبديدَه المال وافتقاره ثم رحلتَه الدائمة ومغامراته ؟ الى أي مدى تفهم بواعثه واهدافه ؟

---

(١) انظر مقطوعة « بخل ابن أكثم » ص ١٦٧ وما بعد.

(٢) يقول عروة : (ص ١١٦).

وإذا افتقرتُ فلن أرى متخشّعاً لأخي غنىً، معروفُهُ مكدودُ

(٣) انظر ص ١٦٢ « قطعت بها شك الخلاج.. ».

(٤) انظر « جود في الغنى وعفة في الفقر » ص ١٠٧.

إن كثرة ذكر الزوجة اللائمة في الديوان دليل على أنها تقض مضجع الشاعر، تتذمر وتزجر، تغضب وتنفعل، تبكي وتنتحب[1]، وقد تستخدم الدلال لتعدّل في سياسة الزوج. ومما لا شك فيه أن عمل الزوجة هذا كان دائباً متواصلاً، آناء الليل وأطراف النهار، على الطعام وعلى الوسادة، لا تني ولا تكلّ، وهي تلوم... فماذا تقول الزوجة اللائمة ؟

تقول : لك الويـــلاتُ، هل أنت تارِكٌ ضُبُوءاً، بِرَجْلٍ، تارةً، وبِمَنْسِرٍ ؟[2]

ونحن نرى بوضوح هذا النقد المتكرر :

أرى أم حسان، الغداةَ، تلومني[3] .....

واللوم الذي يطفح منه الكيل :

أقلّي عليَّ اللومَ يا بنتَ منـذرٍ ونامي، وإن لم تشتهي النوم، فاسهري[4]

بل اننا نرى، من خلال البيت السابق، تضجّر عروة الذي يلامس الغضب ويجعله يقسو على الزوجة المُتعِبة فيأمرها بالاقلاع عن اللوم وبالصمت، بالذهاب الى الفراش، بالسهر اذا لم تستطع النوم، المهم أن تغرب عن وجهه لتريحه من المناحَرَة المتواصلة ؛ مع العلم أنها المحبوبةُ المفضّلةُ عنده، الأثيرةُ لديه.

ويبدو أن مفهوم الزوجة للغنى والفقر يختلف عن مفهوم الزوج، وكذلك تقديرها للهدف من كسب المال. انها قد ترى المال غنىً لها ولعائلتها وأولادهـا،

---

(١) انظر ص ١٨٥ « تقول : ألا أقصر من الغزو... ».
(٢) ص ١٤٦.
(٣) ص ١٩٤.
(٤) ص ١٤٣.

تراه نعمة تظهر عليها تميزها عن الصواحب وتثير حسد الجارات. انها قد لا تفهم تبديد المال، كلِّ المال، دفعةً واحدة في فورة للكرم أو نفحاً لطالب عطاء محتاج، انها قد لا تفهم تعبَ زوجها ونضاله وتعرضه للمخاطر في طلب المال، ثم سهولة تخلّصه منه دون أن يقيم حساباً لنفسه ولا لزوجته ولا لأولاده. كيف يمكن أن يكون المال مالهم، فيُطعِمون به الجائعين ويبيتون هم على الطوى ؟ لقد وصل بها الأمر الى أن تكره هؤلاء السائلين وتشعر بنقمة على هؤلاء الاضياف، ويطير عقلُها لمرأى المال يُعطيه زوجها لاول طارق، فتصاب، من ذلك، بنوبة عصبية، مظهرُها التشنّج والبكاءُ والانتحاب حتى يبحّ منها الصوت، نوبةٍ تستمر الليلَ كلَّه، بينما يرفض جنباها الفراش، ويمر الوقت بها ورأسُها بين يديها، وهي مستندة على مرفقيها[1]... ان هذه الصورة شديدة التعبير وتمثّل بوضوح موقف المرأة. فليس غريباً بعد ذلك أن نراها نقمةً عارمةً على سفر زوجها وانطلاقه في الفيافي والقفار بحثاً عن الرزق. انها تفضل أن يبقى بجانبها، وتعيش بالقليل الذي يملكون[2] على أن يجمع المال، ويقضي حياته بعيداً عنها. ولكي تشده اليها وتقنعه بصحة موقفها تتنبأ بأيام مقبلة شديدة يحافظ فيها الانسان على القليل القليل الذي لديه لأنه سيكون بأمسّ الحاجة اليه[3]، وقد تصوِّرُ له المخاطرَ التي تنتظره في سفره وخوفَها الشديد عليه.[4]

ازاء هذا التصميم من الزوجة على متابعة اللوم، يطالعنا تصميم من عروة على الثبات في مواقفه وعلى متابعة شرح وجهة نظره لزوجته. ما هو **مفهومه للمال** ؟ ليس المال طريقاً لرفاهية ولمباهاة الزوجة والأولاد، انه وسيلة للقيام بواجب الحقوق وتقديم الخدمات الاجتماعية التي تخفف من صعوبة الحياة ومن

---

(١) انظر قصيدته على التاء ص ٩٦ و٩٧.

(٢) انظر ص ١٤٧ « ومستثبت في مالك العام... ».

(٣) انظر البيت السابق والذي يليه ص ١٤٨.

(٤) انظر ص ١٩٤ « للمقام أطوّف ».

ويلاتها[1]. ومع ذلك فالغنيّ لا يكفي وحده للسيادة، انما يسود الانسانُ بفعاله[2]. ويحاول عروة أن يُفهم زوجته مدى ازدرائه للمال واستعداده لبذله في حالتي الغنى والفقر ؛ فسواء امتلأت حظائرُهُ، أو فرغتْ، سيبقى عطاؤه عطاءَ السيّد الكريم.[3] والبخل كما رأينا كلمة مستثناة من صفاته واعماله ولا سبيل الى اقناعه بجدواه.[4]

ويحاول عروة أحياناً أن يسير مع التيار فلا يعارض زوجته بعنف، بل يؤكد لها أنه يرغب في الاستقرار. ولكن، حين يظن أنه جمع من المال ما يكفيه لذلك، يفجأه رجل كريم أزرت به الاحداث وذاق من المصائب ألواناً، يشكو اليه حاله وحال عياله، فماذا يستطيع ، حينذاك، سوى أن يجود بما لديه ؟

اذا قلتُ: قد جاء الغني، حال دونه أبو صبية، يشكو المفاقر، أعجفُ[5]

أما عن السفر فيتحدث عروة الى زوجته بأسلوبين : الاسلوب الاول هو اثارة مصلحتها فاهتمامها، اذ يؤكّد لها أنه يسافر لأجلها، لكي يمنع عنها موقف الذل الذي تُجبِر عليه الحاجةُ[6]. الاسلوب الثاني هو النظرة الواقعية اللاعاطفيةُ الى الأمور : صحيح أن السفر فراق، ولكن كل اجتماع في هذه الحياة ينتهي بفراق، انها سُنّة لا مفرّ منها[7]. صحيحٌ أن من يُسافر ويُغامرُ يتعرض للمخاطر ويواجه

---

(١) يقول : (ص ٢٢٣)

دعيني أُطوّف في البلاد لعلني أفيدُ غِنىً فيه لذي الحق مَحْمِلُ

(٢) يقول : (ص ١١٥)

ما بالثراء يسودُ كلُ مسوَّدٍ مُثْرٍ، ولكن بالفَعال يسودُ

(٣) انظر ص ١٥٨ « يريح عليّ الليل... ».

(٤) انظر ص ١٠١ « وقد علمت سليمى أن رأيي... ».

(٥) راجع ص ١٩٦.

(٦) انظر ص ١٤٦ وإن فاز سهمي...

(٧) انظر ص ١٦٠ « ألم تعلمي يا أم حسان أننا... ».

الموتَ، ولكنّ من يبقى في مكانه يواجهه أيضاً، وقد يسلم المغامرُ وينال الردى مِنَ القاعدِ المستقرّ [1] : لا شيء يمكن أن يحمي الانسان من قَدَره. وماذا يستطيع عروة، ازاء مسؤوليته عن عياله (صعاليكه) سوى أن يرمي نفسه في مشرق الأرض ومغربها، لينال الغنى، أو يكسب « ثواب المجتهد » ويجد لنفسه العُذر ؟ [2]

٣ ـــ المستوى الثالث : تعاليمه الموجهة الى صعاليكه.

ينطلق عروة من واقع جماعته، الواقع الذي رآهم عليه فأثار فيه نخوة العربي وإباء السيّد، وجعله يعطف عليهم ويتولى قضيتهم. إنه يصف هذا الواقع ويسلّط الأضواء على ما فيه من استكانة وخنوع ليثير فيهم الاشمئزاز منه، ثم الثورة عليه.

ان في وصفه الصعلوك الفقير، في عيشه خلف أفناء البيوت، في قيامه بأعمال النساء، في رضاه بالقليل من الزاد مقابل العمل المضني الذي يقدّمه، في تَدَنّيه الى ارتياد أماكن النفايات يجمع العظام ليمشّها، في اكتفائه بالنوم على الحصى والرمال، في انعدام طموحه حتى ليجد غناه في شبعة يؤمنها له صديق ذو يسار[3]... إن في هذا الوصف اثارة لكل نفس فيها بُقيا كرامة :

فَرُغـمٌ العـيش إلـفُ فِنـاء قومٍ،   وإن آسَوكَ، والمـوتُ الـرَواح[4]

ويتجاوز عروةُ الفردَ في وصفه ليرسم صورة الجماعة : انهم بنو لبنى، أو هم أصحاب الكنيف. وقد ارتبط التكنّف، في شعره، بالتعبير عن حياة الذل والبؤس

---

(١) انظر ص ١٩٥ « لعل الذي خوفتنا... ».

(٢) انظر ص ١٠٥ « ومن يَكُ مثلي ذا عيال... ».

(٣) انظر « صعلوك فقير وصعلوك أمير » ص ١٤٩ وما بعد.

(٤) ص ١٠٨.

واليأس[1]، كما أن أصحاب الكنيف صاروا يجسّدون فعلَ عروةَ الاجتماعي : انهم الذين أحياهم بعد مَوات، أحيا فيهم الجسد وبعث فيهم عزة النفس... ماذا يقول عروة لهذه الجماعات ؟

يقول : إن الموت واقع، لا محالةَ، فلماذا يجلس الانسان في انتظاره ولا يهبّ لملاقاته ؟ أليس الموتُ في الحرب والقتال خيراً من الموت جوعاً وهُزالاً ؟ فليتركوا الخنوعَ اذن، وليُسرجوا المطايا :

أقيموا، بني لبنى، صدور مطيّكم فكلُّ منايا النفس خيرٌ من الهَزل[2]

بالسفر وركوب المخاطر قد يلقون الموت، ولكنهم ايضاً يلقونَ به الحياةَ، الحياةَ الحقيقية المتحررة من عبودية اللقمة وذل الجوع. وهذان هما الخياران اللذان يضعهما أمامهم : إما مغامرة فيها شبع للنفس والبطن، وإما موت كريم[3].

هكذا يعيد عروة الدعوة الى المسير، ويكرر الحث على المغامرة، على الرحلة في سبيل الغنى أو الموت دون ذلك. ومتى وضع المرءُ الموت نصب عينيه سَهُل عليه القاءُ نفسِهِ في المهالك، وفي ذلك انتصار عليها وأخذٌ للحياة غصباً.[4]

وأخيراً، يثير عروة، في صعاليكه، روحَ المسؤولية، المسؤولية عن انفسهم وعمن يلوذ بهم لأنه يكرّر على مسامعهم فكرة العُذر والمسوّغ : انهم لا مسوّغ

---

(١) يقول : (ص ١٩٧)

رأيتُ بَني لبنى، عليهم غضاضةٌ، بُيوتُهُمُ، وسط الحُلولِ، التكنُّفُ

(٢) ص ٢٠١.

(٣) يقول : (ص ١٠٠)

فقلت له : ألا احيَ، وأنتَ حُرٌّ، ستشبعُ، في حياتكَ، أو تموتُ

(٤) أنظر ص ١٠٤ و١٠٥ « أقول لقوم في الكنيف... ».

لديهم للبقاء عالةً على الناس، فقراءَ خاملين، لكنهم، اذا أقدموا ولم ينالوا الغنى، عَذَروا أنفسَهم وعَذَرهم من وضَعَ أَمَلَهُ فيهم. « ومُبلغ نفسٍ عُذرَها مثلُ مُنجحٍ »[1]

فَسِرْ في بلادِ اللهِ والتمِسِ الغِنى   تَعشْ ذا يسارٍ، أو تموتَ فتُعذرا[2]

---

(١) ص ١٠٥.

(٢) ص ١٧٣، وانظر ص ١٩٦ « فإني لمُستافُ البلاد بِسرْبَةٍ... ».

القسم الرابع : شرح الديوان.

١ ـــ لغة عروة

لم يكن شعر عروة صعباً على الفهم، ولم يقصد عروة اختيار الألفاظ الغريبة، انما ما نعرفه عن الصعاليك انهم كانوا يعيشون حياةَ شَظَفٍ، وكانوا يؤمّون الأماكن النائية الخطرة، وكاد مجتمعهم أن يكون مُغلقاً ؛ فلا غرابة، إذن، إن كانت أشعارهم تمثل الصلابة وإن كانت ألفاظهم أكثر ألفاظ الشعر العربي غرابة... وما نعرفه عن الشعر الجاهلي أنه وجداني غنائي، كما سبق لنا القول، وأنه ملتزم كذلك.[1] فنادراً ما نرى شاعراً جاهلياً ينفث وجدانيته لترتاحَ نفسُه. كان الشعر الجاهلي هادفاً يتوجه الى الجماعة : يتّهم، يتحدى، يعتذر، يدعو ويدحض وما الى ذلك. وليس استحضارُ المستمع أو المشاهد أو الرفيق المجهول، في أشد لحظات الشعر وجدانية (عند وصف الاطلال وذكر المحبوبة، مثلاً) الا دليلاً على أن الشعر الجاهلي كان يُقال ليُسمع ويُنقل ويؤدي رسالة تخدم التزاماً.

وشعر عروة فيه ذلك كلّه وفيه ميزة من الشعر الجاهلي عموماً، ومن شعر الصعاليك خصوصاً.

---

(١) راجع ص ٤٥ من هذه المقدمة.

فمن الشعر الجاهلي يتميز شعر عروة، كما سبق لنا القول[1]، بوحدة الموضوع حتى أمكن وضع عنوان مقبول لجميع قصائده، وبعدم مراعاة هيكلية القصيدة الجاهلية. أما من شعر الصعاليك فيمتاز بألفاظ أقل غرابة وأسلوب أكثر سهولة. ويعود ذلك الى سببين : السبب الاول هو أن عروة الصعلوك كان، في الوقت نفسه، أميراً أو كأمير، وأنه لم ينسلخ تماماً عن قبيلته. فهو لم يعش حياة الذئاب فقط، بل عاش أيضاً حياةَ الناس في جماعة انسانية، وهذا ما حفظ له رِقّةَ الناس العادين ولينَ طباعهم وأساليبَ تعبيرهم. (بقدر ما يمكن الحديث عن الرقة واللين، في الشعر الجاهلي عموماً).

والسبب الثاني يعود الى ما ذكره الدكتور يوسف خليف عن اسلوب عروة من أنه « أسلوب شعبي، سهل اللفظ بالقياس الى شعر سائر الصعاليك، واضحُ المعنى، قريبُ التعبير، لا تكلّفَ فيه ولا تصنّع... (اذ) ان عروة كان يقوم، في حركة الصعلكة، بدور الداعية المذهبي، أو الزعيم الشعبي الذي يحرصُ على استمالة الجماهير اليه. »[2]

ومع ذلك فنحن لن نذهب الى القول بسهولة لغة عروة وبإمكان استيعاب معانيه من القراءة الأولى، وبِبُعد الوقوع في اللَّبْس عند محاولة فهم استخدامه لكلماته وتعابيره. بل عكسُ ذلك هو ما نذهب اليه. ان ما نتحدث عنه من سهولة ولين أمرٌ نسبيٌ قياساً على شعر الصعاليك الآخرين. فعروة استخدم لغة بيئته وعبّر عن واقع معاشه، وكلاهما صعبان قاسيان مرتبطان بالصلابة. بل إن استخدام عروة لبعض الكلمات كان في أشدّ معاني هذه الكلمات غرابة، حتى غدت شواهدَ للباحثين اللغويين على الاستعمال الخاص لها. وتكفي الاشارة، دليلاً على ذلك، الى أن

(١) راجع ص ٤٥ من هذه المقدمة.

(٢) الشعراء الصعاليك ص ٣٢٨.

شواهد شعر عروة جاءت في خمسة وثلاثين موضعاً من « لسان العرب »،[1] على صغر ديوانه وقلة انتاجه الشعري. وهذه احدى صعوبات الشرح التي سنتحدث عنها.

٢ ــ الشروح السابقة للديوان

يبدو أن ابن السكيت[2] ليس أول من جمع شعر عروة فحسب،[3] لكنه أيضاً أول من شرحه. ومن المؤكد أن جميع من نشروا الديوان وشرحوه، فيما بعد، انطلقوا من عمل ابن السكيت.

نُشر الديوان الذي قدّمه ابن السكيت، وحده، ونُشر ضمن مجموعة من خمسة دواوين شاركه فيها : النابغة الذبياني وحاتم الطائي وعلقمة الفحل والفرزدق.

وقد أُعيد نشرُ الديوان، بشكليه، عدداً من المرات. فالمطبعة الوهبية بمصر نشرت الدواوين الخمسة، وأعادت المطبعة الأهلية في بيروت نشر هذه الدواوين. والديوان المنفرد طُبع في الجزائر بعناية الشيخ محمد بن أبي شنب وتصحيحه. وهذه الطبعة مأخوذة من طبعة المستشرق نولدكيه، مع اضافة أبيات وشروح.

---

(١) راجع « معجم الشعراء في لسان العرب » ص ٢٨٥ و٢٨٦.

(٢) هو يعقوب بن اسحق السكيت (ابو يوسف)، « من أكابر أهل اللغة، وكان مؤدب ولد جعفر المتوكل على الله... وأخذ عن ابي عمرو الشيباني والفرّاء وابن الاعرابي... قال ابو العباس المبرّد : ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب بن السكيت في المنطق... احتاج الى الكسب فجعل يتعلم النحو. وكان يقول : أنا أعلم من أبي بالنحو وأبي اعلم مني بالشعر واللغة... «توفي عام ٢٤٤ هـ » (نزهة الألباء في طبقات الادباء. ص ١٧٨).

(٣) الديوان الذي جمعه هو الوحيد المعروف حتى الآن. وقد يكون هناك نسخة من جمع الأصمعي لكنها غير معروفة. (راجع ابراهيم الخواجه ــ عروة بن الورد ــ ص ١٤٣).

كذلك طُبع الديوان في سوريا باشراف وزارة الثقافة والارشاد القومي وتحقيق الاستاذ عبد المعين ملوّحي. وهذه الطبعة تعتمد نسخة المطبعة الوهبية... وضمن مجموعة « شعراء النصرانية »، نشر الأب لويس شيخو شعر عروة، معتمداً شرح ابن السكيت وشرح التبريزي لما ضمّه كتاب حماسة أبي تمام من شعر عروة، ومقتبساً من الاغاني حكايات عن عروة.

وأخيراً، نشرت دار صادر في بيروت طبعتين للديوان : مستقلاً أو مع ديوان السموأل. والطبعة بتحقيق الاستاذ كرم بستاني، وتفيد من مجمل الطبعات والشروح والمقدمات الواردة في الطبعات الأخرى.[1] وهذه النسخة هي التي اعتمدناها، كما سبق القول.

والواقع اننا لم نستطع الاطّلاع على جميع النسخ الوارد ذكرها، ولم يكن ذلك ضرورياً، في رأينا، لأنها كانت تتتالى آخذة، بعضُها عن البعض الآخر مع اضافات طفيفة. اطّلعنا على نسخة ابن السكيت، طبعة سوريا، وعلى شعراء النصرانية وعلى المجموعة من شعر عروة التي نشرتها جماعة « موسوعة الشعر العربي » (العصر الجاهلي) والتي لا تحيط بمجمل الديوان. ونشير الى أن هذه الجماعة حاولت أن تقدم شرحاً اجمالياً لمعاني الأبيات وتوطئة لمضمون القصائد، بهدف جعل الشاعر أقرب متناولاً وأسرعَ الى الفهم.

لقد قام الشارحون بجهد مشكور اذ حاولوا تقديم عروة، في معانيه وعباراته، الى جمهور الخاصة والعامة. وكان بعضهم يميل الى الشرح اللغوي فيدرس الكلمة في جذورها وفروعها أو استعمالها أو اعرابها، والبعض الآخر كان يلخص المعنى الذي يتضمنه البيت أو الأبيات ليجعله داني القطوف الى ذهن الانسان العادي.

لكن كلمات كثيرة بقيت دون شرحٍ يبيّن وظيفتها في معنى البيت، وبقيت أبيات تحمل معاني تجعلها غريبة عن سياق القصيدة، معاني لا تظهر وظيفتها في هدف عروة.

---

(١) راجع في ذلك كله : ابراهيم الخواجه ــ عروة بن الورد ــ ص ١٤١ الى ١٤٦.

٣ ــ خطتنا في الشرح

مع اعترافنا بالفضل الكبير للجهود التي أشرنا اليها، لم نجد شرحاً يتوقف عند كل كلمة ليعطيها حقها من شرح معناها، ولا نقصد الشرح المطلق، ولكن شرح المعنى الذي يجعلها تتوافق وما سبقها أو تبعها، بشكل يكون معه الشرح المجمَلُ عمليةَ تكامل للمعاني الجزئية تربطها، بعضَها ببعض، وتضعها في الاطار المناسب لشخصية عروة وظروف حياته ومناسبة القصيدة والهدف منها. وهذا ما كان دأبنا في شرحنا.

لقد أخذنا على عاتقنا ألا نترك كلمة واحدة دون تحديد معناها بدقة، المعنى المناسب لسياق الشعر، بحيث لا تبدو أية كلمة نافرة، ولا تظهر أية عبارة غريبة، لأننا نؤمن بأن لكل كلمة أو عبارة مَهمَّةً، وأنها تخدم غرضاً في نفس عروة وهدفاً في ذهنه. ونلفت هنا الى أننا تحاشينا، في غالب الأحيان، ذكر معان متعددة للكلمة، مما لا ننوي استخدامه في الشرح المجمل، فذهبنا مباشرة الى المعنى الذي انتقيناه.

هكذا رحنا نقدّم الكلمة في معناها، مجردة، ثم نقدّمها في جملتها، اذا لزم الأمر، ونعمد، بعد شرح جميع كلمات البيت، الى اعطاء المعنى العام له وربطه بما سبقه وبما أتى بعده. وعند الضرورة الفنية، كنا نجمع، في الشرح الاجمالي، معاني غير بيت واحد. واذا وجدنا فائدة في تقديم شرح اضافي أو تعليق ذي أهمية، أوردنا ذلك في الهامش.

٤ ــ ظروف الشرح وصعوباته

لقد اعتمدنا، للشرح والتقديم، معاجم اللغة وكتب الأدب والحضارة. وكان مرجعنا الأول « لسان العرب ». فهو من اغنى المعاجم وأوفاها وأكثرها استقصاءً للمعاني اللغوية والملامح الحضارية، مدعومةً بالشواهد والسند الصحيح. وقد تبيّنَ لنا أن معظم المعاجم التي جاءت بعده أخذت الكثير عنه، وإن لم تُفِض إفاضَتَه. ولا شك في أن بعضها حاول استدراك ما نقص منه، أو ما قصّر عنه جهدُ مؤلفه، فكنا

نفيد من ذلك، وإن تجشمنا مشقة الانتقال والبحث، لأن التقاء المعنى المناسب الذي يُزيل اللبس ويجلو الغموض كان ينسينا الجهد والتعب.

والواقع أن التعب والمشقة لم يحملهما الانتقال بين المعاجم والكتب وحده، بل كان لهما أسبابٌ نوجزها فيما يلي :

أ ــ **طبيعة اللغة العربية** : ففيها تتعدد المعاني للكلمة الواحدة تعدداً كبيراً، كما تتناقض وتتباعد، على حسب مناسبات استعمالها. وفي اللغة العربية عدد كبير من الكلمات الاضداد، أي التي تدل على المعنى وضده.(1) فاقتضى هذا منا توقفاً طويلاً عند بعض الكلمات، نقلّب ما نقع عليه من معانٍ لها، نوازن بينها، نغوص الى اعماقها ونبحث عما وراء المعنى الظاهر، الى أن نهتدي الى المدلول المناسب. ولم يكن عروة يستخدم كلماتهِ كلَّها بالمعنى الأكثر شيوعاً، وهذا طبيعي لدى من يحيا أغربَ حياةٍ في أقسى ظروف طبيعية.

ب ــ **طبيعة المعاجم الموسوعية**، وخصوصاً « لسان العرب ». فالغنى المتوافر فيها، والاحاطة المقصودة بجميع دلالات الكلمة، كل ذلك يزيد، بلا شك، امكانَ الوصول الى المعنى الصحيح. لكنه، في الآن نفسه، يزيد من صعوبة البحث ويوقعُ في الحيرة ويستهلك الوقتَ الطويل في التدقيق، حين يستوفي شرحُ الكلمة صفحاتٍ عديدة، بل عشرات الصفحات، وغالباً ما يستوفي !

ج ــ **طبيعة شعر عروة** التي تحدثنا عنها في لغته وخروجه على وحدة البيت وهيكلية القصيدة وفي التزامه وحدة الهدف في المقطوعة. لقد كان هذا العنصر

---

(1) من الأمثلة على ذلك جملة « بلغت دار الحفاظ قرارها. » فالحفاظ تعني المحافظة والمنع. وتعني الحفيظة والغضب. والقرار تعني الهدوء وتعني الموقف يتخذ. وقد اقتضانا الأمر الرجوع الى المناسبة، واقامة موازنة دقيقة للوصول الى شرح مقبول. راجع ص ١٧٠.

الأخير عاملَ ضبط يساعد على اختيار المعنى الذي يخدم الهدف، ويسمحُ بإجراء التعديل المستقى من الروايات المختلفة، حيناً، وبإجراء التقديم والتأخير على بعض الأبيات ليستقيم المعنى العام، انطلاقاً من هذا المبدأ : « التواصل والتكامل في مقطوعات عروة ».

الا أن تجاوز وحدة البيت الشعري جعل عروة لا يتحاشى التضمين، فكان يتابعُ فكرتَهُ، أو صورتَهُ، في غير بيت، واحياناً في أكثرَ من بيتين. والصعوبة هنا تكمن في أن المعنى الذي يُستكمل خلالَ بيتين أو ثلاثة، يتخللها بعضُ الجمل المعترضة والصفاتِ التي يمكنُ نسبتها الى غير موصوف واحد[1]، كل ذلك يدعو الى التفكير ملياً قبل اختيار مدلولِ الكلمة وتحديد موضعها من الترتيب الكلي. فالمعاني المتعددة، والمتعارضة، للكلمة الواحدة تجعل غير معنىً واحدٍ صالحاً لتفسير هذه الكلمة، ولكن كل معنى يجنَح بالشرح في وجهة خاصة... ولا شك في أن النقلات التي يستخدمها عروة من اسلوب التكلم الى الخطاب أو الغائب، وكلها تعني المتكلم احياناً، تخلق بعض اللَّبس اذا تتابعت خلال أبيات تتناول معنى واحداً.

---

(١) للتدليل على ذلك نذكر البيتين التاليين يصف بهما عروة طريقاً وعراً في الصحراء :

وغبـراءَ مَخْشيٍّ رداهـا، مخوفـةٍ، أخوهـا بأسبـاب المنايـا مُغَـرَّرُ
قطعتُ، بها شَكُّ الخلاج، ولم أقلْ لخيّابـة هيّابـةٍ : كيـف تأمـر ؟

فشك الخلاج ليس مفعولاً به لقطعت وانما « بها شك الخلاج » صفة أخرى للغبراء. ولو أردنا اعادة ترتيب البيتين لكانا كما يلي : وغبراء، مخشي رداها، مخوفة بها شك الخلاج، واخوها بأسباب المنايا مغرَّرٌ، قطعتها ولم أقل لخيّابة هيّابة : كيف تأمر ؟

الخاتمة

لقد عشنا مع عروة ردحاً من الزمن، وبذلنا ما أمكننا من جهد ووقت لفهمه والتغلغل في نفسه واستيعاب المشكلات التي اعترضت طريقه والاهداف التي أخذ على عاتقه تحقيقها. وحاولنا اعطاء الشرح وضوحاً وتناسقاً وتكاملاً تجعل من عروة، هذا الفارس، الصعلوك، الأمير، قريباً الى الفهم، كما هو قريب الى النفس... عسى أن نكون قد وُفِّقنا الى تقديم خدمة للمعرفة.

والله وليّ التوفيق.

سعدي ضناوي

طرابلس — لبنان


ديوان
عروة بن الورد

حـرف البـاء

١ ـــ يلحقُ بالخيراتِ مَنْ كان أَهلَها

(البحر الطويل)

يبدو أن عروة يقوم، في هذه القصيدة، بتصفية حساب بينه وبين جماعات من قبيلته عبس : يتهم بني ناشب بالتخاذل وبالتهرب من حمل المسؤولية الجماعية، ويلوم بني عَوْذ على تركهم سفهاءَهم يتناولونه بألسنة السوء، ويدعوهم الى ردّهم عنه أو يكونَ للحرب الكلمة الفصل : بها يقاسي بنو عوذٍ الجهدَ والشِدّةَ، وبنتيجتها تعلم عبسٌ من هو الشريفُ الموفورُ الكرامة.

١ ـــ أَيَا رَاكِبَاً، إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ   بني نَاشِبٍ، عني، وَمَنْ يَتَنَشَّبُ

يا راكباً : لا يقصِد بالنداء راكباً بعينه، انما هي صيغةٌ في الخطاب يَستحضِر بها الشاعرُ الجاهلي، عادةً، اشخاصاً من خياله لإسماع نجواه أو نقل انفعالاته. فالراكبُ الذي يناديه غيرُ موجود فعلاً، ولم يكن يراه أُمامه، إن هو الا صورةٌ غامضةٌ لراكبٍ، يتخذها عروةُ مطيةً تحمل مقولته.

إمّا : بمعنى إذا ما.[1]

---

(١) إما : مركّبة من [إن] حرف شرط و[ما] حرف زائد. فعل الشرط هو « عرضت » وجواب الشرط هو فعل « بلّغن ».

عَرَضْتَ : أتيت العَروض وهي : مكة والمدينة وما حولها[1]، وفيها كانت بعض منازل عبس.

بني ناشب : قبيلة من عبس. وتَنَشَّب : انتسب الى بني ناشب أو تشبّه بهم.

يريد الشاعر، في هذا البيت، ايصالَ رسالةٍ الى بني ناشبٍ أجمعين : الأصيلِ منهم والمنتسب بالولاء، أو من يريد التشبه بهم. وهو يكلف نقل الرسالة أي راكب يتوجه الى مكة والمدينة، حيث منازلُهم... أما مضمون الرسالة فيحمله البيتُ التالي.

٢ ــ أكُلُّكُــمُ مُخْتــارُ دارٍ يَحُلُّهــا وتارِكُ هُدْمٍ ليسَ عنها مُذَنَّبُ ؟

الدار : البلد، المنزل، ودار القوم : كل موْضع حَلُّوا به[2].
هُدم : ج هَدْم : الدم المهدور أو جمع هِدْم : الشيخ الذي انحطم[3]
المذنَّب : من يُحمَّل الذنبَ. وتَذنَّب على فلان : تجنّى وتجرّم[4]. ليس عنها مُذنَّب : ليس من يُحمَّل الذنبَ سواها.

* يأخذ عروةُ على بني ناشبٍ تخاذلَهم عن نُصرةِ قومهم وتهرُّبَهم من تحمُّلِ ذنوب الجماعة. فهم ينسلخون عن القبيلة واحداً بعد آخر، كلٌّ منهم يختارُ منزلاً له، بعيداً، يحِلّ به. فلا يبقى الا الشيوخُ والعجائزُ

---

(١) لسان العرب ج ٧ ص ١٧٣ وأساس البلاغة، مادة [عَرَض]. وعن الهمذاني : العروض، بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما. وفيها نجْد وغَوْر، لقربها من البحر، وانخفاض مواضع منها ومسايل اودية. والعروض يجمع ذلك كله. » (الدكتور عبد الوهاب عزام ــ مهد العرب ــ ص ٣٦).
(٢) لسان العرب ج ٤ ص ٢٩٨، مادة [دور].
(٣) لسان العرب ج ١٢ ص ٦٠٤ و٦٠٥، وأساس البلاغة مادة [هَدَم].
(٤) تاج العروس مادة [ذنب].

يواجَهون بالذنوب فيُهدر دمُهم، اذ لا مُدافِعَ عنهم. وتجدر الاشارة الى أن الذنبَ، في عالم الجاهلية، لا يتحملُه صاحبُ الجريرة، بل تحمله جماعتُهُ بأسرها، وأنّ بعض الذنوبِ موروثةٌ وتشكل عداوةً تقليديةً بين قبيلةٍ وأخرى.

٣ ـــ وَأَبْلِغْ بني عَوْذِ بن ِ زَيْدٍ رِسالةً بِآيةِ ما إِنْ يَقْصِبُوني يَكْذِبـوا :

بنو عوذ بن زيد : بطن من عبس (ونرى في البيت الأخير أن عروةَ يدعو القبيلة الأم، « عبس » الى أن تكون الحكَم بينه وبينهم).

الآية : العلامة

يقصِبوني : يشتموني. قَصَبه : شَتَمه وعَابَهُ وَوَقَع فيه[1]، أو قَطَعَهُ باللوم[2] (من القَصْب بمعنى القَطْع)

* وهذه رسالة أخرى يوجهها عروةُ الى بني عوذ بن زيد الذين يَفْترون عليه الأكاذيبَ ليَعيبوه ويشتموه (يأتي مضمون الرسالة في البيتين التاليين).

٤ ـــ فَإِنْ شِئْتُمُ، عَنّي، نَهَيْتُمْ سَفيهَكُمْ وَقَالَ لهُ ذو حِلْمِكُمْ : أَيْنَ تَذْهَبُ؟

السفيه : الجاهل، الخفيف العقل، الطائش (من السَفَهْ والسَفَاهة : خفة الحِلم، الطيش، نقيض الحِلم)

الحِلْم : العقل والأناة.

* إن موقفَ بني عَوْذٍ غامضٌ : هم لا يُناصبونه العداءَ صراحةً، وهُم لا يقفون الى جانبه بردْع سفائهم عنه. وعروةُ لا يحتملُ هذا الموقف المُلْتبس

---

(١) لسان العرب ج ١ ص ٦٧٧ مادة [قصب].

(٢) أساس البلاغة مادة [قصب].

فيُريد أن يجلوَه بوضع بني عوذٍ أمام خِيارَين لا ثالثَ لهما : إما أن يعرفوا قدْرَه وكذِبَ ما يذهب اليه السفهاءُ منهم فينبري ذوو الحلم لهم ينهَوْنهم عن الاساءةِ اليه ويسألونهم : ماذا تقصدون والى ماذا تهدفون ؟

٥ ــ وَإنْ شِئْتُمْ حارَبْتُمُوني الى مَدىً فَيَجْهَدُكُمْ شأْوُ الكِظَاظِ المُغَرِّبُ

مدىً : مدى الشيء : ما بينه وبين غايته، ومنه قولُهم : هو مني مدى البصر، أي هو حيث ينالُه بَصَري... ثم كثُر ذلك حتى قيل **للغاية** : مدى[1]. فالمدى : هو الغاية والقَدْر[2].

يَجْهَدُكم : من جَهَد : أتعب. جَهَدْتُ فلاناً : بلغتُ مشقتَه وأُجْهَدتُه على أن يفعل كذا...

الشأْو : الشوط، السَبَق، المدى، الغاية، الأمد...

المغرِّب : البعيد. والشأْو المغرِّب : الغاية البعيدة المنَال

الكِظاظ : الشدة والتعب، طول الملازمة على الشدة... الكِظاظ في الحرب : الضيق عند المعركة، المضايقة والملازمة في مضيق المعركة.

* يتابع عروة رسالته الى بني عَوْذ : اذا لم يلتزموا الخيار الأول تكونُ نياتُهم قد انكشفت ويغدو موقفُ السفهاء موقفَ الجماعة بأسْرها. حينها يكون الخِيار الثاني محتوماً، وهذا الخيار هو الحرب. لكن الحرب، اذا قامت بينه وبينهم، ستكون طويلة المَدى، دون غايتها الأهوالُ. معها سيعرف بنو عوذ مشقّةً تفوق ما يستطيعون تحمُّلَه، وسيُعانون منها الضيقَ والشِدة.

---

(١) العسكري ــ الفروق اللغوية ــ ص ٢٤٢.

(٢) لسان العرب، ج ١٥ ص ٢٧٣. مادة [مدى].

٦ ــ فَلْيَلْحَقْ بِالخَيْراتِ مَنْ كانَ أَهْلَها   وتَعلمُ عَبْسٌ : رأسُ مَنْ يَتَصَوَّبُ

الخَيرات : جمع خَيْرَة، وهي الفاضلة من كل شيء. ويقصد بها هنا : الشَرَف والمكارم.
يتصوَّب : يُنَكِّس. من التصوُّب : وهو الانحدار. والتصويب : خلاف التصعيد.. صوَّب رأسَه : خَفَضَه.

* يعرض عروة أخيراً تصوّره لنهايةالصراع، اذا نَشَب بينه وبين بني عوذ : سَيَثْبُتُ ذو الشرف، وصاحبُ الحقِ الذي اعتاد المكارمَ (ويقصد نفسه) فيرفع رأسَه بفخر. وسيخسر الكاذبُ المُفْتري (ويقصد بني عوذ) فينكِّس رأسَه بِذِلَّة.

٢ ــ الورد بن مالك يخسر أمجاده

(بحر الرمل)

يدافع عروةُ عن والِدِهِ ذاكراً أنه لا مأخذ عليه سوى أنه تزوج في بني نهد. لكن هذا الزواج كان غلطةَ العُمُر.

١ ــ لا تَلُم شيخي، فما أُدْري به   غَيرَ أَنْ شارَكَ نَهْداً في النَسَبْ

لا تلم شيخي : الشيخ، هنا، هو الورد والد عروة. ولعل الخطاب موجَّهٌ الى من يصوِّر الوردَ شؤماً على عبس بسبب دوره في اشعال حرب داحس والغبراء[1].
فما أدري به : فما أدري به من علة.

(١) راجع المقدمة ص ٢٧.

نَهْد : قبيلة والدةِ عُروة، وهي من قبائل اليمن[1]. ويبدو من حديث الشاعر عنها[2]، أنها لم تكن ذاتَ نسبٍ يُعتدُّ به.

٢ ــ كانَ في قَيْسٍ حَسِيباً ماجِداً ‌ ‌ ‌ ‌ فَأَتَتْ نَهْدٌ على ذاكَ الحَسَبْ

قيس : هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. اليه ينتسب القيسيون. وقد ترأست قيس العصبية المضرية أو العدنانية لعرب الشمال خلالَ حِقب طويلة فعُرفت هذه العصبية بالقيسية. (وذلك مقابل اليمنية التي هي عصبية عرب الجنوب).

* من الواضح أن العصبية القيسية هي التي تتحدث بلسان عروة : فوالدُه لا لومَ عليه اذا راهن حذيفة، لأنه، بانتسابه الى عبس القيسية، ذو نَسَبٍ يُعتدُّ به. وهو، في عبسٍ ذو حسب وصاحبُ أمجاد. أما خطأه الذي لا يُغتفر فهو زواجه في بني نهد المنتمين الى اليمنية : اذ يكفي انتماؤهم لتجريدهم من كل مكرُمةٍ في عين القيسيين، وتكفي مصاهرة الورد لهم ليفقد هذا كل شرفٍ له وكل مجْد.

---

(١) نَسَبُ « نهد » هو : نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة (العقد الفريد ج ٣ ص ٣٧٥) ويذهب بعض النسابين الى أن قضاعة هو ابن معدّ بن عدنان، وأن معدّاً كان يُكنى « أبا قضاعة » (تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٢٣) فتكون قضاعة، في الأصل، من عدنان وتنتمي الى عرب الشمال. لكنها، حين تيامنت الى حِمْير بن سبأ (المرجع السابق) واختارت العيش مع عرب الجنوب، انتمت فعلاً الى العصبية اليمنية. هذا، ويقول المسعودي ان بني قضاعة يرفضون الانتماء الى معدّ بن عدنان ويدّعون الانتساب الى مالك بن حِمْير بن سبأ (مروج الذهب ج ٢ ص ٨٣).

(٢) راجع قصيدته الدالية : ما بي من عارٍ... ص ١١٣.

٣ ــ أسماء العبسيّة وليلى الهلالية

(البحر الطويل)

سبى عروةُ امرأةً من بني عامر بن صعصعة يقال لها ليلى بنت شعواء، فمكثت عنده زماناً الى أن احتالت للوصول الى أهلها. ثم إن بني عامر أخذوا امرأةً من عبس يقال لها أسماء، فما لبثت عندهم يوماً حتى استنقذها أهلُها. وحين بلغ عروة فخرُ عامر بن الطفيل بِأَخْذِ اسماءَ العبسية قال يُذْكِرُهُ أخذه ليلى الهلالية :[1]

١ ــ إنْ تَأْخُذُوا أَسْماء مَوْقِفَ ساعَةٍ فَمَأْخَذُ ليلى، وَهْيَ عَذْراءُ، أَعْجَبُ

موقِف : اسم مكان وزمان من وَقَف، ويدل على مدة الوقوف. **وموقف الساعة** : هو اليوم الذي بقيت فيه أسماءُ أسيرةً. وقد عبّر الشاعر عن اليوم بالساعة تقليلاً من شأنه.

مأخذ : مصدر ميمي من أَخَذَ. ومن معانيها : أَسَرَ[2]. فالمأخذ هو الأَسْر.

العذراء : البِكْر، لم يمسسها رجل.

أعجب : من العُجْب، وهو الزَهْو

* يردّ عروة على ابن الطفيل فخرَه نافياً أيَّ داعٍ له. فما كَسَبَهُ بنو عامرٍ من أُسْر أسماء، التي بقيت عندهم يوماً أو بعض يومٍ، أمرٌ لا يدعو الى الزَهْو، بعكس أَسْرِ عروةَ لليلى. ولبيان قيمةِ عمله يُقيم عروة مقارنةً بين الاثنين : أسماءُ **امرأة** من عبس، **متزوجةٌ** في بني سُكين، فهي ليست عذراءَ. أما ليلى فبِكْرٌ لم يمسَسْها رجل. والمعروف أن الرجال يشتدون

---

(١) انظر الاغاني ج ٣ ص ٧٨.

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٤٧٣ مادة [أخذ].

عادةً في حماية عذارى القبيلة، حفاظاً على بكارَتهن. وتأكيدُ عروةَ عذرية ليلى هو للتشفي من بني عامر.

٢ ــ لَبِسْنـا زمانـاً حُسْنَهـا وَشَبابَهـــا وُرُدَّتْ الى شَعْوَاءَ، والرأسُ أَشْيَبُ

لبسنا : من لِباس الرجل : امرأته. وقال تعالى في النساء : ﴿ **هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾[1]. ذكر الزَجّاج في تفسيره : تعانقونَهن ويعانِقْنكم. والعرب تسمي المرأة : لِباساً وإزاراً. فإذا قيل : لبِسْتُ امرأةً عُني : **تمتعتُ بها زماناً**.[2]

شعواء : والدة ليلى، يقصد بها قومَها.

* يتابع عروة المقارنة بين أسماءَ وليلى، على صعيدِ مدةِ أَسْرِ كلٍ منهما. فبينما كانت مدةُ أَسْر أسماءَ ساعةً (أو ساعات) فإن ليلى أُسِرت وهي شابةٌ حسناء، وحين أُعيدت الى أهلها كان الشيبُ قد دَبَّ الى رأسها. وفيما بين أَسْرِها وإعادتها كان عروةُ يتمتعُ بحُسْنِها وشبابها.

* ولعبةُ الوقت التي يلعبُها هنا ذاتُ دلالة : فسُرعَةُ انقاذِ اسماءَ دليلٌ على حَمِيّةِ عَبْس ورفْضِها السكوتَ على الضَيم، وهي دليلٌ أيضاً على البأس والقدرة. أما بقاءُ ليلى في الأَسْر عمراً بكاملِه فدليلٌ على تخاذُلِ بني عامر وقِلة نجدتهم، ودليلٌ كذلك على ضَعْفهم.

٣ ــ كَمَأُخِذنا حَسْناءَ كُرْهاً، ودَمعُها، غداةَ اللّوى، مَغْصوبـةً، يَتَصبَّبُ

اللوى : مُنقطَع الرمل. ويقصد به الموضع الذي تم فيه الأَسْر.

* هذه الصورة للأسيرة الحسناء، ساعة اقتيدت، مغلوبةً على أمرها تبكي

---

(١) القرآن الكريم سورة : البقرة الآية : ١٨٦.

(٢) لسان العرب مادة [لبس].

بعينٍ هَتُونْ، استدركها عروةُ، زيادةً في النكاية والتجريح. اذ لا يخفى ما في هذه الصورة من طَعْنٍ في رجولةِ قومِها الذين لم يُحرِّكْهم ذُلُّها فلم يخفّوا لنجدتِها، أو لم يَجْرُؤوا على ذلك..

٤ ـــ مذهب الصعلكة

(البحر الطويل)

حاول عروةُ، في مطلع هذه المقطوعة، أن يحدِّدَ الحافزَ على التصعلك، فاذا هو : الفقر وتخلّي الأهل. ثم عمد الى تحديدِ مبادئِ الصعلكة وهي : رفضُ استبداد الاقرباء، والضربُ في الارض بحثاً عن الرزق. ثم حاول عروةُ ان يغيّر الصورة المرتسمة في الأذهان عن الصعلوك من أنه الفقيرُ الخاملُ، ليتجلّى في صورة السيّد : هو نجدةٌ للاخوان يحميهم من الموت، وهو حافظٌ للجار من أن تُذِلَّه الأيام، وهو عفيفٌ يغُضّ بَصَرَه اذا انكشف البيتُ عن جارته...

١ ـــ إذا المَرْءُ لَمْ يَبْعَثْ سَوَاماً وَلَمْ يُرِحْ   عَلَيهِ، وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُـهْ،

السَّوَام : كلُّ ما رعى من المال في الفلوات، اذا خُلّي وَسَوْمَهُ يرعى حيث يشاء.[1] (السَّوْم : الرَّعْي)

بَعَث : (البعير) : حلّ عِقاله فأرسَلَهُ. (وبعث : أرسل)

أراح عليه : (الحقَّ) ردَّه عليهِ. ورَوَاح الإبل : أن تأوي، بعد غروب

(١) لسان العرب ج ١٢ ص ٣١١ مادة [سوم].

الشمس، الى مُراحها الذي تَبيتُ فيهِ. ويُقال : أُرحتُ الإبلَ، إذا رَدَدْتُها الى المُراح[1]

* اذا لم يكن للمرء إبلٌ (مال) يتركها تسرح، نهاراً، في الفلوات، ترعى حيث تشاء، ثم تُرَدُّ، مساءً، الى مُراحها، فهو مُعْدَم.[2] فإذا تخلى عنه أهلُه، ولم يجد عندهم عِوَضاً عما أصابه الدهرُ به، فلا مفرٌ له من حياة الفقر.

٢ ـ فَلَلْمَوْتُ خيرٌ لِلْفَتى مِنْ حَياتِهِ　　فَقيراً، وَمِنْ مَوْلىً تَدِبُّ عَقارِبُهْ

المولى : يذكر ابنُ منظور عن أبي الهيثم أن المولى تعني : ابن العم والعم والاخ والابن والعَصَبات كلهم[3]. فهي ترمز إذاً الى الأهل الأقربين.
العقارب : المنن، والعقارب : النمائم. ومنها المثل : دبّت عقاربُه أي نَمَّ واقترض أُعراضَ الناس. فدبيب العقارب يرمز الى التنكُّرِ وإساءَةِ المُعاملة، والمنّة.

* يتابع الشاعر استثمار المقدمات التي عرضها في البيت الأول : اذا حكَم الدهرُ على الفتى بالفقر، واذا لم يجد هذا الفتى من أهله العونَ، وانما وجد الكيدَ له وسوءَ المعاملة، والمِنة، حينها يكون أمام أحد أمرين : **الأول** أن يقبل هذه الحياة الذليلة، والموتُ أشرفُ له من ذلك. والأمر الثاني لا يذكره عروة وانما يُضمره ويدل عليه البيت التالي. أما مضمونهُ فهو : أن يرفض هذا الواقع المخزي. **ويضربَ في الأرض متصعلكاً**.

(١) لسان العرب، ج ٢ ص ٤٦٥ مادة [روح].
(٢) المصدر السابق وفيه أن العرب تقول لمن لا يملك شيئاً : « ما له سارحةٌ ولا رائحة ».
(٣) المصدر السابق ج ١٥ ص ٤٠٨ مادة [ولي].

٣ ــ **وسائلةٍ : أينَ الرَّحيلُ ؟ وسائلٍ ، وَمَنْ يَسْأَلُ الصُعلوكَ أينَ مَذَاهِبُهُ ؟**

المذاهب : ج مَذْهَبْ : المكان الذي يُذهَب اليه، المَقصَد.

* وكأن عروة يتابع المعنى المضمَر المُشار اليه، ويرد على السائلين : في أية أرض يضرب المتصعلك، وأين يذهب ؟ والجواب أن السؤال لا يُطرح على الصعلوك، فمن اعتنق الصعلكة لا يعرف موطناً ولا يجد له مُستقراً.

٤ ــ **مَذَاهِبُهُ : أنَّ الفِجاجَ عَريضَةٌ، اذا ضَنَّ عَنْهُ، بالفَعَالِ، أقارِبُهُ**[١]

المَذْهب : هنا المُعتَقَد الذي يُذهَب اليه، وقد تعني الأصل[٢].

الفِجاج : ج الفَجّ وهو الطريق الواسع في الجبل، أو هو كل طريق بَعُد.

ضَنّ عنه : (ويصح ضنّ عليه) أمسك

* اذا حبسَ الأهلُ عن الفردِ ما يقدّمُهُ الأهلُ عادةً لأبنائهم من حسن المعاملة والإكرام، اختار التصعلك بديلاً عنهم، وذلك، إما لإيمانه بأن أرضَ الله الواسعة تُغنيه عنهم، وأنّ فيها متسعاً من الرزق للجميع، وإما لأنه يجد فيها أصلاً بديلاً عن أصله في أهله. (ولعله يشير من طرف خفي الى الرابطة التي تجمع الصعاليك الضاربين في الآفاق).

---

(١) ان تشديد عروة على ربط ظاهرة الصعلكة بتخلي الأهل، أمر ملفت للنظر، وهو تعبير عن احساس دفين لديه، فيه الكثير من المرارة.

(٢) لسان العرب ج ١ ص ٣٩٤ مادة [ذهب] ويقال : ما يُدرى له أين مَذْهَبٌ ولا يُدرى له ما مَذْهَبٌ أي لا يُدْرى أين أصلُه.

٥ ــ فَلَا أَتْرُكُ الإخوانَ، ما عِشْتُ، لِلْرَّدَى   كَمَا أَنَّهُ لا يَتْرُكُ الماءَ شارِبُهْ

الردى : الهلاك

شارِبُه : المقصود هو العطشان.

* يريد عروةُ أن يؤكدَ صلابةَ الرابطة التي تنشأ بين الصعاليك (مقابل التخلي الذي يلقونه من أهلهم) فيعلن أنّ من تربطهُ بهم رابطةُ الأخوّة (في الصعلكة) لهم عليه حقّ أن يُنجدَهم ويساعدَهم اذا حاقَ بهم الخطر. وللدلالة على قوة هذه العلاقة يشبّهها بعلاقةِ الشارب (العطشان) بالماء : يتمسكُ به ولا يتخلى عنه. ولهذا التشبيه بُعْدٌ نفسي يُدركُهُ جيّداً من ذاق عطشَ الصحراء.

٦ ــ ولا يُستَضامُ، الدهرَ، جاري وَلَا أُرى   كَمَنْ باتَ تسري، لِلصَّديق، عَقارِبُهْ

يُستضام : يُظلم

الجار : من يُجاورُ قوماً، أي يتحرَّمُ بجوارهم، فيكونُ له عليهم حُرمةُ نزولِهِ في حِماهم.

* يصف عروةُ نفسَهُ بالنجدة والوفاء. فهو لا يَسمَحُ بأن يَنال جارَه ظلمٌ، طالما هو على قيد الحياة، ولا يدعُ صديقَهُ يَسمعُ منه مِنّةً، أو عن لسانه نميمة وقَدحاً. وكأنه يذهب الى أن الصعلوكَ المثاليَّ لا يقل عن السيّد المثالي.

٧ ــ وإنْ جارتي أَلْوَتْ رِياحٌ بِبَيتِها،   تَغافَلْتُ، حتى يَسْتُرَ البَيتَ جانِبُهْ

أَلْوت به : ذهبت به

البيت : (في العجز) صاحبة البيت

الجانب : الناحية، الفِناء

* أخيراً يصف عروةُ نفسَه بالعِفة ؛ وآيتُها أنه يغضُّ الطرفَ عن جارته،

إذا حملت الرياحُ بيتَها، الى أن يحجبها الفِناء (أو جانب البيت) عن أنظاره.

٥ ــ ملحق بحرف الباء

(الطويل)

وجدنا بيتا مفردا، على قافية الباء، منسوبا الى عروة في « ديوان المعاني »، وقد ورد تحت عنوان « أبلغ ما قيل في الجبن ».[١]

وأشْجَعَ، قَدْ أدركتُهُمْ فوجدتُهُم   يخافونَ خطْفَ الطيرِ من كل جانبِ

الأشجع من الرجال: الذي كأن به جنوناً.[٢] ولعل المقصود هو الاضطراب الناجم عن الخوف والمتجلي في عدم الاستقرار (أما الأشجع المقصود فقد يكون الشاعر)

الخطْف: سرعة أخذ الشيء. ومَرَّ يخطَف خَطْفاً: مَرَّ مرّاً سريعاً.[٣]

وخطْف الطير: طيرانه المفاجيء السريع.

* المعنى لا يمكن توضيحه الا بمعرفة ما قبله وما بعده، وهذا بعيد المنال. ولعل المقصود أن الشاعر، وهو خائف مضطرب، أدرك هؤلاء القوم فوجدهم أكثر منه خوفاً وهلعاً، يجفلهم مرُّ الطير السريع قربهم، فإذا ما تطاير من كل جانب باتوا في حالة من الهلع والاضطراب تشبه الجنون.

---

(١) راجع ديوان المعاني ج ١ ص ١٩٥.

(٢) لسان العرب ج ١ ص ١٧٣ مادة [شجع].

(٣) اللسان ج ٩ ص ٧٥ مادة [خطف].

(البسيط)

ينسب ابنُ منظور البيت التالي الى عروة، في معرض استشهاده على معنى كلمة « المقاضيب »[1].

ـ لَستُ لِمُرَّةَ، إنْ لمْ أُوفِ مَرْقَبَةً، يبدو ليَ الحَرْثُ منها والمَقَاضيبُ

مُرّة : أبو قبيلة من قيس عيلان هو : مُرّة بن عوف بن سعد بن قيس عيلان.
أُوفي : أَبلُغ.
مَرْقَبة : موضع مشرف يرتفع عليه الرقيب، المَنْظَرة في رأس جبل أو حصن.
الحَرْث : الزرع
المقاضيب : جمع مِقضاب ومَقْضَبَة وهي أرض تنبت القَضْب، أو القَضْبة.
(القَضْب : كل شجر سَبِطت أغصانه وطالت)

* بهدف القَسَم أو النَذْر، ينفي عروة عن نفسه نسَبَه الى مُرّة، إن لم يصل الى مرقبةٍ في رأس الجبل، يُطلُّ منها على الأرض كلِّها، ما زُرع منها، وما كان مَنبِتاً للشجر البرّي ينمو فيه على هواه فتطول أغصانه وتنبسط.

(الطويل)

ينسب ابن منظور بيتاً آخر الى عروة على قافية الباء، في معرض استشهاده على معنى كلمة « نظر ».[2]

---

(١) لسان العرب ج ١ ص ٦٧٩ [قضب] ويذهب ابراهيم الخواجه الى ان البيت منسوب الى عروة لأنه ليس في جدوده من يُدعى مرة ويرجح أنه لعروة بن مرة الهذلي (عروة بن الورد ص ١٦٢).
(٢) المصدر نفسه ج ٥ ص ٢١٨ [نظر].

ـ ولا أَجعَلُ المعروفَ حَلَّ أَلِيَّةٍ، ولا عِدَةً في الناظِرِ المُتَغَيِّبِ

الناظِر : هنا بمعنى المنتَظَر. العِدَة : الوعد.

في الناظر المتغيب : في حال وجود غائب يُنتظَر رجوعه. والعطاء، في هذه الحال، له هدف استدرار دعاء السائل المحتاج عسى أن يشفع ذلك لردّ الغائب[1]. أو يكون العطاء مجرد وعد أو نذر ينفذ في حال عودة الغائب.

الألِيّة : اليمين والقسَم.

* ان الاحسانَ عند عروة لا يكون كفّارةً عن قَسَم لم يفِ به، ولا استدراراً لدعاءٍ بعودة غائبٍ يُنتظَر رجوعُه بفارغ الصبر، انما المعروف عنده لا يرتبط بمناسبة فهو هدف لذاته.

---

(١) لا نزال نسمع في دعاء المستعطي الذي يستثير به كَرَم المحسنين : « يا ربّ رُدّ كلَّ غريب... ».

حرف التاء

٨ ــ رأيي ورأيُ البُخْلِ مُختلِفٌ

(البحر الوافر)

تلوم الزوجةُ عروةَ على عطاءٍ قدّمه لجار فقير، فيُقرِّعها الشاعر ويقابل بُخلَها الذي يؤرّقها بكَرَمِهِ الفطري الذي يمنعه أن يَشبَعَ بينما جارُهُ يجوع، ويحثّه على طلب الحق قبل أن يفوته زمنُ الطلب.

ويؤكّد عروةُ لزوجته أن رأيَه ورأيَ البخيلِ مفترقان، وهو يعرفُ أن رأيَهُ صائبٌ فقد اثبتت انتصاراتُه ذلك. ولكنه، اذا عمي عليه أمر، لا يجد، في استشارة أهل العلم، أي غضّ من كرامته.

١ ــ أَفِــيْ نَابٍ مَنَحْنـاهَـا فقيــراً لَهُ، بِطِنابِنَــــا، طُنُبٌ مُصِيتُ،

الناب : الناقة المسنّة.

طِناب : ج طُنُب وهو حبل يَشُدُّ الخباءَ أو السُرادِق الى الوتد. وتَعني الطنابُ، مجازاً، ما تشتمل عليه المساحةُ التي تَحدُّها هذه الحبال، من الخباء وساكنيه وعاداتهم وتقاليدهم. يُقال : ردّه الى أطناب بيته، أي الى ما اعتاده أهلُه[1]. وهو مُطانبي تعني هو جاري.

(١) لسان العرب ج ١ ص ٥٦١ مادة [طنب].

مُصيت : يصدر عنه صوت[1]. والطُنبُ المُصيتُ : كناية عن بيتٍ تخرج منه أصوات النداء والصياح (من الجوع).

٢ ــ وَفَضْلَةِ سَمْنَةٍ ذَهَبَتْ اليهِ، وَأَكْثَرُ حقِهِ ما لا يَفُوتُ

الفَضلة : البقية من الشيء.

حقه : هنا، حق الضيف والجار وهو حق قَدَّسته العرب في الجاهلية وكرّسه الاسلام.[2]

يفوت : من فات : ذهبَ وسَبَقَ، أو تجاوز فلم يُدرَك. يفوت هو ما تذهب الحاجة اليه، أي يصبح خارج الاستعمال. أما « **ما لا يفوت** » فهو ما لا تزال الحاجة ماسّةً اليه.

« إنّ ما أعطيناه جارَنا الفقير، صاحب العيال الصارخين من ألم الجوع، مجردُ ناقةٍ مُسنّة لا قيمة لها، وبقيّةٌ من سمن. وهذا العطاء هو ما يُعطَى للسائل ولا يشكّل الّا جزءاً يسيراً مما يحق للجار علينا وللضيف. أما الجزء الأكبر من هذا الحق فهو عطاء من صلب مالنا، ممّا نخص به أنفسنا، لا مما تفوت الحاجة اليه ويُهمَل.

٣ ــ تَبيتُ على المرافِقِ أمُّ وَهْبٍ، وَقَدْ نَامَ العيونُ، لها كَتِيتُ ؟

تبيتُ : تمضي الليل. « وقال الزّجّاج : كلُ من أدركه الليلُ فقد بات، نام أو لم ينم. »[3]

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٧، [صوت] وصوّت : نادى وصاحَ. ويقال : صوّت : اذا صوّت بإنسان فدعاه.

(٢) لسان العرب ج ١٠ ص ٥١ [حقق] وقد جاء فيه الحديثُ : « أيما رجل ضاف قوماً فأصبح محروماً، فإنّ نصرَه حقٌّ على كل مسلم حتى يأخذ قِرى ليلتِه مِنْ زَرْعه ومالِه ».

(٣) لسان العرب ج ٢ ص ١٦ مادة [بيت].

العيون : العيون الساهرة، المراقبون.
كَتيت : صوت الغليان ؛ والكتيت : صوت في صدر الرجل يشبه صوت البكارة (ذكور الإبل) من شدة الغيظ

* يتساءل عروة مستغرباً ومعنِّفاً : ألأجل العطاء المذكور، الذي كنَّا فيه مُقَصِّرين عن حق الجار، تَبيتُ أمُ وهب (زوجته) أرِقَةً لا تستطيع أن تأوي الى فراشها من شدة حَنَقِها، فتقضي ليلها واضعةً رأسها بين كَفَّيها، مستندةً على مِرفقيها، وللغيظِ في صدرها هدير ؟؟

٤ ــ فَإنَّ حَمِيَّتَنــا، أَبَــداً، حَرَامٌ، وليسَ لِجَارِ مَنزِلِنا حَمِــيتُ

الحَميت : وعاء السمن

* كأن عروة يستأنف شرح موقفه من الجار وحقّه الذي يوجب له مشاركة كاملة في ماله : انه لا يقبل اعطاء الجار فضلات من سمنه، بل هو يحرّم السمن على نفسه، اذا لم يكن عند جاره سمن[1].

٥ ــ وَرُبَّتَ شُبْعَــةٍ آثَــرْتُ فيهــا يَداً، جاءت تُغِيرُ، لها هَتِيتُ

رُبّتَ : رُبّ : (هنا) للتكثير بمعنى « وكم مِن ».
شُبعة : مقدار ما يُشْبع مرة.
آثرت فيها : من آثَرَه عليه : فَضَّله وقدَّمه، ومنها الإيثار. ويقال : آثَرَهُ بالشيء اذا أعطاه إياه وحدَه دون سواه. أما آثرتُ **فيها** : فإما أن يكون

(١) يوضح هذا الموقف قول بشر بن المغيرة :

وكُلُّهـــمُ قد نال شِبْعــاً لِبَطنِــــهِ وشِبْعُ الفتى لؤمٌ، اذا جاعَ صاحبُهْ

لسان العرب ج ٨ ص ١٧١ [شبع].

استخدم « في » بدلاً من « الباء » لإقامة وزن الشعر، وإما أن يكون قصدُه « آثرت في أمرها » أي أقمت مفاضلةً في أمرها بين نفسي وصاحب اليدِ الممدودة، ففضّلتُه.

هتيت : من رجل مُهِتّ وهَتّات، أي خفيف، مهذار، كثير الكلام، ويَدٌ لها هتيتٌ : كناية عن السائل الذي مَدَّ يده طلباً للعطاء، ولسانُه يَلَجُّ في الطلب.

يُغير : بمعنى يستغير (أي يطلب الخير). وتأتي بمعنى يدخل الى طعام القوم بلا دعوة.[1]

* يصعِّد عروةُ هنا حرارة وفائه بحَقِّ الجار، فينقلُ موقفَه من المشاركة والمناصفة الى الإيثار. فهو، اذا لم يكن لديه ما يشبع اثنين، ولم يملك الا ما يشبعهُ وحدَه، ولمرّةٍ واحدة، فإنه يُؤْثِر سائلاً بشُبعتِهِ هذه، اذا كان السائِلُ جائعاً وجاءه مستنجداً.

٦ ـ **يَقُولُ : الحَقُّ مَطْلَبُهُ جَميلٌ، وَقَدْ طَلَبوا اليكَ، فلم يُقيتُوا**

الحق : هنا، ما يجب أداؤه، من حَقَّ الأمرُ، يحقُّ : وَجَب. فالحقّ كناية عن الواجب.[2]

طلبوا اليك : من طلب اليّ بمعنى : رغب. ويُقال : طَلَب اليّ فأطلبتُه أي أسعفتُه بما طلب

أقات (الشيء) وأقات عليه : أطاقه فهو مُقيت. ومن أسماء الله تعالى : المُقيت : هو الحفيظ وقيل : المقتدر.[3]

---

(١) لسان العرب ج ٥ ص ٣٦ [غور] وفي الحديث : « من دَخَلَ الى طعامٍ لم يُدْع اليه، دخل سارقاً وخرج مغيراً ».

(٢) وجاء في الحديث : « ليلةُ الضيف حقٌّ. فمن أصبحَ بفنائه ضيفٌ فهو عليه دين. » ويقول ابن منظور معلقاً : « جعلها حقاً من طريق المعروف والمروءة » المصدر السابق ج ١٠ ص ٥١ [حقق].

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٥ [قوت].

• كأني بعروة ينقل الينا ما يقوله صاحب اليد الممدودة والفم الجائع المهذار : إن إدراك الحق والقيامَ بواجبِ المروءة والمعروف أمرٌ جميلٌ لكنه عسير شاق لا يقدر عليه كل إنسان، وإن كثيرين استهدفوا عروة أن يجاروه في ذلك، لكنهم ما أطاقوه.

٧ ــ فقلتُ لَهُ : أَلَا آحْيَ، وَأَنتَ حُرٌّ، ستَشبَعُ، في حياتِكَ، أَوْ تَمُوتُ

• يرد عروةُ على روحِ الانهزام التي تجلّت في حديثِ طالب المعروف ويقول : عليكَ التصرُّفُ كالسيّدِ الحُرّ، لا العبدِ التابع. والسيدُ يأخذ ولا يطلبُ، فإما يُدرِكُ الغنى، والشّبَعَ مَعه، وإما يُعينُهُ الموت الشريف. (وهذا النمط من الموعظة يستخدمه عروة، عادة، مع صعاليكه).

٨ ــ إذا ما فَاتَنِــي لَمْ أَسْتَقِلْـــهُ، حَيَاتِي، والمَلائِــمُ لا تَفُــوتُ

فاتني : قصّرتُ عنه ولم أدركْه. وما يفوته هو طلب الحق أي اداء المعروف.

لم استقلْه : من استقال : طلب الإقالة وهي الصفحُ (عن الذنب) ونسيانه[1]. لم استَقِلْه : يعني لا أغفرُ لنفسي هذه العثرة.

المَلائِم : والمَلاوِم : ج مَلامة وهي الأمرُ يُلام عليه.

لا تفوت : لا تتجاوزُني ولا تذهبُ عني بل تلازمُني.

• اذا قصّرتُ في طلب الحق (اداء واجب المعروف والمروءة) ولم أدركْه، ارتكبتُ عَثْرةً لا أغفرها لنفسي ولا أنساها مدى حياتي، بينما اللومُ يُدركُني فلا يُقصِّرُ عني ولا يتجاوزني (كأنه يقابل موقف زوجته بوجهة نظره).

---

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٥٨٠ [قيل].

٩ ــ وَقَدْ عَلِمَتْ سُلَيمى أَنَّ رَأْيي وَرَأْيَ البُخلِ مُختَلِفٌ شَتِيتُ

رأي البخل : رأي البخيل في موضوع البخل.

شتيت : متباعد.

* يعود عروة الى موقف زوجته يستغربُهُ منها وهي التي تعرفُ أن رأيَهُ في البُخلِ يختلفُ تماماً عن رأي البخيل، ويبتعد عنه فلا يتقاربان أبداً.

١٠ــ وَأَنِّي لا يُرِينِي البُخْلَ رأيٌ، سَواءٌ إن عَطِشْتُ وإن رَوِيْتُ

* ورأيهُ في البخل رأيٌ ملتزم، فما من ظَرف، مهما قَسا، يمكن أن يزيّنَ له اعتناقَ البخل. إنه يرفضه اذا جاعَ كما يرفضه وهو شبعانٌ، يرفضُه اذا عطِش كما يرفضه وقد ارتوى.

١١ــ وَأَنِّي، حينَ تَشْتَجِرُ العَوالي، حَوالِي اللُّبِّ، ذو رَأْيٍ، زَمِيتُ

تَشْتَجِرُ : تتداخل وتتشابك، **وتشتجر العوالي** : تتشابك الرماح[1] وذلك كناية عن احتدام المعركة في الحرب.

حَوالِيْ : مخففة من حوالِيّ وهو الرجلُ الجيدُ الرأي، ذو الحيلة. **وحَوالي اللُب** : ذو عقل واسعِ الحيلة.

ذو رأي : يحسن تقدير الأمور واتخاذَ المواقف.

زَميتُ : رزين، متّزن، قليل الانفعال ؛[2]

* بعد ذكر موقفه من البخل وتشدده في الرأي ضده، يحاول عروةُ اثباتَ أن رأيه المتطرف هذا ليس رأيَ انسانٍ احمقَ قليلِ التبصُّر، بل هو

---

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٣٩٦ [شجر].

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥ [زمت].

لانسانٍ يحسن التصرف وقتَ الشدة، ذي عقلٍ واسعِ الحيلة وذي رأي صائب، وهو رزين متزن.

١٢ــ وَأُكفَى، مَا عَلِمْتُ، بِفَضْلِ عِلْمٍ ، وَأَسْأَلُ ذا البَيانِ، اذا عَمِيتُ

أُكفى : من كفاه الأمرَ : تولاه عنه وقام به.
ذا البيان : العارف بالأمر القادر على إيضاحه (مِن بان : اتضح)
عَميت : جهلت

* يعطي عروة برهاناً آخر على اعتدال رأيه، وبُعده عن الغرور والتصلب : فهو يعتمد هذا الرأي في الأمور التي تقع في حدود معرفته، لكنه لا يحسُّ غضاضة اذا استشار أهل العلم والمعرفة في الأمور التي تخفى عليه.

حرف الحاء

٩ ــ تَرَوَّحوا، تنالوا الغنى أو تجدوا راحةً في الموت*

(البحر الطويل)

تتابعت على سعد سنواتٌ جَهِدَ الناسُ فيها جَهداً شديداً. وكانت غطفان من احسن سعد فيها حالاً. وفي بعض تلك السنين، كان عروة غائباً، فرجع مُخفَّفا قد هلكت ابلُه وخيله وجاء قومَه بحالٍ شديدة، فوجدهم في حظيرة قد حَظَروا على انفسهم لَمَّا اعوزتهم المكاسبُ وقالوا : نموت فيها جوعاً خيرٌ من أن تأكلَنا الذئاب. فأتاهم عروةُ ونزع عنهم كنيفَهم وقال : اخرجوا، وهذه قَلوصي فَقَدِّدوا لحمَها، واحملوا أسلحتكم على هذه القلوص الأخرى حتى أصيبَ لكم ما تعيشون به أو أموتَ. فخرج، وهم معه.[1] قال عروة يذكر شدّة أهل الكنيف ومَنْ بماوانَ، ونَدْبَه اياهم حتى خرجوا معه، وقيامَهُ بأمرهم حتى صلُحُوا :

---

(١) راجع تفاصيل اوفي ص ٣٧ من المقدمة.

* في الأغاني قصة مخالفة. يقول الاصفهاني: « خرج عروة وأصحابه، حتى أتى ماوان. فنزل اصحابه وكنف عليهم كنيفاً من الشجر، وهم أصحاب الكنيف. » (ج ٣ ص ٨٢) والكنيف هو الساتر (معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ١٤٢ [كنف]).

١ ــ أَقولُ[١] لِقَوْمٍ، في الكَنيفِ: تَرَوَّحوا، عَشِيَّةَ بِتْنا، عند مَاوانَ، رُزَّحِ :[٢]

الكنيف : حظيرة من خشب أو شجر تُتخَذ للإبل وللغنم تقيها الريحَ والبرد. وقد اتخذها جماعةُ عروة لهم للغرض نفسه.

تروّحوا : سيروا في الرواح. والمقصود : سيروا لساعتكم، لأن وقت الحديث هو العشي، وقد يكون المقصود السير المطلق دون ربطه بوقت العشي لأنه يقال : تروّحوا بمعنى سيروا[٣].

رُزَّح : نعت لقوم وهو من رَزَحَ : سقط من الإعياء هزالاً، أو ضَعُف وذهب ما في يده، أو ضعُف ولصق بالأرض فلم يكن به نهوض. (أقول لقومٍ رُزَّحٍ في الكنيف : تروَّحُوا)

ماوان : وادٍ فيه ماء بين النُقرة والرَبذة.

* حين أمسينا في وادي ماوان، وجدت القوم يسقطون من الاعياء والهزال وقد أقاموا حظيرة أووا اليها (وسلّموا فيها أنفسهم للأقدار). فقلت لهم : (دعوا الاستسلام)، هبّوا، من ساعتكم راحلين (في طلب الرزق).

٢ ــ تَنَالوا الغِنَى، أوْ تَبلُغوا بِنفوسِكُمْ الى مُستَراحٍ من حِمامٍ[٤] مُبَرِّح

مُستراح : مَخرَج، الراحة ومكان الاستراحة وزمان الاستراحة. ومُستراح من حِمام : مخرج من الموت أو استراحة يأتي بها الموت.

مُبَرِّح : شديد، شاق.

---

(١) وردت « قلت » في الديوان، والتصحيح من الأغاني (ج ٣ ص ٨٢).

(٢) في الأغاني « عَشيةَ قِلْنا حول ماوان رُزَّح » (ج ٣ ص ٨٢).

(٣) لسان العرب ج ٢ ص ٤٦٤ [روح].

(٤) في امالي القالي : من عَنَاءٍ (ج ٢ ص ٢٣٤).

* المعنى الظاهر : « ان مسيركم يقودكم الى الغنى أو الى الموت وفيه راحة مضمونة ». ولكن وصفه الموت بالمبرّح يجعلنا نستبعد استحضاره ليحمل الراحة. ورأينا هو التالي : « ان مسيركم يقودكم الى الغنى. وان لم يفعل فهو يخرجكم من حظيرة الموت التي حبستم فيها انفسكم فيريحكم من انتظاره ومعاناة شدته وآلامه. »

٣ ــ وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذا عِيالٍ وَمُقْتِراً مِنَ المالِ، يَطْرَحْ نَفسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ

مُقتِراً : من أَقْتَرَ : ضاقَ عيشهُ، ومُقتِراً من المال : من قَلَّ مالهُ وافتقر.
يَطرح : يرمي ويقال : طَرَحَ به الدهرُ كلَّ مَطْرَح، اذا نأى عن أهله[1].
وطرح نفسَه كل مَطرح : بَعُد بها عن أهله.

* انني، اذ أدعوكم للمسير، فإنما أدعوكم لتفعلوا فعلي، لأن من كان مثلي قليل المال، كثير العيال، لا بد له من أن يطرح نفسه، كما أطرحُ، في كل اتجاه وفي كل مكان بعيد، سعياً وراء الرزق (بدلاً من أن يقبع في مكانه يائساً متكاسلاً).

٤ ــ لِيَبْلُغَ عُذْراً، أو يُصِيبَ رَغِيبَةً،[2] ومُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثلُ مُنْجِحِ

العُذْر : الحُجّة يقدمها المذنب. ويبلغ عذراً : يقيم حُجّةً على أنه فعل ما بوسعه.
مُبلغ نفس عذرها : من يُخرجها من الاحساس بالذنب ومن تهمة التقصير
الرغيبة : ما يُرغَب فيه من ثواب عظيم أو عطاء كثير أو غُنم كبير...
مُنجِح : ذو النُجْح وهو الظَفَر بالشيء.

---

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٥٢٦ [طرح].
(٢) في الأغاني [غنيمة] (ج ٣ ص ٨٢).

* ان الدعوة الى السعي حافزها واجب الانسان نحو نفسه وعياله، ونتيجتها أن يغنم ما يسعى اليه أو لا يوفّق في مسعاه فيُعذَر لأنه لم يَألُ جهداً في سبيل ذلك. وكأن عروة يضع قاعدة لتقدير العمل اساسها الجهد المبذول لا النتائج التي يؤدي اليها. وبذلك يتساوى، في نظره، من غَنِم ومن لم يغنم اذا استحق أن يُعذر.

٥ ــ لَعَلَّكُمُ أَنْ تُصْلُحوا بَعدمَا أَرَى   نَبَاتَ العِضاهِ الثائِبِ المُتَرَوِّحِ

العِضاه : كل شجر له شوك[1]

الثائب : الراجع (من ثاب : رجع) والمقصود : العائد الى حاله المعروفة.

تروّح الشجر : تفطّر بالورق قبل الشتاء، من غير مطر[2] (وذلك حين يبرد الليل)

* يتمنى لهم، اذا سمعوا نصيحته، أن تصلُح حالُهم سريعاً، كما يعود العضاه، أحياناً، الى نضارته ويتفتق بالورق، قبل أوانه.

٦ ــ يَنُوؤُونَ بالأَيدي، وَأَفضَلُ زادِهِمْ   بَقِيَّةُ لَحمٍ مِنْ جَزُورٍ مُمَلَّحِ[3]

ناء بحمله : نهض بجَهد ومشقة، نهض مُثقَلاً. وناء به الحمل : أثقل عليه.

ينوؤون بالأيدي : تثقل عليهم أيديهم فلا يرفعونها إلا بجهد.

---

(١) الثعالبي ــ فقه اللغة ص ١٤.

(٢) لسان العرب مادة [روح]. ج ٢ ص ٤٦٦.

(٣) وضع هذا البيت هنا غير طبيعي فهو يتابع وصف اصحاب الكنيف الذين ذكرهم في البيت الأول، والنقلة من الخطاب في البيت الخامس الى ضمير الغائب في هذا البيت، لا مسوّغ لها. وقد وجدنا بيتاً منسوباً الى عروة في «لسان العرب» مادة [ملح] يوافقه في العجز ويخالفه في الصدر وهو :

أَقَمْنا بِهَا حِيْنَاً، وأُكثَرُ زادِنا   بَقِيَّةُ لَحْمٍ مِنْ جَزُورٍ مُمَلَّحِ =

جَزور : ناقة مذبوحة.
مُمَلّح : (نعت للجزور) من المِلْح : السِمَن القليل. والجزور المُمَلَّح : الناقة التي سمنت قليلاً.

* يعود، اذ يتحدث عن حالهم التي يتمنى لها أن تصلح، الى وصف هذه الحال وما هم عليه من الجهد والأعياء حتى لتثقل عليهم ايديهم فلا يرفعونها الا بمشقة، وما هم عليه من فقدان الطعام حتى ليعدوا قطعة لحم من ناقة قليلة السمن أفضل زاد يحصلون عليه.

١٠ ـــ جودٌ في الغنى وعفةٌ في الفقر

(البحر الوافر)

١ ـــ إذا آداكَ[1] مالُكَ، فَامتَهِنْـــــهُ لِجَادِيه ؛ وَإنْ قَرِعَ المُـــرَاحُ،

آداك : أعانك. اذا آداك مالُك : اذا توافر عندك المال فأعانك على العطاء
امتهِنْه : ابتذله، لا تتشبث به.
الجادي : طالب الجدوى وهي العطية. فالجادي هو المستعطي.

= والأرجح لدينا أن يكون بيت عروة على هذه الصورة وموقعه في القصيدة موقع البيت الثاني، فيؤكد حينها مناسبة القصيدة ويكون معنى البيتين الأول والثاني : أننا، عشية وصلنا الى ماوان، ووجدنا القوم يكادون يسقطون هزالاً واعياء وقد كنفوا على انفسهم، نحرت لهم ناقتي القليلة السِمَن، ثم أقمنا فترةً معظمُ طعامنا من بقايا لحمها، وقلت لهم : دعوا التخاذل وسيروا...

(١) في الديوان « آذاك » بدلاً من « آداك » والتصحيح عن ابن منظور الذي أورد البيت منسوباً الى عروة بن أذينة. (لسان العرب ج ٨ ص ٢٦٨ مادة [قرع]) وعن امالي القالي (ج ٣ ـــ ذيل، ص ٥٨).

قَرِعَ : خلا (ومنه قَرِعَ الرأس اذا خلا من الشعر)
المُراح : الموضع تأوي اليه الإبل في المساء وتبيت فيه. ويقال : قَرِعَ مأوى المال، ومُراحُه، من المال، اذا هلكت ماشيته فخلا.

٢ ـ وَإنْ أخْنَى عليكَ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَنَبْتُ الأَرضِ والماءُ القَرَاحُ

أخْنى عليك : أي أخنى الدهر عليك : مال عليك وأهلكك.
لم تجده : أي لم تجد المال.
القَرَاح : الماء الذي لا يخالطه شيء، وهو ايضاً الماء الذي يُشرب إثر الطعام.

* ومعنى البيتين : اذا توافر عندك المال فمكَّنَكَ من العطاء، ابتذلْه للمستعطي. وان هلكتْ ماشيتُك فخلا منها المُراح، ومال عليك الدهر بمصائبه فأفقرك، وطلبتَ المالَ فلم تجده، فعليك بنبت الأرض تقوّت به، وبالماء الصافي اشرَبْهُ بعده (وأنت موفور الكرامة).

٣ ـ فَرُغْمُ العَيْشِ إلْفُ فِنَاءِ قَوْمٍ، وَإنْ آسَوْك، والموتُ الرَواحُ

الرُغم : الاكراه والذل. ورغم العيش : ذل العيش أو العيش الذليل.
إلْفُ : اعتيادُ.
الفِناء : سعة بجانب الدار. وفِناء الدار : ما امتدّ من جوانبها. وإلْفُ الفِناء : اعتيادُ العيش الى جانب دار قومٍ لتقديم خدماتٍ لهم ونيلِ ما يجودون به، وهذا عملٌ كان يمتهنه بعضُ الصعاليك.
آسوك : خفّفوا من مصيبتك بكلامٍ لطيف.
الرَواح : الراحة. يقال : ما لفلان من رَواح أي من راحة.

* أما ارتياد اطراف البيوت، ولو أحسن أهلُها معاملتَك، فهو الذل، كلُ الذل. وان لم تستطع منه بديلاً، ففي الموت راحة لك.

١١ ـــ المال مهابة والفقر مذلّة

(الكامل)

في حين كانت سلمى، زوجة عروة، تأخذ عليه كثرةَ غزواته وتحثه على الاستقرار، كانت تُماضر تَّنعى عليه القعودَ وتدعوه الى المخاطرة لأجل الغنى، وتقول : انّ الفقرَ ذُلٌّ والمالَ عِزّ.[1]

١ ـــ قالَتْ تُماضِرُ، إذْ رَأتْ مالِي خَوَى، وَجَفَا الاقارِبُ، فالفـؤادُ قَـريحُ :

خوى : خلا. وخوى مالي : تلاشى. والمال، في الادب الجاهلي، غالباً ما يعني الأبل.

جفا : تجنّب، نبا، وتباعد.

قريح : جريح، متألم.

* حين تلاشى مالي، وتجنبني الأقارب فبات القلب جريحاً متألماً، قالت لي تُماضر :

---

(١) يذهب ابراهيم شحاده الخواجه الى أن هذه الأبيات، على الأرجح، منسوبة خطأً الى عروة لأن مضمونها يخالف ما يدعو اليه عروة في معظم قصائده من ضرورة الحركة وكسب الرزق، وأن من عادة زوجته أن تلومه على المغامرة والاسفار لا على القعود والاستكانة. (أنظر « عروة بن الورد » ص ١٥٥) والذي يزيد من قوة هذا الرأي أن تماضر هذه لم يأت ذكرها في نساء عروة. ومع ذلك أثبتنا المقطوعة لأن احتمال نسبتها الى عـروة غير بعيد. فقد يكون تَقَاعس في فترة من حياته لأسباب نجهلها، وقد تكون له زوجة اسمها تماضر غير زوجتيه السبيّتين سلمى وليلى. والقارئ لمقطوعته « للغني ربٌّ غفور » يجد اشارة واضحة الى أقوال تماضر من سوء وضع الفقير بين أهله ومن احتقار اهل المجلس له وازدراء زوجته وكذلك اطفاله. (انظر ص ١٧٤).

٢ ــ ما لِي رَأَيْتُكَ في النَّدِيِّ مُنَكَّساً، وَصِباً، كأنكَ، في النَّديِّ، نَطِيحُ؟

النديّ : المجلس، ما دام القوم مجتمعين فيه. ومثله النادي.

وَصِب : مريض، متألّم.

مُنكَّس : مطأطيء الرأس (مِن ذُل)

نطيح : رجل نطيح أي مشؤوم[1]. والنطيح من اصابه الثور بقرنه.

* ما قالته تُماضر هو التالي : لماذا أراك قانعاً بوضعك المُشين، تكون بين الناس في المجلس مطأطيء الرأس ذليلاً كأنك انسان مشؤوم يتجنبه اقرانه ؟

٣ ــ خاطِرْ بنَفْسِكَ كَيْ تُصيبَ غَنِيمةً، إنَّ القُعودَ، مَعَ العِيالِ، قَبِيحُ

* ان القعود في البيت، بين النساء والأولاد، لا يَليقُ بالرجال. فانفُضْ عنك غبارَ الكسل والخوف، وارْمِ بنفسِك الى المخاطر عَلَّك تغنم فتغنى.

٤ ــ المالُ فيهِ مَهابَةٌ وَتَجِلَّةٌ، وَالفَقْرُ فيهِ مَذَلَّةٌ وفُضُوحُ

التَجِلّة : الجلالة وهي العظمة.

الفضوح : كشف المساوئ.

* من يحوي المال يكسب الجلال والتعظيم والاحترام، ومن يصيبه الفقر يناله الذل، وتنكشف للناس جميع مساويه. (لأن الناس يغفرون للغني ما لا يغفرونه للفقير).

---

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٦٢١ [نطح].

١٢ ــ اذا اجدبت، يحلو العطاء

(البسيط)

١ ــ هلّا سألتَ بني عَيـلانَ كلَّهُـمُ، عند السنينَ، اذا ما هَبَّتِ الريحُ

بني عيلان : بني قيس عيلان : هي القبيلة الأم التي ينتمي اليها العبسيون ومعظم قبائل عرب الشمال.

السنين : جمع « السنة » وهي سنة القحط والجدب.

اذا هبت الريح : في سني الجدب تهب الرياح باردة، يأتي بردها على ما أبقاه الجدب من انسان وحيوان ونبات. في ايام الجدب يقل الزاد ويضن به صاحبه، فتزداد قيمة العطاء.

* في سني الجدب والقحط، اذا ما هبت الرياح الباردة حاملة الموت، يعرف بنو قيس عيلان جميعهم أننا لا نأكل زادنا، وحدنا.

٢ ــ قد حانَ قِدْحُ عِيالِ الحيّ إذْ[1] شبِعُوا وآخرٌ لِذَوي الجِيرانِ مَمْنُوحُ

القِدْح : وهو ايضاً الزَلْم (جمعها ازلام) : السهم لا ريش عليه ولا نصل له، يستخدم في معرفة الحظ وفي الميسر وفي تقسيم اجزاء الجَزُور (الناقة المذبوحة) على المشتركين في ثمنها. لذا هو يعني « النصيب » منها و« الحصة ».

---

(١) اذ : تدل على ما مضى وسبق من الزمان. لكن الشبع هنا ليس سابقاً في الزمن لخروج القدح، وانما يليه مباشرة وبصورة سريعة. وهذا ما جعل الشاعر يدغم الزمنين: زمن خروج القدح وزمن حصول الشبع حتى كأنهما زمن واحد. فالمعنى : ما إن خرج القدح حتى أكل العيال وشبعوا. (راجع، في معنى قريب، لسان العرب مادة [اذذ] ج ٣ ص ٤٧٧).

ممنوح : من مَنَح : أعطى، وهب.

* ان في زادنا حصة لعيال الحي تُخرج لهم فيشبعون، وحصة أخرى تُمنح للجيران.

قافية الدال

١٣ ـــ ثعالبُ في الحرب وأُسْدٌ في السلام

(الطويل)

سبق لعروة أن عدّ مأخذاً أوحدَ على والده زواجَه في بني نهد.

وعروة يُقِرُّ هنا أن ما فيه من أصل نهدي هو العارُ الوحيد الذي أصابه. ذاك ان بني نهد جبناءُ في الحرب، وأُسْدٌ حين تنفرج الشدة.

١ ـــ ما بِيَ مِنْ عارٍ إخالُ عَلِمتُـــهُ سوى أَنَّ أخوالي، إذا نُسِبوا، نَهْدُ

إخالُ : أظن.

نهد[1] : من بني نهد، وهم قبيلة والدةِ عروة.

* ان العار الوحيد، الذي أظنه يلحق بي، هو أنني، حين انتسب الى الأخوال، انتمي الى نهد.

٢ ـــ إذا ما أَرَدتُ المَجد قَصَّرَ مَجْدُهُمْ، فَأَعْيا عَلَيَّ أَنْ يُقارِبَنِي مَجْدُ

قصّر مجدهم : قصّر عن أن يرفدني.

(١) راجع ص ٢٩ وص ٤٧ وص ٨٦.

* من عادة العرب أن تفخر بالنسب. واكتمالُ النسب هو شرفُ الجَدّين : والد الأب ووالد الأم، فيقال عمن يجتمُع له ذلك : مُعِمّ مُخْول. والمكتفي بجَدٍ واحدٍ هو كطائرٍ يطيرُ بجناحٍ بدلاً من اثنين. وهذا بالضبط هو احساسُ عروة : ان كل ما يقومُ به ويفعلُه يقودُه الى المجد، وهو واصلٌ اليه حتماً لو لم يكن في نسبهِ هذه الصلةُ النهديةُ التي لا يمكن لها أن تحلّق معه، فتشدُّه وتُقصِّر به فينأى عن المجد ويبتعد.

٣ ـ فَيَا لَيْتَهم لم يَضرِبوا فيَّ ضَرْبَةً، وَأَنِّيَ عَبْدٌ فيهِمُ، وَأَبي عَبْدُ

* يتمنى لو لم يكن لبني نهد أية مشاركة في تكوين شخصيته، وأن علاقته بهم كانت علاقة أخرى، غير علاقة النسب، أياً كانت تلك العلاقة. إنه يرتضي أن يكون فيهم عبداً، وأن يكون أبوه أيضاً عبداً لديهم، بدلاً من أن يصهر اليهم. (فعلاقة العبودية تزول، والعبد يتحرر، ولكن كيف التحرُر من صلةِ النسب ؟).

٤ ـ ثَعالبُ في الحربِ العَوانِ، فَإنْ تَبُخْ وتَنْفَرِجِ الجُلَّى، فَهُمُ الأُسْدُ

الحرب العَوان : الحرب المترددة التي دارت مرةً وتعودُ لتدورَ مرةً أخرى. والعرب يتشاءمون بها نظراً لما قَاسَوه من الحروب الطويلة المترددة.
باخت الحرب : خمدت وسكَنَ أوارها.
الجُلّى : الأمر العظيم، وهنا بمعنى الشدة.

* من الواضح أن عروة ينعت بني نهد بالمراوغة والجُبن : فهم يُحسنون التهرب اذا اشتدت الحرب، بينما يدّعون القوة والعنفوان اذا ما زالت الشدة.

١٤ ــ بالفَعَال يَسودُ

(الكامل)

قيل ان عروة بلغه عن رجل من بني كنانة بن خزيمة أنه من أبخل الناس وأكثرِهم مالاً. فبثّ عليه عيوناً فأتوه بخبره، فشدّ على إبله فاستاقها ثم قسمها في قومه. فقال عند ذلك، محدّداً موقفه من الثراء :

١ ــ ما بِالثَّــراءِ يَسودُ كلُ مُسوَّدٍ مُثْرٍ، ولكِنْ، بالفَعَــالِ، يَسُودُ

الفَعال : اسم للفِعل الحسن من الجودِ والكرمِ ونحوِه.

ه رأي عروة أن الثري يمكن له أن يصبح سيّداً، لكن ذلك لا يتأتى له بمجرد امتلاك المال، وانما باستخدام ماله في الكرم وحسن الفعل.

٢ ــ بَلْ لا أُكاثِرُ صاحِبي، في يُسْرِهِ، وَأَصُدُّ، إذْ في عَيْشِهِ تَصْرِيــدُ

أُكاثر صاحبي : لعل المقصود : اكاثره في الزيارات فأزوره أكثر مما يزورني.

أَصُدّ : أجفوه وأنقطع عنه.

العيش : المطعم والمشرب وما به تكون الحياة[1]، وقد ترمز الى العطاء والنفع، في مثل : «أنت مرةً عيشٌ ومرةً جيش. أي تنفع مرة وتضرّ أخرى. »[2] فالعيش هنا بمعنى العطاء والمنفعة.

تصريد : قلة. والتصريد في العطاء : تقليله.

---

(١) لسان العرب ج ٦ ص ٣٢٢ [عيش].

(٢) المصدر نفسه.

* أنا لا أكثر التردد على صاحبي حين يكون ميسورَ الحال فاذا أُعسَرَ وقلَّ عطاؤه انقطعت عنه.

٣ ــ فإذا غَنِيْتُ، فإنَّ جاري، نَيْلُـهُ مِنْ نائِلي، ومُيَسَّرِي مَعْهُـودُ

نَيله : ما يناله ويحصل عليه.
النائل : العطاء.
المُيَسَّر : من فعل : يَسَّره : سهّل له ووسّع عليه. فالميسَّر : هو التوفيق والوسعة.
المعهود : الذي عُهد وعُرف.

* يقابل عروة سلوكَه مع الآخرين في حالَي غناهم وفقرهم، بسلوكِه معهم في حالي عُسرِه ويُسرِه : اذا غنيتُ غنيَ معي جاري، وكان له في كلِّ ما أحصل عليه عطاء وحصة. فتصرفي في حال التوفيق والوسعة، معروفٌ من الجميع.

٤ ــ وإذا افتقرْتُ، فَلَنْ أُرَى مُتَخَشِّعاً لِأَخي غِنىً مَعروفُهُ مَكْـدُودُ

تخشّع : رمى ببصره نحو الأرض وغَضَّه وخَفَض صوتَه، أي وقف وقفةَ الخضوع والتذلُّل.
مكدود : (وكديد) من كدّ : أَلَحَّ في السؤال. ويقال : بئر كدود : لا يُنال ماؤها الا بجهد ؛ وناقة كدود ورجل كدود : لا يُنال درُّها وخيرُه الا بعد عسر.[1]
ومعروفه مكدود : لا يُنال الا بجهد، بعد عسرٍ والحاحٍ في السؤال.

* أنا في فقري أبيّ : اذا افتقرت لا أقف أبداً وقفةَ الذُل والخضوع أمام غني شحيح لم يعتد العطاء الا بعد لأْيٍ والحاحٍ في السؤال.

(١) اساس البلاغة [كدد].

١٥ ـــ جزى اللهُ خيراً أبا مالك

(الطويل)

كان مالك بن حمار الفزاري قد تلقّى عروة وجماعته الذين أخرجهم من الكنيف، فأحسن استقبالهم ونَحَرَ لهم.[١] وحين نزل عروة وقومُه في بني زبّان أظهر شريك الزبّاني ضِيقَه بهم ورغبتَه في رحيلهم.

يقابلُ عروةُ هذين الحدثَين مسجِّلاً تقديرَه لمالك ومعبّـرا لشريك عن انفته وابائه.

١ ـــ جَزَى اللهُ خيراً، كُلَّما ذُكِرَ اسمُهُ، أَبَا مِالِك، إنْ ذلكَ الحَيُّ أَصْعَدُوا،

إنْ : هنا بمعنى إذ[٢]، وليست بمعنى الشرط. فهي تفسر سبب الدعـاء وتربطه بإصعاد الحي وما تبعه من تصرف مالك.

الحي : يقصد به الجماعة التي قادها عروة. والحي من أحياء العرب يقع على بني أبٍ كَثُروا، أم قلّوا.

أصعدوا : ساروا في الأرض، وأصعدوا : قصدوا جهات نجد والحجاز واليمن[٣]

* يدعو عروةُ لأبي مالكٍ بالخير، دعوةً دائمةً مترددةً بقدر ما يتردد ذكرُ اسمه، بسبب ما فعله ابنُه لجماعة عروة من أقاربه الذين هربوا من الموت جوعاً وساروا في الأرض (فتلقّاهم مالك وأكرمهم).

---

(١) راجع مناسبة القصيدة الحائية ص ٣٦.

(٢) لسان العرب ج ١٣ ص ٣٥ [انن].

(٣) لسان العرب ج ٣ ص.٢٥٣ [صعد] وفيها « يكونُ الناس في مباديهم (أماكن إقامتهم في البادية) فإذا يبس البقل ودخل الحر أخذوا الى حاضرهم. فمَن أمَّ القبيلة فهو مُصعد، ومن أمَّ العراق فهو مُنحدِر. »

٢ ــ وَزَوِّدَ خيراً مالِكاً، إنَّ مالِكاً لَهُ رَدَّةٌ[1] فِينا، اذا القومُ زُهَّدُ،

الرَّدة فيهم : العطفَة عليهم، والرغبة فيهم والاهتمام بهم.
اذا : بمعنى إذ أي في حين...
القوم : الجماعة من الرجال. وقد يقصد بها رجال العشيرة على الاطلاق.
زُهَّد : زُهّاد، جمع زاهد وهي مثل زَهيد ومُزْهِد : الذي يُزهَد في ماله لقلّتِه.

* هو يدعو الله أن يجعل الخير زاداً لمالك لأن مالكاً كان له عطفة عليهم واهتمام بهم حين كان الجدب شديداً وقومُه مُقلّين مُزهِدِين.

٣ ــ فَهَلْ[2] يَطْرَبَنْ فِي إثْرِكُمْ مَنْ تَرَكْتُمُ إذا قَامَ يَعْلُوهُ حِلالٌ فَيَقْعُدُ ؟

يطربَنْ : يتشوّق (من الطَرَب : الشوق)[3]. ويطربَنْ في إثرِكم : يتشوقُ الى ما يرجوه منكم.
حِلال : بمعنى انحلال (من حلّ : ضد شدّ) وانحلّت قواه : تراخت.

* يخاطب مرافقيه متحدثاً عن اخوانهم الذين تركوهم في الكنيف، وهم في قلّة وعسر، متسائلاً : ألا يأملون بما وعدتموهم به ويتشوقون الى ذلك وهم على ما هم عليه من إعياء : إذا قام أحدهم لأمر، غلب عليه الضعف والانحلال فقعَد ؟ ولعل الاستفهام ليس هو المقصود، بل التأكيد. (و« هل » تأتي بمعنى بل، وبمعنى قد...).

---

(١) وردت « رِدّة » في الديوان. والتصحيح عن لسان العرب.
(٢) وردت « فَهُمْ » في الديوان. والتصحيح عن شعراء النصرانية ص ٩٠٧.
(٣) لسان العرب ج ١ ص ٥٥٧ [طرب].

٤ ــ تُوَلّي بنو زَبَّانَ عَنّا بِفَضْلِهِمْ، وَوَدَّ شَرِيكٌ لَوْ نَسيرُ، فَنَبْعُـــدُ

تُولّي عنا : أعرض عنّا.

* قطع عنا بنو زبّان ما سبَق من عطائهم واحسانِهم، وصار قربُنا منهم ثقيلاً عليهم، حتى تمنّى شريكٌ أن نرحَل عنهم ونبتعد (لينفرد وقومه بالمال والخيرات).

٥ ــ لِيَهْنِيءْ شَرِيكاً وَطْبُهُ ولِقاحُهُ، وَذو العُسِّ، بَعدَ النَوْمَةِ، المُتَبَرِّدُ

الوطب : سِقاء اللّبَن.

اللِقاح : ذوات الألبان من النوق، واحدتها لَقُوح ولِقْحَة.

ذو العُسّ : صاحب القدح الضخم يروي الثلاثة أو الأربعة.

النَومة : المرة من نام.

المتبرِّد : الذي يطلب البرودة.

* يؤكد عروة : نحن لن نبقى بين قوم لا يريدوننا. سنرحل ليخلو الجو لشريك، ينفرد بوعاء اللبن وبنوقه التي تدر اللبن، ولصاحب القدح الضخم (لعله يقصد به شريكاً أيضاً) يفيق بعد نومة يتبرّد بلبنه[1].

---

(١) كأن عروة يقارن في هذا البيت بين شربِ اللبن لحاجةِ الشِبَع والارتواء (وهو لا وقت مميزاً له وانما يتم عندما يتيَسَّر الشرب) وشربِ اللبن للمتعة، يُتخيَّر له أفضلُ الأوقات، ساعة يُفيق صاحبُ القدح من نومةٍ، وفي حلقه جفاف، فيتناول قدحه الضخم المليء باللبن يشربه ليتبرّد به... ونحن نحس هنا غصّة في حلق الشاعر ونستشفّ في وصْفِه نقمةَ المحروم على صاحب النعمةِ المرفَّه.

٦ ــ وما كان مِنَّا مَسْكِناً، قَدْ عَلِمْتُمْ، مَدافِعُ ذِيْ رَضْوَى، فَعُظْمٌ، فَصَنْدَدُ

رَضْوى : جبل بالمدينة [١]

مدافع : مجاري المياه مفردها مَدْفَع.

عُظْم : ذو عُظم : عُرض من اعراض خيبر فيه عيون جاريَة ونخيل غامرة. [٢].

صندد : اسم جبل معروف.

* يعدّد عروة هذه المناطق من الحجاز (ولعلها منازل بني زبّان) قائلاً : من المعروف للجميع أننا لم نسكن هذه المناطق، (لذلك ليس هناك ما يربطنا بها، فنحن نتركها غير آسفين).

٧ ــ لكِنَّهَا، والدَهْـرُ يومٌ ولَيْلَــةٌ، بِلادٌ بهـا الأَجْنَـاءُ والمُتَصَيَّـدُ،

الأجناء : جمع جَنَى: هو الكلأ وما يُجنى من الأرض كالكمأة، وهو أيضاً ما يُجنى من الشجر كالثمار. والجَنَى، كذلك، هو العسل.

المُتَصيَّد : ما يُصاد.

* يذكر عروةُ سببَ نزوله في هذه المناطق، وكأنه يسوّغ وجودَه غيرَ المرغوب فيه، فيقول : ان الدهرَ المتقلبَ بين ليلٍ ونهار، بين قلّةٍ وَسَعَة، رمى بنا في هذه الأماكن (وكلها خصبة) فأمِلنا أن نجد هنا ثمراً نجنيه أو صيداً نرميه.

---

(١) عند القزويني : « رضوى : جبل بالحجاز، منيف، ذو شِعاب وأودية يُرى من البُعد أخضر وبه مياه وأشجار كثيرة. زعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية مقيم فيه... » آثار البلاد وأخبار العباد ص ٨٨.

(٢) لسان العرب ج ١٢ ص ٤١١ [عظم].

٨ ـ وقُلتُ لأصحابِ الكنيفِ: تَرَحَّلُوا، فليس لكم، في ساحةِ الدارِ، مَقْعَدُ

* لم يبق الا الرحيل، قلت لأصحاب الكنيف الذين ساروا معي : اتركوا دار هؤلاء القوم، فلم يَعُدْ لَكُم مكانٌ في ساحتها.

١٦ ـ ملحق :[1]

(الطويل)

اذا ماتَ منهمْ سَيِّدٌ قامَ بَعدَه، عَلَى مَجدِهِ، غَمْرُ المُروءةِ سَيِّدُ

غمر المروءة : صفة لسيِّد. والغَمر : الواسع، الكثير.

* يذهب الى أن المروءة تعيش بينهم باستمرار، وان المجد يقيم عندهم بصورة متواصلة : فسادتهم يتابع الواحد منهم مسيرة سابقيه، في كسل الأمجاد وبذل المعروف.

١٧ ـ بوجهي شحوب الحق[2]

(الطويل)

لعروة، مع أخيه الكبير، تاريخ طويل حفل، ابّان حياة والِدهما، بتفضيل الورد ابنَ القيسيةِ البِكرَ على ابن النهدية الأصغرِ. ويبدو أن

---

(١) وجدنا هذا البيت في شرح ديوان الحماسة ينسبه المرزوقي الى عروة. فاذا صحت النسبة لا نستبعد أن يكون البيت من هذه القصيدة وأن يصف رهط مالك بأنهم اسياد تعيش المروءة بينهم. (انظر شرح المرزوقي ج ١ ص ١٢١).

(٢) ورد في الديوان الأبيات ١ و٢ و٤. وقد وجدنا البيتين ٣ و٥ في ديوان المعاني (ج ١ ص ١٠٧) منسوبَين الى عروة ومعهما تعليق عبد الملك بن مروان الذي اورده =

هذه المعاملة تركت طابَعَها على علاقة الأخوين، فكان التنافس غالبا عليها. وفي تصوّرنا أن الأخ الاكبر كان يأخذ على عروة نمطَ عيشه وصعلكتَه وفقرَهُ ويفخرُ عليه بالحياة المرفَّهَة التي يحياها ؛ وقد يكون الأمرُ ذهبَ به الى لومِ أخيه وشتْمه ليردَعَه، فكان جواب عروة : ان النُّحول ليس وليدَ الصعلكة ولكنه وليدُ الكرم والقيامِ بواجبِ المعروف ومشاركةِ الكريمِ الآخرين مالَه وطعامَه، بينما السِمَنُ لا يدلّ الا على بُخلِ صاحبه... وأبيات عروة التالية تحفل بالاباء وبروح العطاء المتفاني لدرجةٍ حُقَّ معها لعبد الملك بن مروان أن يقول عند سماعها : « ما وددت أنَّ أحداً من العرب، ممن لم يلِدْني، وَلَدَني الّا قائلُ هذه الأبيات » :

= الاصفهاني مع الابيات الثلاثة (الأغاني ج ٣ ص ٧١) ولما كان معنى البيتين يوافق معنى الابيات الثلاثة وموضوعهما يوافق موضوعها ووزنهما يوافق وزنها وقافيتهما قافيتها فقد رجح لدينا أن تكوّن الابيات الخمسة مقطعاً واحداً لها الترتيب الذي اعتمدناه. ثم وجدنا الأبيات الخمسة في مقطوعة واحدة منسوبة الى عروة في سمط اللآلي (ج ٢ ص ٨٢٢) ولها ترتيب مختلف هو التالي ٣، ٢، ٥، ١، ٤ وهو ينقلها عن القالي ويغالطه في نسبتها مدعياً أن البيتين ٣ و٢ لقيس بن زهير وسائر الابيات لعروة يرد بها عليه. وفي ذلك تجنٍّ ظاهر على المعنى. ويذكر المبرّد الابيات الاربعة التي ذكرها القالي بالترتيب التالي : ٣، ٥، ١، ٤ وينسبها الى رجل من عبس وجهها الى عروة (الكامل ج ١ ص ٥٧).

جاء في « شعراء النصرانية » (ص ٨٨٨) عن مناسبة هذه الأبيات أنها مما أجاب به عروةُ قيس بن زهير لما قال له :

أَذَنْبٌ علينا شتمُ عروةَ خالَهُ ... بِغُـرَّةِ أحساءٍ، ويوماً بِبَذْبَدِ
رأيتُكَ ألآفاً بيوتَ معاشرٍ ... تزالُ يدٌ في فضل قَعبٍ ومِرفَدِ

ونحن لا نرى أي ارتباط بين بيتي قيس ومعاني المقطوعة. وقد رجّحنا أن ابن الورد لا يقصد به عُروةَ ، كما أراد المبرّد، بل أخوه الأكبر.

١ ــ إنّي امرؤٌ عافي إنائي شِرْكَةٌ وأنتَ آمرؤٌ عافي إنائِكَ واحِدُ

العافي : ما يبقى في اسفل القِدر من مَرَق وما اختلط به. والعافي أيضاً : الضيف

عافي انائي : ضيف طعامي.

شِركة : اشتراك الجماعة في الشيء. والمقصود به الجماعة.

• اني امرؤ لا أتناول طعامي الا مع أضيافٍ كُثُر، وأنتَ امرؤٌ تأكُلُ طعامَكَ وحدك. فعروةُ يؤكد فضيلة القِرى لنفسه ويصِم أخاه بالبخل.

٢ ــ أتهزأُ مِنّي أنْ سَمِنْتَ وَأنْ تَرى، بِوَجْهي، شُحوبَ الحَقِّ[1]، والحَقُّ جاهِدُ؟

شحوبَ الحق : الاصفرار الذي يصيبُ من يُجهد نفسَه في اداء الحق، أي القيامِ بواجب المعروفِ والضيافةِ والعطاءِ لذوي الحاجة.

جاهد : مُضْنٍ. والحق جاهد : القيام بأداء الحق يضني صاحبه لأنّ مَنْ يحمله، في عالَمٍ طالما قلّ فيه الزاد، يفرضُ على نفسه انواعَ الحرمان والاجهاد. والحرمان يعني الجوعَ، بينما الاجهاد يعني استنفادَ القوى، وكلاهما لهما مظهرٌ واحد : الشحوب.

• أترى سِمَنك فيُعجبك وترى نحولى فتهزأ به ؟ فاعلم ان نحولي يعودُ الى قيامي بحق القرى وواجب المعروف وتحملي الحرمانَ والجوعَ في سبيل ذلك. (أما سِمَنك فيعود الى بُخلك).

٣ ــ فَلَا تَشْتُمَنّي، يا ابنَ وَرْدٍ، فَإنّني تَعودُ، على مالي، الحقوقُ العَوائِدُ

ابن ورد : أخو عروة

---

(١) جاءت في الأغاني (ج ٣ ص ٧١) بجسميَ مَسُّ الحق.

تعود عليه : تأتي عليه[1]

العوائد : جمع العائدة. وهي ما عاد به عليك المُفضِل من صلة أو فضل. (وبصورة عامة) هي المعروف والصلةُ يُعادُ بها على الانسان، والعطفُ والمنفعة[2]

* لا تسبَّني ولا تُعيِّرني فقري وهزالي، فإن مالي لا يستقر عندي لأن المعروف والصِلاتِ تأتي عليه وتستَنفِدُه.

٤ ــ أُقَسِّمُ[3] جِسمي في جُسُومٍ كَثيرَةٍ، وَأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ، والماءُ بارِدُ

أقسِّم جسمي : أقسِّم الطعامَ الذي يحتاجه جسمي ويقوم بأوده ليستمر.

قراح الماء : أول الماء، والصافي منه. وحَسْو الماء الصافي رمزٌ للشرف والإباء، لأن الشريفَ يشربُ قبلَ سواه[4].

والماء بارد : والزمن شتاء. فهدف من ذكر الماء البارد الى تحديد الاطارِ الزمني للمبادرة: في فصل القرّ والقحط، وهذا يعطيها عمقاً: فحينها يقلُّ الزادُ ويتشبث الناس بالقليل الباقي منه ويتردَّدُ الكثيرون قبل أن يُعطوا.

* اذا جاء الشتاءُ ومعه البردُ والجَدْب، وطلب الناسُ الطعامَ فلم يجدوه، فإنني لا أبخل بما عندي مما يقوم بأودي، بل أُقسِّمُه بين آخرين كُثُر،

---

(١) أساس البلاغة [عود].

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣١٦ [عود].

(٣) في الأغاني « أفرّق » (ج ٣ ص ٧١).

(٤) نذكّر ببيت عمرو بن كلثوم الشهير.

وَنَشْرَبُ، إنْ وَرَدْنا الماءَ، صَفْــواً وَيَشربُ غَيرُنـــا كَدَراً وَطِينـــا

(انظر المعلقة).

أفضِّلُهم على نفسي، يُحييهم ما يموت مني ويُنعشهم ما يُذبلني، وأكتفي بشرب الماءِ القَراح، وأنا شريفٌ أبيّ.

٥ ــ وَمَنْ يُؤْثِرِ الحَقَّ النَّؤُوبَ يَكُنْ بِهِ   خصَاصةُ جِسْمٍ، وَهْوَ طَيَّانُ ماجِدُ

نَؤُوب : صيغة فعول من نائب (كمثل نؤوم من نائم ودؤوب من دائب...) **ونائب** : من ناب الى المكان اذا ذهب عنه ورجع اليه، وتناوب القوم في السفر : جعلوا لكلٍ منهم دوراً في إطعام الآخرين.

الحق النؤوب : المعروف الذي يعود مرةً بعد أخرى على المال : يأخذ منه (حتى يأتي عليه).

الخصاصة : الفقر، سوء الحال، الحاجة. والخصاصة : الجوع[1]

به خصاصة : واهي الجسم من الجوع

طيّان : جائع (من الطوى : الجوع)

رجل ماجد : رجل مِفْضال، كثير الخير، شريف.

* ان من يختار، هدفاً لحياته، الوفاءَ بحقِّ المروءةِ والكرم الذي يعود، مرة بعد أخرى، على ماله حتى يأتي عليه، يبيت جائعاً واهي الجسم، لكنه لا يطلب من أحدٍ عطاءً، اباءً منه وترفّعاً، فيبقى، وهو جائع، مفضالاً، كبير النفس، شريفاً.

---

(١) جاء في التنزيل الكريم : ﴿ ويُؤثرون على أنفُسِهِم، ولو كان بهم خَصَاصة ﴾ (سورة الحشر، آية ٨).

١٨ ــ حرف الراء
سَقَوْنِي النَسْءَ ثم تَكَنَّفُوني

(الوافر)

ذكر أبو عمرو الشيباني من خبر عروة أنه أصاب امرأة من بني كنانة، بِكراً، يقال لها : سلمى، وتُكنى : أم وهب. فأعتقها واتخذها لنفسه ؛ فمكثت عنده بضعَ عشرةَ سنة، وولدت له أولاداً، وهو لا يشكّ في أنها أرغبُ الناس فيه، وهي تقولُ له : لو حججتَ بي فأمرَّ على أهلي وأراهم ! فحجّ بها، فأتى مكة ثم أتى المدينة، وكان يخالطُ من أهل يثرب بني النُضير، (حي من اليهود)، فيُقرضونه إن احتاجَ، ويبايعُهم، إذا غَنِم. وكان قومُها يُخالطون بني النضير فأتوهُم، وهو عندهم. فقالت لهم سلمى : انه خارج بي قبل أن يخرج الشهرُ الحرام، فتعالوا اليه وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأةٌ، منكم، معروفةُ النسب صحيحتُه، سبيَّةً، وافتدوني منه فانه لا يرى أنّي أفارقه ولا أختارُ عليه أحداً. فلما فادوه بها خيّروها فاختارت أهلها[1]. فقال عروة في ذلك :

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٢ وهناك روايتان أخريان في المصدر نفسه ص ٣٧ (راجع ص ٣١ من المقدمة).

١ ـ أرقْتُ وَصُحْبَتي، بِمَضيقِ عَمْقٍ، لِبَـرْقٍ، مِنْ تِهامَـةَ، مُستَطِيــرِ

أرقتُ : بقيتُ صاحياً ولم أنم[1].

عَمْق : أرض لمزينة، قرب المدينة.

مستطير : منتشر.

* سهر الليلَ وصحبتُه يستمتعون بمنظر البرقِ يقدَحُ فوق تِهامة، وينتشر في الآفاق، فيراهُ، وهو متوقّف في مضيق عَمْقٍ قرب المدينة.

٢ ـ إذا قُلتُ : استَهَلَّ عَلى قُدَيْدٍ يَحُورُ رَبابُـهُ حَوَرَ الكَسِيـرِ،

استَهَلَّ : رفع صوتَه. واستهلَّت السماء : احدث مطرُها صوتاً. كما يقال: استهلّت السماءُ في أول المطر. **استهل على قُديد** : وَقع المطر المصاحب للبرق على قُديد، محدثاً صوته المعروف.

قُدَيْد : ماء بالحجاز ؛ وقال ابن الأثير : هو موضع بين مكة والمدينة.[2]

يَحُور : يشتدّ بياضُه كما يشتدّ السواد المحيط به (تُقال للعين ومنها الحَوَر) **يحور ربابه** : يشتد البياض في سحابه.

الرَّباب : السحاب الأبيض.

الحَوَر : شدة بياض العين في شدة سوادها.

الكسير : الجفن الكسير، وهو الفاتر الذي، ما إن ينحسر لتنكشف العينُ، حتى يسترخي فيسترها.

---

(١) منظر البرق، مع ما يصحبه من سحاب ومطر يحمل الخير، تَهلُّ له الأرض، يرتوي منه العطشان ويشبع الجائع، هذا المنظر أمر فريد في عالم البداوة، وهو منظر محبب الى البدوي : ينتظره ويسهر له يراقبه متمتعاً.

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣٤٦ [قدد].

* اذا التمعَ البرقُ، وقلتُ لنفسي إنَّ صوتَهُ سوفَ يُجلجلُ فوق قُدَيد، رأيتُ الغيومَ البيضاءَ يلمعُ بياضُها في ضوئه، لكنه سرعان ما يختفي، كالبياض في العين الحوراء اذا غطّاها جفنٌ كسير : ما إن ينحسر عنها ليكشف شدةَ بياضها، حتى يعودَ ليغطّيها.

٣ ــ تَكَشُّفَ عائِذٍ، بَلْقَــاءَ، تَنْفِــي ذُكُورَ الخَيْلِ عَنْ وَلَدٍ، شَغُورِ[١]

العائذ : كل أنثى وَضَعَت، مدةَ سبعة أيام، لأن ولدَها يَعوذُ بها. والأنثى هنا هي الفرس.

بلقاء : في لونها سوادٌ وبياض.

تنفي : تُبعد

شَغور : تَشغَر بقائمتيها، أي ترفعهما عالياً، من الشَغْر وهو رفعُ الحيوان « رِجْلَه ».

* ان انكشافَ الجفنِ الكسير، عن بياضِ العينِ الملتمع، ثم عودتَه السريعة، شبيهٌ بانكشافِ البياضِ في بطن الفرس البلقاءِ، اذا رفعْت قائمتيها لتدفع ذكور الخيل عن رضيعِها، ثم انزلتْهما بحركةٍ سريعة.

٤ ــ سَقَى سَلْمَى، وَأَيْنَ دِيارُ[٢] سَلْمى؟ إذا حَلَّتْ، مُجاوِرَةَ[٣] السَرِيرِ.

حَلَّت مُجاوِرَةً : نزلت بجوار

---

(١) في الديوان شَفُور (بالفاء) ولكننا لم نجد في معاني هذه الكلمة ما ينسجم مع الصورة التي حاول الشاعر رسمها، في حين أن شغور (بالغين) تؤدي المعنى. فذهبنا الى خطأ في النقل وأجرينا التصحيح. (أنظر اساس البلاغة [شغر]).

(٢) في لسان العرب « وأين مَحَلُّ سلمى » راجع مادة [سرر] ج ٤ ص ٣٦٢.

(٣) في الأغاني « اذا كانت مجاورة السرير » (ج ٣ ص ٧٤).

السرير : موضع في بلاد بني كنانة.

• يرقُب الشاعرُ البرقَ باهتمامٍ ويتمنى أن يكونَ برقاً خَيّراً يحملُ معه الأمطار، وألا يَذهبَ خيرُه وأمطارُه بعيداً، بل يتجه صوب « السرير » ليسقي الجِوار حيث حلّت سلمى، وإن بَعُدت الشقةُ بين منزِلها ومنزِله.

٥ ـ إذا حَلَّت بِأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ، وَأَهْلي بَيْنَ إمَّرَةٍ[1] وَكِيْرِ.

إمَّرة وكير : موضعان. وإمّرة: منزل في طريق مكة من البصرة، وهو منهل.

• إن الشقة تكون بعيدةً فعلاً بين منزلِ سلمى ومنزِلِه اذا ما حَلَّت هي بأرضِ بني عليٍّ، من كنانة، بينما أهلُهُ بين إمَّرةٍ وكير.

٦ ـ ذَكَرْتُ مَنازِلاً مِنْ أُمِّ وَهْبٍ، مَحَلَّ الحَيِّ، أَسْفَلَ ذي النَّقِيرِ؛[2]

النقير : موضع بين هجر والبصرة، ماء لبني القين ولكلب.

أم وهب : كنية زوجته سلمى.

٧ ـ وَأَحْدَثُ مَعْهَدٍ مِنْ أُمِّ وَهْبٍ مُعَرَّسُنا بِدارِ بَنِي النَّضِيرِ.

المَعْهد : المكان الذي يُعرف لاقامة انسانٍ أو جماعة. يقال : عهدي به في مكان كذا ... أو هو موضع، كنتَ عهدتَه، أو عهدتَ هوىً لك فيه، أو كنت تعهدُ به شيئاً أو أحداً.

---

(١) في الديوان : بين زامرة وكير. والتصحيح من الاغاني (الهامش السابق) ولسان العرب ج ٥ ص ١٥٨ [كير].

(٢) في الأغاني « أسفل من نقير » (ج ٣ ص ٧٤).

المُعَرَّس : من التعريس، وهو نزول القوم من آخر الليل في السَفَر، يَقَعون فيه وَقْعةً للاستراحة، ثم ينيخون وينامون نومةً خفيفة، ثم يثورون، مع انفجار الصبح، سائرين. وقيل : التعريس هو النزول في المعهد، أيَّ حينٍ كان من ليلٍ أو نهار.

• معنى البيتين : مع سيف البرق الذي يشقُّ الفضاءَ فتلتهبُ له جوانبُ السماء وتتألقُ الغيومُ المثقلةُ بالخير، مع القطراتِ المنتظِرة المتحفزة للهبوط تتخيّر موقِعَه، يسرح خيالُ الشاعر، يرود منزلَ الزوجة الحبيبة المفارقة، يطوف بملاعب الأمسِ، البعيدة عن جسمه، الحية في قلبه، وتتتالى أسماء المنازل والمعاهد والمُعَرَّسَات : فأسفل ذي النقير نزل الحيُ وفيهم أمُ وهب، وبِدارِ بني النضير عَرَّسوا، وهناك كان آخر عهده بها.

٨ ــ وقالوا: ما تشاءُ؟ فقلت: أَلْهُو، إلى الإصْباحِ، آثِرَ ذي أَثِيرِ،

آثِر ذي أثير : قبل أي شيء آخر. وألهو آثِر ذي أثير : أبدأ باللهو قبلَ أي شيءٍ آخر.

٩ ــ بِآنِسَةِ الحَديثِ، رُضابُ فِيها، بُعَيْدَ النَوْمِ، كالعِنَبِ العَصيرِ.

آنسة : (جارية) آنسة، وهي الطيِّبة النفس التي تُحبُ قُربكَ وحديثَكَ.
وآنسةُ الحديث : جارية طيبة الحديث.
الرُضاب : ماءُ الفم، ما انقطع من الريق.
العنب : يُقصد به الخمر، يذكره ابن منظور، عن لسان ابي حنيفة، على أنه لغةٌ يمانيةٌ، وأن العنب هو الخمر في بعض اللغات.[1] وإذا كان تداولُ الخمر والعنب، مترادفَين، يتم في بعضِ اللهجات، فكلمة العصير في البيت أعلاه

---

(١) لسان العرب مادة [عنب] (ج ١ ص ٦٣٠).

قرينةٌ تدل على أن هذا المعنى هو الذي ذهب اليه الشاعر. وتشبيه رُضاب الحبيبة بالخمر معروف في الشعر العربي، قديمه وحديثه.

* حين سألوه رأيه في موضوع المفاداة قال : اتركوني، قبل كل شيء، ألهو وهذه الحبيبة الطيبة الحديث حتى الصباح ؛ فإنّ رشفَ رُضابها، بُعيدَ النوم، يُسكرني كشرب خمر العنب.

١٠ـ أَطَعْتُ الآمرينَ بِصَرْمِ سَلْمى، فَطَاروا في عِضَاهِ اليَسْتَعُورِ.[1]

الصرم : القطع، القطيعة، الهجر، والهجران.
العِضاه : كل شجر له شوكٌ من شجر البَرّ، مما يَشربُ من ماء السماء.
اليَستعور : شجرٌ تصنع منه المساويك، ومساويكه أشد المساويك تبييضاً للثغر. مَنَابِتُه بالسَّراة. ويُقال : هو موضع قبل حرّة المدينة، كثيرُ العِضاه، موحش، لا يكاد يدخله أحد.

* أطعت، (وأنا في حالة السكر) الذين زيّنوا لي تركَ سلمى، فلما صحوتُ، طلبتُهم فلم أجدهم : لقد تفرقوا حيث لا تُعلم مواضعُهم ولا يُهتَدى اليهم.

---

(١) يذكر ابن منظور هذا البيت ويورد لمحة عن المناسبة منها : « فاستزارتْه أهلَها (أي سلمى) فحملها حتى انتهى بها اليهم. فلما أراد الرجوعَ أبتْ أن ترجعَ معه، وأراد قومُها قتلَه، فمنعتهم من ذلك. ثم إنه اجتمع به أخوها وابنُ عمها وجماعة، فشربوا خمراً وسَقَوه، وسألوه طلاقها فطلّقها. فلما صحا ندِمَ على ما فَرَّط منه. »
والبيت المذكور في لسان العرب له العجز التالي : « فطاروا في البلاد اليستعور ». راجع لسان العرب مادة [يستعور] ج ٥ ص ٣٠٠ وفي معجم مقاييس اللغة : « في بلاد اليستعور » (ج ٣ ص ٧٦)

١١ــ سَقَوْني النسْءَ،[1] ثُمَ تَكَنَّفُوني، عُداةَ اللهِ،[2] مِنْ كَذِبٍ وَزُوْرِ،

النسْء : والنسيء : اللبن الرقيق القليل الماء أو الممذوق بالماء. وقيل : النسء هو الشراب الذي يزيل العقل.

تكنّفوني : أحاطوا بي، احتوشوني.

* سقوني الخمر والتفّوا حولي كأنهم يهتمّون بي وينصحونني؛ وكان ذلك كلُه نفاقاً وكذباً وبهتاناً، بل مؤامرةً نفّذها أعداءُ الله هؤلاء، قبّحهم الله.

١٢ــ وَقَالُوا : لَسْتَ، بَعدَ فِداءِ سَلْمى، بِمُفْنٍ[3] ما لديكَ، ولا فقيـرِ.

* قالوا : اذا قبلتَ ما يُعرض عليك من مالٍ، فداءً لسلمى، كنتَ غنياً وملكت ثروة لا تستطيع تبديدها[4].

---

(١) وردت « النسء » في الديوان وفي لسان العرب (ج ١ ص ١٧٠). وفي الأغاني « سقوني الخمر » (انظر الاغاني ج ٣ ص ٣٦).

(٢) وردت « عُداةُ الله » في الديوان وشعراء النصرانية والأغاني. والتصحيح عن ابن منظور الذي أوردها منصوبة وقال معللاً : « ونصب عُداةَ الله على الذم » (لسان العرب ج ٥ ص ٣٠١).

(٣) جاءت اللفظة في الديوان « بمغن » (بالغين) ومن معانيها صرف الشيء ودفعه فقد يكون المعنى انك تحصل على ثروة لا يمكنك دفعها عنك. ولكننا فضلنا « بمفن » (بالفاء) كما وردت في الأغاني (ج ٣ ص ٣٦) لأنها تلائم المعنى بشكل عفوي، وبلا تكلّف.

(٤) في هذا الاتجاه نورد ما ذكره الاصفهاني من تفاصيل المناسبة : « إن قومها أغلَوا بها الفداء، وكان معه طلقٌ وجبار، أخوه وابن عمه، فقالا له : والله، لئن قبلتَ ما أعطوكَ، لا تفتقر أبداً، وأنت على النساءِ قادرٌ متى شئت. وكان قد سَكِر، فأجاب الى فدائها. (الأغاني ج ٣ ص ٧٤).

١٣ــ فَلَا، وَاللهِ، لَوْ مُلِّكْتُ أَمْـرِي، وَمَـنْ لِيَ بالتدبُّـر في الأُمورِ![١]

* تبلغ الحسرة بعروة أن يهرب، من الواقع المؤلم الذي لا يستطيع تقبُّلَه، الى عالَمٍ خياليٍ من صنعه، تعود الأمور فيه أدراجها الى لحظةِ الاختيار، ليغيِّر قراره السابق : فيقول ليت الفرصة تُتاح لي، ويكون تدبيرُ الأمور في يدي، وأُدعى الى الاختيار من جديد.

١٤ــ إِذَنْ، لَمَلَكْتُ عِصْمَةَ أُمِّ وَهْبٍ،[٢] **عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصُدُورِ.**

العصمة : المَنْع والحماية.. والعِصمة (في الزواج) حق تقرير الاستمرار في الحياة الزوجية أو وقفها، وهو عادة بيد الزوج (إلا في حالات استثنائية).

ملكتُ عصمة أم وهب : تمسّكتُ بحقِ الذودِ عنها وحمايتها، وذلك بابقائها زوجةً لي.

حسكُ الصدور : حقد العداوة.

* اذن كنت أتمسّك بأمِّ وهب زوجةً لي، على رغم حقدي على أهلها (بسبب دورهم في التفريق بيني وبينها).

---

(١) ورد البيت في الديوان كما يلي :

ألا، وأبـيك، لو كاليـومِ أمـري ومـن لك بالتدبُّـرِ في الأمــور

وقد أثبتنا البيت كما ورد في الأغاني لأنه أكثر انسجاماً مع حديث عروة المنفرد في الأبيات السابقة والأبيات اللاحقة. (الأغاني ج ٣ ص ٣٦). وفي الشعر والشعراء (ج ٢ ص ٨١) ورد البيت :

ولـو كاليـومِ كان علـيَّ أمـري ومـن لكَ بالتدبُّـرِ في الأمــور

(٢) جاء صدر البيت في الأغاني على الشكل التالي : اذاً لعصيتُهم في حُبِّ سلمى... (ج ٣ ص ٣٧).

١٥ـ فَيَا للنّاسِ! كيفَ غَلَبتْ نفْسِي[1] عَلَى شَيءٍ، ويَكرَهُهُ ضَميري!

* يعود الشاعر الى الحقيقة التي باتت واقعاً لا يستطيع منه مفراً، فيستنكرُ ما جناه على نفسه : أعجَبُ للناسِ كيف استطاعوا أن يجعلوني أُجبر نفسي على اتيان أمر يرفضه قلبي !

١٦ـ ألَا يا لَيتَنِي عاصَيْتُ طَلْقاً وَجَبَّاراً، وَمَنْ لِيَ مِنْ أميرِ.

عاصيتُ : عَصَيتُ.

طَلْق وجَبّار : شخصان لعبا دوراً حاسماً في اقناعِ عُروةَ بالمفاداة، حين أشارا عليه بقبول الفدية السخية. وهما أخوه وأبنُ عمه، حسب رواية الأصفهاني[2]، أما ابن منظور فيجعلهما أخا سلمى وابنَ عمها.[3]

أمير : مُشير، مُستشار.

* يعود عروة، في قمة حسرته وندمه، ليتمنى أن الذي كان لم يكن، وأنه لم يطع طلقاً وجباراً وسواهما من المشيرين، في ما أشاروا عليه به.

١٩ ـ لعلكِ يوماً أن تُسِرّي نَدامةً

(الطويل)

بعد ان تركته زوجته ليلى بنت شعواء[4] نازعته نفسه اليها، فراح يزجرها ذاكرا كلَّ ما يُبعدها عنه ويقطع أملَه في رؤياها : انها الآن

---

(١) في الأغاني : « كيف غُلبتُ أمري » (ج ٣ ص ٣٧).

(٢) المرجع السابق ص ٧٤.

(٣) لسان العرب مادة [يستعور] (ج ٥ ص ٣٠٠).

(٤) الأغاني ج ٣ ص ٧٧. ومن الواضح أن قصة ليلى هذه شبيهة بقصة سلمى الكنانية، فكلتاهما تركتاه في ظروف متشابهة. ويبدو أن القصتين تداخلتا عند الرواة فاختلط اسم =

في مكان بعيدٍ داخلَ ديارِ قومها، والبعدُ طلبته هي، بهدفٍ واضحٍ : ألّا يعودَ بامكان عروةَ الوصولُ اليها... وهي هناك محاطة بأهلها، وأهلُها غَدَوا أعداءه مذ تهدّدوه بالقتلِ وحاولوا دفعَه الى أرض الاسود ليلقى فيها حتفَه.

ويقوم عروة بلفتة الى ليلى يفصح لها عن الجرح العميق الذي تركته في كرامتهِ حين رفضت أن تخبر صواحبها عن صفاته (وكانت سلمى الكنانية قد اغدقت عليه المديح كرجل وزوج، حين تركته) وحين نَعتَته بالحمقِ وخفةِ العقل لأنه طلب منها إخبارهن. هكذا طفق يسائلها عن سبب امتناعها، متخذاً السؤال ذريعة لذكر الصفات التي يراها جديرةً بأن تُعرف عنه : انه كريمٌ يشّ للضيفِ في أيام الجدب والقحط حين يعبس الآخرون، وهو يعطي حين يضنّ الناس بالعطاء، يحمل حاجات الاصحاب طيلةَ الشتاء، فاذا أهلّ الربيع طلعَ عليه وعِرضُهُ وافر، وان وجده هزيلَ الجسم لشدةِ ما تحمَّل من جوعٍ وحرمان في سبيل اطعام الضيف... ثم يدعو عليها بالغربة اذا لم تخبر الصويحبات، وبأن تندم على الايام التي قضتها معه. (والدعاء بالغربة يعني أن تؤخذ أسيرة فتعيش في غير قومها، نزيعة غريبة).

١ ــ تَحِنُّ إلى لَيلَى بِجَوٍّ[١] بِلادِهـا   وَأَنْتَ عليها، بالمَلا، كُنتَ أَقْدَرا!

= سلمى واسم ليلى فرويت القصيدة تارة « على ذمة » ليلى وطوراً « على ذمة » سلمى. وقد اخترنا أن تكون ليلى هي البطلة طالما أن القصيدة تطابق، الى حد ما، أحداث القصة. (راجع ص ٣٢ من المقدمة).

(١) هكذا وردت في الأغاني (المرجع السابق) أما في « الديوان » و« شعراء النصرانية » فقد جاء « تحنّ الى سلمى بِحُرّ بلادها ».

الجو : (من كل شيء) باطنه وداخله. **جو بلادها** : داخل منازل قومها.
الملا : موضع[1].

* يعاتب عروة نفسه على ضعفها أمام ذكرى ليلى : الآن تحنين الى ليلى بعد أن تركتني وأصبَحَتْ داخل منازل قومها، ولم يكن حالُك هكذا حين كانتْ بالملا، قريبةً مني، وفي متناولي !

٢ ــ تَحِلُّ بِوادٍ، مِنْ كَراءٍ، مَضَلَّةٍ، تُحاوِلُ ليلى أَنْ أَهَابَ وأُحْصَرَا.

كَراء : موضع، ثنيّة بالطائف، أرض ببيشة كثيرة الأُسد.
مَضِلَّة : ومَضَلَّة (وردت مُضِلَّة في «شعراء النصرانية») نعت لوادٍ (وهذا النعت يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع) **وادٍ مَضَلَّة** : وادٍ مَجْهَل يتيه فيه الناس
أهاب : أخاف وأحذر.
أحصَر : أعيا، يتعذر عليّ الأمر.

* ان ليلى تركتني وابتعدت عني : حلّت في واد مَجْهَلٍ من أرضِ كراء، فكأنها تريدني أن أحذر الاقتراب منها، وأن يتعذّر عليّ، لو أردتُه.

٣ ــ وَكَيفَ تُرَجِّيها، وَقَدْ حِيلَ دُونَها، وَقَد جَاوَرَت حَيّاً، بِتَيْمَنَ، مُنْكَرا؟[2]

تُرَجّيها : تؤمّل فيها.

---

(١) هكذا فسّرها ثعلب في قول قيس بن ذريح :

تبكي على لُبنى، وأنتَ تركتَها وكنتَ عليها، بالملا، أنت أقدرُ

(لسان العرب مادة [ملا] ج ١٥ ص ٢٩٢) ونشير الى عجز البيت المشابه لعجز بيت عروة.

(٢) في الأغاني (ج ٣ ص ٧٧) : « وقد جاوزت حياً بتيماء مُنكَرا ».

حِيل دونها : أُقيمت دونها الحواجز.
تيمن : أرض قبل جرش، أو أرض في شق اليمن، وفيها كراء.
منكَرا : غيرَ معروف.

* في محاولة من الشاعر لزجر نفسه وتثبيط همته يقول : كيف لك يا نفس أن تؤمّليها وقد قام بينك وبينها حاجزٌ لا سبيل الى تخطّيه : فهي تنزل أرض « كراء » من « بيشة » الكثيرة الأُسُد، في وادي التيه، قرب حي غير معروف، في مكان ما من أرض اليمن ؟

٤ ــ تَبَغَّانِيَ الاعداءُ إمّا إلى دَمٍ، وإمّا عُراضِ الساعِدَينِ، مُصَدَّرا،

تبغّى : طلب.
الى دمٍ : الى اراقة دم.
عُراض : عريض (وهي صفة للأسد).
مصدَّر : قوي الصدر شديده. كذلك الأسد والذئب.

* يريدني الأعداء[1] أن أدخل هذه المخوفة، فإما ينفردون بي فيها، يصيبون مني مقتلاً ويهرقون دمي، وإما يلاقيني أسد ضخم عريض الساعدين، قوي الصدر، (فيقضي علي).

٥ ــ يَظَلُّ الأَباءُ ساقِطاً فوقَ مَتْنِهِ، لَهُ العُدْوَةُ الأولَى، إذا القِرْنُ أَصْحَرَا،

الأَباء : (واحدته أَباءة) : القصب.
المَتْن : الظهر. وسقوط القصب الدائم على ظهر الأسد كناية عن عيشه في أجمة منه.

(١) لعله يقصد بالأعداء قوم ليلى الذين توعدوه بالقتل، وقد يكونون حاولوا استدراجه الى منطقة « بيشة » ليواجه أسودها.

الغُدوة : شاطيء الوادي، جانبه وحافته. الغُدوةُ الأولى : احدى الحافتين.
القِرن : المثيل، الكفوء والنظير.
أصحر : برز في الصحراء التي لا خَمَرَ فيها فانكشف.

* اذا كان لأُسَدٍ آخر أن يبرز الى الصحراء ويعيش في الفضاء الواسع لا يواريه شيء، فإن الليث الذي يتحدث عنه عروة اختار العيش في واد يحميه ويمنع جانبه، تكنُفه فيه أَجَمةٌ يتساقط قصبها عليه، فعلى ظهره دوماً بقايا منه.

٦ ـــ كَأَنَّ خُوَاتَ الرَّعْدِ رُزْءُ زَئيرِهِ، مِنَ اللاءِ يَسْكُنَّ العَرِينَ بِعَثَّرَا.

خُوات : صوت قوي وغالباً ما يكون للرعد أو السيل أو لجناح العُقاب.
الرُزء : اصابة جزء من مالِ انسان أو خيره.
ورزء زئيره : جزء من زئيره.
عَثَّر : موضع باليمن. وقيل هي أرض مأسدة بناحية تَبَالَة.[١]

* هذا الليث، فضلاً عن ضخامته، رهيبٌ هائلُ الصوتِ، تخالُ الرعدَ بعضاً من زئيره. ولا عجب من ذلك، فهو من الاسود التي اتخذت عرينَها بِعَثَّر المشهورة.

٧ ـــ إذا نحنُ أَبْرَدْنا وَرُدَّتْ رِكابُنَا، وعَنَّ لَنَا، مِنْ أَمْرِنا، ما تَيَسَّرَا،

أَبْرَدَ : نزل في فترة الظهيرة طلباً للبرودة.[٢]

---

(١) لسان العرب [عثر] ج ٤ ص ٥٤٢.

(٢) « كان العرب ينزلون للتغوير في شدة الحر ويُقيلون، فإذا زالت الشمس ثاروا الى ركابهم فغيّروا عليها أقتابها ورحالها ونادى مناديهم : ألا قد أبردتم فاركبوا » وفي الحديث : « ابردوا بالظهر فإن شدة الحرّ من فيح جهنم » لسان العرب ج ٣ ص ٨٤ [برد].

رُدّت ركابنا : انتهت فترة الابتراد وحان وقت الرحيل فقُدمت الرواحل.
عَنّ لنا : ظهر.
ما تيسَّرا : ما تهيأ.

* اذا نحن نزلنا وقتَ الظهيرة للابتراد، ونظرنا في أمرنا فظهر لنا منه ما تهيأ قضاؤه، ثم وضعنا خطتنا، أُعيدت لنا الرواحل نُغيِّر اقتابَها ونستعد للرحيل،

٨ ــ **بَدَا لكِ مِنِّي، عِندَ ذَاك، صَرِيمَتي وَصَبْري، إذا ما الشيءُ وَلّى فَأَدْبَرَا.**

الصريمة : إحكامُ الأمر والعزمُ عليه.

* حينذاك يمكنكِ أن تتبيَّني عزيمتي وإحكامي الأمور، وصبري على ما يفوتني منها الى أن أُدركَه. (وهذه صفات قيادية).

٩ ــ **وَمَا أَنْسَ مِ الأَشياءِ لا أَنسَ قَوْلَها لِجارَتِها : ما إنْ يَعيشُ بِأَحْوَرَا!**[1]

الأحْور : العقل. وما يعيش فلان بأَحْوَر : ما يعيش بعقل راجح (مثل).

* مهما ينس من الأشياء فهو لا يستطيعُ أن ينسى نعتَها إياه بخفةِ العقل.

١٠ــ **لَعَلَّكِ ، يوماً، أَنْ تُسِرِّي نَدامَةً عَلَيَّ، بِمَا جَشَّمْتِنِي يَوْمَ غَضْوَرَا،**

غَضْوَر : ثنية بين المدينة وبلاد خزاعة. وقيل : هو ماء لبني طيء.[2] ولعله المكان الذي جرى فيه الفراق بين عروة وزوجه.

---

(١) يستشهد ابن منظور بهذا البيت على أنه لِهُذْبَة وأن ابن سيده نسبه لابن أحمر. لسان العرب. مادة [حور] ج ٤ ص ٢١٩.

(٢) المرجع السابق مادة [غضر] ج ٥ ص ٣٤.

* لقد كانت صدمتُه في يوم غَضْور كبيرة : صَدَمَه موقفُ ليلى منه وتخليها عنه، وصَدَمَه، أكثر من ذلك، نعتُها إياه بخفة العقل. وهو يتمنى أن تُرِيهَا الأيام مدى خطئها في تفريطها به، وأن تندم على فعلتها أشدَّ الندم.[1]

١١ـ فَغُرِّبْتِ، إنْ لَمْ تُخْبِرِيهِم، فَلَا أَرَى   لِيَ، اليومَ، أَدْنَى منكِ عِلْماً وأَخْبَرا:

غُرِّبْتِ : أُصِبت بالغربة.

* يسأل عروةُ ليلى : ولِمَ لا تخبرينهم عني، وأنا لا أعرف في الدنيا أحداً أدرى بي منكِ وأخبر ؟... بل عليك أن تخبريهم، ولئن لم تفعلي جعلك الله اسيرة في غير قومك ، تعيشين غريبة ذليلة، بعيدة عمن تحبين، (وبذلك يحصل عندها الندم على الأيام التي قضتها عنده. فحين تعرف سواه تعلم أنها فرّطت بالسعادة من حيث لا تدري).

١٢ـ قَعِيدَكِ ، عَمْرَ اللهِ ، هَلْ تعلَمينَنِي   كريماً، اذا اسْوَدَّ الأنامِلُ، أَزْهَرا،

قعيدك : مُقاعِدك، وتأتي بمعنى حافظك، وهو كنايةٌ عن الزوج ،كما أن قعيدة الرجل وقعيدة بيته امرأتُه.

رجل أزهر : أبيض، مشرقُ الوجه، مستنير. واشراق الوجه هنا كنايةٌ عن الكرم والرغبةِ في الضيف. فالكريم المضياف هو الذي يُشرقُ وجهُهُ، زمنَ البردِ والقحطِ، بما يقدّمه لسدِّ حاجة الناس.

اسْوَدَّ الانامِلُ : غَشِيَها السوادُ من دخانِ النار ورمادِها. وذلك كنايةٌ عن البرد الشديد الذي يدفع الناس الى الاصطلاء بالنار. هذا الوقتُ عادةً من

---

(١) لعله يشير هنا الى ما ترويه الاخبار عن رفض ليلى العودة معه وتشبثها بالمقام بين أهلها وعن نعتها اياه بالغباء اذ طلب منها إخبار صواحبها عنه كرجل وزوج.

أصعب الأوقات في البادية اذ يصاحبه القحطُ وقلةُ ذات اليد، ويزدادُ فيه طالبو القِرى والمعروف.

* اذكري زوجك، بِحَقِّ الله، ألا تعرفينه سيداً كريماً؟ ألا ترينه، وقتَ الشدةِ وزَمنَ القحطِ، حين يشتدُّ البردُ فيكثرُ الناسُ من غِشيانِ المواقد حتى تَسْوَدَّ منهم الأناملُ، مشرقَ الوجه، مُرَحِّباً بالأضياف وطالبي المعروف ؟

١٣ــ صَبُوراً عَلَى رُزْءِ المَوَالي وحافِظاً لِعِرضِيَ حتى يُؤكَلَ النَبْتُ أخْضَرَا،

رُزء الموالي : من رَزَأَ الرجلَ اذا أصاب من خيره. فرزء الموالي : اصابتُهم من خيري.

حافظاً لِعرضي : محافظاً على سُمعتي، وذلك بِعَدَمِ التقصير في الكَرَمِ، لأن زمنَ الشدةِ وقلةِ الخير هو المحكُّ الفعلي لهذه الفضيلة : الكريمُ الحقيقي يظلُّ يعطي ويؤثر الآخرين على نفسه بما عنده، ومدَّعي الكرمِ يتراجعُ محافظاً على ما لديه، عابساً في وجه الضيف، ومذموماً.

يؤكل النبتُ أخضرا : كناية عن ذَهاب الشتاء بقحطه ومجيء الربيع ومَعَهُ الخير.

* يتابع عروة معنى البيت السابق مؤكداً كَرَمَه في أصعب الظروف. فهو اذن، في وقت الشدةِ والقحط، يحافظُ على سمعته، فلا يقصّر في المعروف، بل يتحمّل حاجةَ أصحابه اليه، ويرفِدُهم بما عنده الى أن يذهب الشتاءُ والبردُ وتدبّ الحياةُ من جديد في الطبيعة ويكثر الخيرُ، فيخرج الشاعرُ « وعِرضهُ وافرٌ لم يُذْمَمِ ».

١٤ــ أَقَبُّ وَمِخْمَاصُ الشِتاءِ، مُرَزَّأً، إذا اغْبَرَّ أولادُ الأَذِلَّةِ أَسْفَرَا

أَقَبّ : ضامر البطن، دقيق الخصر وهو خبر المبتدأ : قعيدك.

مخماص : كالخميص، وهو الضامر البطن، والجائع.

مُرزَّأ : للناس في أمواله نصيب.
اغبرّ أولادُ الأذلّة : تجهّم وجهُ اولادِ اللئام، أي عَبَسوا في وجه الأضياف، وذلك كناية عن البخل.
أسفر : أشرق. ومنه أسفر الصبحُ : أضاء.

* في هذا البيت أيضاً إمعانٌ من عروة في استثمار فكرة الكرم الذي يثبتُ في أصعب الظروف. إن الشاعر يُعطي، زَمَنَ القحط، فإذا قلَّ ما لديه ولم يعد يكفيه وطالبي معروفه، آثرهم على نفسه فباتَ على الطوى ليشبعوا، وحمل آثار الحرمانِ هزالاً وضمورَ خصرٍ وجوعاً طيلة الشتاء. انه لا يستطيع ردَّ طالبي المعروف عنه بالتجهُّم واغبرارِ الوجْه كما يفعل أولادُ اللئام، انه لا يعرف إلا الترحابَ واشراقَ الأسارير.

٢٠ ـ صعلوك فقير وصعلوك أمير

(الطويل)

يحلو لعروة أن يجعل زوجَه تلومه على حياة المخاطر التي يحياها، وأن يلومها هو على لومها.. وعروة، بذلك، يحقق هدفين : أولُهما ابرازُ جَزَعِ الزوجة وخوفِها عليه، وهذا يُرضي كل ذَكَر اذا أتى من أنثاه. وثانيهما أن ينطلقَ، من اللوم ، الى تمجيد حياة السعي والمغامرة، جاعلاً من نفسه مثلاً، حاثّاً الآخرين على الاقتداء به والاستماع الى صوت العقل والحاجة، لا صوتِ المرأةِ الجزوع...

وفي هذه القصيدة يقوم عروة بتصنيفٍ ومقابلة : يصنّف الصعاليك صنفين : المستكين والمغامر. ويقابل بينهما مفاضلاً : يصوّر الاول في اطار الذل والبؤس، فيما يرسم للثاني صورةً مشرقةً جذّابة. فتكون هذه المفاضلة دعوة ضمنية الى ترك

الخمول، وطلبِ الغنى تأميناً للعيش الكريم ولواجب الضيافة والكرم...

١ ــ أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ، يا بنتَ مُنذِرٍ، وَنَامِي وإنْ لَمْ تَشْتَهِي النومَ فاسهري.

بنت منذر : زوجته سلمى الكنانية[1]. يكنيها « أم وهب » تارة[2] « وأم حسان » تارة أخرى.[3]

* يبدو عروةُ متبرّماً بتدخلِ زوجته في شؤونِ عمله واكثارِها من لومه، فيدعوها إلى أن تكفَّ عن ذلك وأن تنصرفَ الى شؤونها : أن تنامَ، وفي ذلك راحةٌ لها وله، أو أن تسهرَ، اذا لم تستشعرْ نعاساً، أن تفعل ما يحلو لها، شرطَ أن تتركَهُ لحالِه.

٢ ــ ذَرِيني وَنفسي، أُمَ حَسَّانَ، إنني، بِها، قبلَ أنْ لا أُملِكَ البيعَ مُشتَري.

ذريني : اتركيني.

البيع والشراء : من الاضداد، وكلتاهما هنا بمعنى الشراء.

* اتركيني لنفسي أتصرّفْ بها كما أُريد، قبل أن يسبقني الزمنُ وأغدوَ عاجزاً عن التصرف بها. دعيني أبذلْها ثمناً للمجدِ والذكرِ الحسن.

---

(١) ابراهيم شحاده الخواجه ــ عروة بن الورد ــ ص ٦٩.
ويظهر أن سلمى هي المرأة التي كانت تُكِنُّ له وداً حقيقياً. فهي التي يقترنُ اسمُها في شِعرِه بنهيِه عن الغزو والمغامرة وذلك بحافزِ حبِها له وخوفِها عليه ورغبتها في أن تراه دوماً قريباً منها. ومع أنها تركتْه فيما بعد لتلحقَ بأهلِها، فإنها قرَّظته تقريظاً ينضحُ بالحب والتقدير، وهذا ما لم تفعلْه ليلى بنتُ شعواءَ في مناسبةٍ مشابِهة.

(٢) راجع قصيدته على التاء ص ٩٦. وقصيدته الرائية ص ١٢٩.

(٣) راجع قصيدته على الفاء ص ١٩٤.

٣ ــ أحاديثَ تبقَى، والفَتى غيرُ خالِدٍ، إذا هو أمسى هامةً فوقَ صَيِّرِ،

أحاديث : (مفعول به لمشترٍ في البيت السابق) فاقوالُ الناس عنها (عن نفسه) هي التي يريد شراءها.
الهامة : طائرٌ اعتقد الجاهليون أنه يخرُجُ من رأس المقتول غدراً، يصرخُ : اسقوني، اسقوني ؛ ويبقى على ذلك الى أن يؤخذَ بثأره.[1]
صيِّر : قبر[2].

* ان كل نفسٍ ذائقةُ الموتَ، والذكرُ الحسنُ هو الذي يبقى بعد أن يواري الانسانُ الترابَ ويتحولَ الى هامةٍ تصرخُ فوق كومةٍ من حجارة.

٤ ــ تُجاوِبُ أحْجارَ الكِناس، وَتشتكي إلى كلِ معروفٍ، رَأتْهُ، وَمُنْكَرِ،

الكِناس : المغار تَكنِسُ (تَستَتِرُ) فيه الظباءُ وتغيب. وقد كَنَّى به عن القبْر.
المُنكَر : غير المعروف.

* هذه الهامةُ تلازِمُ القبرَ، تصرخُ فتجاوبُها أحجارُه، تستغيثُ بكل من يمرُّ بهِ، معروفاً منه كان أو غيرَ معروف.

٥ ــ ذَريني أُطَوِّفْ في البلادِ لَعَلَّني أُخلّيكِ، أو أُغنيكِ عن سُوءِ مَحْضَرِ،

طَوَّف في البلاد : سار فيها، دار وتنقّل.
أُخلّيك : اجعلُك طالقةً (اذا مُتُّ عنك) فقد كان الرجلُ في الجاهلية يقولُ

---

(١) « كانت العرب تزعمُ ان روح القتيل، الذي لم يُدرَك بثأره، تصير هامة فتزقو عند قبره، تقول : اسقوني اسقوني. فإذا أُدرك بثأره طارت... وقيل : هو عظام الميت التي تصير هامة... » لسان العرب ج ١٢ ص ٦٢٤ [هوم].

(٢) معنى الكلمة وضبطها عن « لسان العرب » (ج ٤ ص ٤٧٧) [صير].

لزوجته : أنت خليَّةٌ، فكانت تُطلّق منه. (وهي، في الاسلام، من كنايات الطلاق)[1]

المَحْضَر : المرجع الى أعداد المياه... وكلُ من نَزَلَ على ماءٍ عِدٍّ ولم يتحولْ عنه، شتاءً ولا صيفاً، فهو حاضر.[2] والمحضرُ هنا كنايةٌ عن المُقام الثابت (على الماء). وسوء المحضر : المُقام في ظروفٍ سيئة.

* دعيني أَسِرْ في البلاد. فإذا مُتُّ، غدوتِ طالقةً، حرةً في اختيار زوجٍ آخر يناسبُكِ . واذا نجحتُ وأصبتُ الغنى، خلّصْتُكِ من سوءِ المُقام الذي تقنعين به. وفي هذا البيت مقابلةٌ بين البقاءِ مع الفقرِ،والضربِ في الأرضِ سعياً وراءَ الرِزق، وهي مقابلةٌ يُكثرُ عروةُ من اقامتها.

٦ ــ فإنْ فازَ سَهْمٌ لِلمنيَّةِ لَمْ أَكُـنْ جَزوعاً، وَهَلْ، عن ذاك، مِن مُتَأَخَّرِ؟

فاز سهم : كنايةٌ عن لعبة الحظ أو وسيلة الاقتسامِ التي يسحبُ فيها المرءُ سهماً من مجموعةِ أسهمٍ كُتِبَ على كلٍ منها اسمٌ أو موضوعٌ. فيكون السهمُ المسحوبُ له، أو عليه، أو محدَّداً لحُصَّتـه، أو للقرارِ الذي يتوجب عليه اتخاذُه.[3]

جزوعاً : مُشفِقاً.

---

(١) المرجع السابق ج ١٤ ص ٢٤١ [خلا].

(٢) مَحْضَر:يقابلها مُنتجَع وهو المذهبُ في طلب الكلأ. والبادي هو الذي يتباعَدُ عن أعدادِ المياه ذاهباً في النُجَع الى مساقِطِ الغيث ومنابتِ الكلأ. المرجع السابق ج ٤ ص ١٩٨ [حضَر].

(٣) راجع ازلام العرب في تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٥٩ والجزور والازلام في « مواسم الأدب » ج ١ ص ٢٠٣ ولسان العرب مادة [زلم] ومادة [يسر] ومادة [منح] ومادة [برم]...

* يتابع عروة تفصيل الاحتمالين الواردين في البيت السابق (الموت أو الغنى) فيقول : أنا في سباق دائمٍ مع الموت، ولا أخافُ أن اكون الخاسرَ لأنني لن أموتَ إلا إذا حانَ أجلِي، وما من إنسانٍ يستطيعُ تأخيرَ أجَلِهِ متى حان.

٧ ــ وَإِنْ فازَ سَهمي كَفَّكُمْ عَن مَقَاعِدٍ　　لَكُمْ خَلْفَ أدبارِ البيوتِ، وَمَنْظَرِ.

كَفَّكُم : صرفكُم، صانكمُ، مَنَعَكُم

المقاعد خلفَ أدبارِ البيوت : الأماكنُ الخلفيةُ لبيوت الميسورين حيث يكون الخدمُ وأصحابُ الحاجات والسائلون.[1]

* أما إذا كان الفوزُ لي، وخلّفتُ الموتَ ورائي، فإن ما ينالُني من الغنى سيعودُ خيراً يَعُمّكُمْ جميعاً، يصونُكم عن مقعدِ الفقرِ ومنظرِ الذلّ اذ يغنيكم عن ارتيادِ الأماكنِ الخلفيةِ لبيوتِ الأغنياء.

٨ ــ تقولُ: لَكَ الويلاتُ، هل أنتَ تارِكٌ　　ضُبُوءاً، بِرَجْلٍ، تارةً، وبِمَنْسِرِ؟

لك الويلاتُ : نزلت بكَ المصائبُ. وهذا الدعاءُ نوعٌ من التحبب وليس للتشفّي، لأن حافزَه الخوفُ على عروة، كما يتبين من الابيات اللاحقة.

الضُبوء : الزحفُ المتخفي بقصْدِ الختْلِ والمفاجأة.

الرَجْل : من يركبُ رِجليه.

المَنْسِر : والمِنْسَر : من الخيل ما بين الثلاثة الى العشرة[2].

---

(١) يفسر هذا الوضع بيت آخر لعروة في القصيدة نفسها (رقم ١٧) يقول فيه.

يُعينُ نساءَ الحيِّ، ما يستعنَّه،　　ويُمسي طليحاً كالبعيرِ المُحَسَّرِ

(٢) وقيل ما بين الثلاثين الى الأربعين، وقيل ما بين الأربعين الى الخمسين أو الى الستين. وقيل ما بين المئة الى المئتين. (لسان العرب [نسر] ج ٥ ص ٢٠٥).

* تدعو عليه زوجته، دعاءَ تحبُّب، بالمصائبِ والنوائبِ، للحياةِ القلقة التي يحياها، ولما تُحِسُّه دوماً من خوفٍ عليه ومن اضطراب، وتسأله : أما آن لك أن تُقلِعَ عن الزحْفِ المتخفي المتلصِّص، مع الرجّالة، وعن عمليات الاقتحامِ مع الخَيّالة ؟

٩ ــ ومُستَثِبٌّ في مالِكَ، العامَ، إنَّني أراكَ عَلَى أقتادِ صَرْماءَ مُذكِرِ،

ومُستثِبٌّ : (معطوفٌ على تاركٌ) أي وهل أنت مستثبٌّ : متأنٍ لا تعجل.[1]

العامَ : هذه السنة.

الأقتاد : ادوات الرحل.

صرماء : ناقةٌ قليلةُ اللبَن لأن غُزْرها انقطع، أو هي التي تُقطَعُ أوطابُها لتشتدّ. والصرماء : الفلاة من الأرض، والمفازةُ التي لا ماء فيها.

مُذكِر : شديدة، ذاتُ حول.

والمُذكر : الناقة التي تلد الذكور. وكانت العربُ تكره أن تنتج الناقةُ ذَكَراً، ويتشاءمون بذلك، فضربوا الأذكار مثلاً لكل مكروه.

* وهل أنت، هذا العامَ، مستمرٌّ في تبديدِ مالك ؟ هلّا تأنّيتَ في الانفاق وحسبتَ حساباً للأيام المقبلة، فإنني أراكَ تركَبُ ناقةً مشؤومة شديدة (أي تستقبل أياماً صعبة).

---

(١) في جمهرة أشعار العرب (ص ٢١٥) **مُستَسْبِت** ومعناها : مرتاح وساكن. فيكون معنى البيت، والذي يليه، مع افتراض أن **الصرماء** هي المفازة القاحلة :

* هلّا سكنتَ وارتحتَ هذا العام بين أهلك ومالك، فإنني أراك على حافة مفازةٍ شديدة الخطر، ليس فيها الا الذئب والغراب، هائلة ذات مزالق، لا يثبت عليها أهل المعروف، يتربص الموتُ بمن يجتازها، فاحذر لنفسك منها.

١٠ـ فَجوعٍ لأهلِ الصالحينَ، مَزِلَّةٍ،[1] مَخوفٌ رَدَاهَا، أن تصيبَكَ فاحذَرِ.

فجوع : تصيب وتؤلم (وهي نعت ثان لصرماء) **والصالحون** : ذوو المعروف، لا ذوو الدين.

المَزِلَّة : المكان الدحض (المنزلق)، وهو موضع الزَلَل.

الرَدَى : الهلاك. و« رداها » مبتدأ مؤخر خبره « مخوفٌ » المتقدم عليه.

« هذه المصيبة المتوقعة (الأيام الصعبة) شديدةٌ على الصالحين، أهلِ الخيرِ والمعروف، تنالُ منهم وتؤلمُ أهلَهم، وهي منزلَقٌ خَطِرٌ لا يمكن الثباتُ فيه، مخيفةٌ، يُحسَب للردى فيها ألفُ حساب، فحاذِرْ أن يُصيبَكَ أذاها.

وسواء كان المقصودُ أنه على ناقةٍ مقطوعةِ الأوطاب، شديدةٍ، منتجةٍ للذكور، مشؤومةٍ (وذلك كناية عن المصيبة)، أو المقصود أنه على حافة مفازةٍ شديدة الهولِ، فمهلكةٍ (كناية عن الخطر)، فإن الثابتَ أن الزوجة تستشعرُ خطراً داهماً يتهدّدُ زوجَها، في شخصِه أو مالِه، وتحاولُ اقناعَه بالعُدولِ عن عادتِه في السفر أو الانفاق.

١١ـ أبَى الخَفْضَ مَنْ يَغْشَاكِ مِنْ ذي قَرابةٍ ومِنْ كُلِ سَوداءِ المَعَاصِم تَعْتَرِي.

الخَفْض : الدَعَة والسكون. **أبى الخفض** : أبى عليّ الخفض أي منعني من الدَعَةِ والسكون.

غشيه : حَلَّ به. وغشي المكانَ : أتاه.

سوداء المعاصم : مَن اسودّت يداها من العمل وتحريك النارِ والرمادِ

(١) في الجمهرة : فجوع بها للصالحين مَزِلَّة. وفجوع وردت في حالة الرفع في معظم الروايات ووجدنا أن استقامة المعنى تقضي بخفضها. فأثبتنا الخفض.

للصِّلاء. وهي كناية عن المرأة الفقيرة ذاتِ العيال.[1]

تعتري : تغشى طالبة المعروف.

* أنا لا أستطيع تلبيةَ طلبكِ بالاستكانة الى الدَّعَةِ وتركِ السعي، يمنعني من ذلك واجبُ المعروف نحو الأقرباء الذين يحلّون ببيتك، ونحو طالباتِ العطاءِ من الفقيراتِ ذواتِ العيال اللواتي اسودّت معاصمُهُنّ لكثرةِ ما يحرّكْن الرمادُ يُعلِّلْن بذلك عيالَهُنَّ الجائعين.

١٢ــ وَمُستَهنِيءٍ، زيدٌ أبوهُ، فلا أَرَى[2]   له مَدْفَعاً، فاقَنْي حَياءَكِ واصبِرِي

مستهنيء : طالب الهِنْء، وهو العطاء. واستهنأ الرجلَ : استَعطاه.

مَدفَعاً : دفعاً ، وسيلة لصده وردّه.

اقَنِي حياءَكِ : الزميه.

* ويمنعني من الدعةِ أيضاً طالبو العطاء من أبناء العمومَةِ المنتمين الى زيد، اذ لا أجدُ وسيلة أصدُهم بها دون أن أخجَل. وأنتِ عليكِ أن تلزمي حياءَكِ وتعرفي حدودَ الكرامةِ فلا تشيري عليّ بما يُخجِل.

١٣ــ لحا اللهُ صعلوكاً، اذا جَنَّ لَيلُهُ،   مُصافي المُشاشِ ، آلِفاً كلَّ مَجْزِرِ

لحا اللهُ : قبّح اللهُ ولعن.

المُشاش : كل عظم لا مخّ فيه يمكنـك تتبُّعهُ... ومَشَّهُ : مَصَّه ممضوغاً.

---

(١) من حيل النساء الفقيرات، لإلهاء أولادهن عن طلب الطعام، وضع قدر على النار فيها ماء وحصى، يحرّكنها بين الفينة والفينة معلّلاتٍ أولادهن بطعام يُنتظر أن ينضج، ويَفْضلن هكذا الى أن يغلب النومُ الأولاد.

ومنها أيضاً أن يطمرن شيئاً صلباً في الرماد، ويداومن على تحريكه معللات اولادهن بقرب نُضجه، بانتظار أن يغلبهم النوم. وكثرة تحريك الرماد تترك سواداً على الأيدي.

(٢) في لسان العرب : فلم أجد (ج ١ ص ١٨٦) [هنأ].

مُصافي : مستخلِص.
المَجزِر : مكانُ الذَبْح، وفيه تُتركُ عادةً بقايا الجَزور.
جَنَّ ليلةُ : ستره الليل.

* لعن اللهُ صعلوكاً، يجعلُ همَّه، اذا ما ستره الليلُ، أن يرتادَ المجازرَ، يبحثُ فيها عن العِظام التي لا مُخَّ فيها، مما يتركه الجزّارون، ليَمُصَّها ماضغاً مقتاتاً بمائها.

١٤ـ يَعُدُّ الغِنى، مِن نفسِهِ، كلَّ لَيلةٍ   أصابَ قِراها مِن صَديقٍ مُيَسَّرِ،

القِرى : اطعام الضيف والطارق.
المُيَسَّر : ذو الغنى والسَعَة.

* هذا الصعلوك بلغ الغاية، فقراً وجوعاً، حتى اذا قُيِّض له صديقٌ ذو غِنى وسَعَة، يُقدِّم له قِرى ليلةٍ، عَدَّ نفسه من الاغنياء.

١٥ـ يَنامُ، عِشاءً، ثم يصبحُ ناعِساً،   يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ[1]،

العِشاء : أولُ الظلامِ من الليل.
حَتّ : فرك الشيء اليابسَ عن الثوب وغيرِه.
المتعفّر : المتمرِّغ في التراب.

* هذا الصعلوك الساعي خلفَ اللقمة، يعيش حياةً بائسة ضيقة النطاق، لا سلوى فيها ولا سَمَر. ينامُ باكراً منذ حلول الظلام، ومع ذلك يُصبحُ والنعاسُ في جفنيه : إن نومَهُ الطويل لا يحملُ الراحة الى جسمه لأن فراشَه الارضُ بغبارِها وحصاها، يعلق ذلك كلُه بثوبِهِ، فيَحتُّه عنه عندما ينهض.

---

(١) أورد المبرّد صدر البيت بالصيغة التالية : ينام ثقيلاً ثم يصبح قاعداً... (الكامل ج ١ ص ١٣٢).

١٦ــ **قَليلُ التِماسِ الزادِ، الا لِنَفْسِهِ، إذا هو أمسَى[1] كالعريش المُجَوَّرِ،**

التمس : طلبَ.

العريش : ما يُستظَلُّ به، ما يُعرَّش به الكرم، شِبهُ الهودج، مِظلة من جريد النخل يُطرح فوقها الثُمام، السقف، الخيمة، البيت المصنوع من جريد النخل والثُمام.

المُجوَّر : المتهدم. والعريش المجوَّر : البيت المتهدم.

* الصعلوك الذي يتحدث عنه عروة انسانٌ أناني (وتلك صفة تعني الحقارة في عالم يمجّد الكرَمَ والإيثار) لا همَّ له الا نفسه. يكتفي بتأمين زادِه، لا يفكر بسِواه. وهو لا فائدة منه لأهلِهِ وعيالِهِ لأنه، حين يأتي عليه المساءُ، يتهالك تَعَباً كأنه رُكامُ بيتٍ متهدِّم.

١٧ــ **يُعينُ نِساءَ الحيِّ، ما يَستَعِنَّهُ، ويُمْسِي طَليحاً كالبعيرِ المُحَسَّرِ**

الطليح : الذي أصابه الكَلَلُ والإعياء حتى كاد يسقُطُ.

المُحسَّر : الجمل الذي تعب وكلَّ أو الناقةُ التي أُتعبت حتى تُنقى (لا يبقى عليها شحم)

* يفسّر عروة سببَ الإجهاد الذي وصف به الصعلوك، فإذا هو لا يعود الى علوِّ الهمة والأعمالِ المجيدة، وانما يعود الى الاعمالِ الحقيرة التي يقوم بها، اذ يقف بين ايدي النساء يلبي طلباتهن ويقوم بأعمالهنَّ ؛ ومتى جاء المساءُ يكونُ الاعياء قد نالَ منه فأمسى كالبعير المُجهَد يكاد يتهاوى وقد هزُلَ وضَعُفَ.

---

(١) عند ابن منظور « إذا هو أضحى » راجع لسان العرب [عرش] ج ٤ ص ١٥٥.

١٨ــ ولكِنَّ صُعلوكاً، صَفِيحَةُ وَجهِهِ كَضَوْءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ،

الشِهاب : الكوكبُ المنقضّ، وكلُ مضيء يتولّدُ من النار.

القابِس : طالب القَبَس أو حاملُه. والقبَس : شعلةٌ من نار (جزء مأخوذ من كل) أو هي نار تؤخذ على طرف عُود، بهدف اشعال نارٍ أو اضاءةِ الطريق.

ضوء شِهاب القابِس : الضوء تلقيه النارُ التي يحملُها القابسُ، حولَه وعلى وجهه. وميزةُ هذا الضوء أنه، والعَتمة تُلفُّه، يتوهج فيُرى من بعيد، ويكون، على ضآلتِهِ، أمراً ملحوظاً في سواد الليل.

المتنوِّر : المضيء.

* بعد أن قدّم عروة المسوِّغات لحياةِ الصعْلكة، وهي مسوّغات انسانية رفيعة، وبعد أن عَرَضَ لوحةً تمثل الصعلوك الذليلَ التافِه، يعرض لوحةً أخرى مشرقة لصعلوكٍ شريف وكأنه يريد أن يسأل امرأته : أي الصعلوكين تريدينني أن أكون ؟ فهذا الصعلوك، الذي يصوّر نفسه من خلاله، أبيٌّ، للمَهابةِ على وجهِهِ نورٌ يُذكِّر بالنور المنعكس على صفحةِ وجه القابس.

١٩ــ مُطِلّاً على أعدائِهِ يَزْجُرونَه، بساحَتِهِم، زَجْرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ،

زَجَره : صاح به ينهاهُ أو يطرده.

المَنيح : قِدْح من قِداح الميسر لا نصيب له. وسمي المنيح لأن صاحبه لا ينال شيئاً اذا خرجَ، الا أن يمنَحَه الآخرون من نصيبهم.

وزجْرُ القِداح : أن يحيطَ الياسرون بضارب القِداح يصرخ كلٌّ على قِدحه، مشجعاً ظهور القِدح الجيّد، طارداً القدحَ الخاسر، كما يفعل المراهنون على خيل السباق.

المُشَهَّر : المشهور والمُشَهَّر ايضاً مِن اشتهرتُ فلاناً اذا استخففْتُ به وفَضَحْتُهُ.

* ان نورَ المهابة يعلو وجهَ هذا الصعلوكِ، حين يُطِلُّ على الاعداءِ بساحتهم، فيخافونه ويصيحون به ليطردوه، كما يفعل الأيسار بالقِدح المنيح الذي لا نصيب له : لا يرغبون في ظهوره، فيزجرونَهُ، محاولينَ طردَه، كلما أطَلَّ.

٢٠ــ إذا بَعُدوا لا يأمنونَ اقترابَهُ، تَشَوُّفَ أهلِ الغائبِ المُتَنَظَّرِ،

تشوَّف الى الأمر : تطلَّع اليه.

* اذا زجروه وطاردوه، ثم عادوا، لا يأمنونه ولا يؤمِنون بانصرافه. انهم يترقبونه، وينتظرون ظهورَهُ في كلِ لحظة ؛ فكأنهم، في انتظارِهِم وترقُّبِهِم، أهلُ لغائبٍ يتوقعون قدومَه : يطلّون دوماً الى الخارج يستطلِعون الأفق.

٢١ــ فذلك، إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا حَمِيداً، وإنْ يَسْتَغْنِ يوماً، فأَجْدِرِ.

حميداً : محموداً.

يستغني : يصيب غِنىً.

فأجدِر : فأجدِرْ بِهِ، أي هو جدير بذلك.

* هذا الصعلوك المَهيبُ جديرٌ بأن يُصيبَ الغِنى في يوم من الأيام، أما اذا أدركَتْهُ المنيةُ دون ذلك فإنه يموتُ شريفاً محموداً.

٢٢ــ أَيَهْلِكُ مُعْتَمٌّ وَزَيْدٌ، وَلَمْ أَقُمْ عَلَى نَدَبٍ، يوماً، وَلي نَفْسُ مُخْطِرِ؟

مُعْتَمّ وزيد : (من جدود عبس)[1] والمقصود بنو معتم وبنو زيد.

---

(١) وجدنا، بين جدود عبس، « زيد » بن عدوان بن قيس عيلان بن مضر. ولم نجد بينهم « معتماً ».

النَدْب : الخطر.
لم أقُم على نَدْبٍ : لم أعزم على ركوب الخطر (للدفاع عنهم).
المُخطر : المعرِّض نفْسَه للهلاك. **ولي نفس مُخطِر** : أنا معروفٌ بتعرُّضي للأخطار.

* أيهلِك بنو زيد وبنو مُعتمّ فلا أعزم يوماً على ركوب الخطرِ دفاعاً عنهم، مع أنني معروف بالمغامرة، وبتعريض نفسي للمخاطر ؟

٢٣ــ سَتُفْزِعُ، بَعْدَ اليَأْسِ ، مَنْ لا يَخافُنا، كَواسِعُ في أُخْرَى السَوَامِ المُنَفَّرِ،

كواسِع : من كَسَع الدابةَ اذا ضَرَبَها على دُبْرِها لِيَحُثَّها على السير. والكَواسع (هنا) الخيل التي تطرُدُ الإبل.
الأُخرى : الأواخر.
السوام : الإبل التي أُخرجت الى الفلوات وخُلّيتْ وَسَوْمَها ترعى حيث تشاء.
المنفَّر : المستنفَر. والسوام المنفَّر : الإبل التي أُثيرت من مرعاها فاهتاجت وذُعرت، وانطلقت تعدو لا تلوي على شيء. (والاستيلاء على الابل باقتيادها من المرعى أسهل منه باقتيادها من الحظائر. لأن تنفيرها في مرعاها يكفي لجعلها تعدو. فاذا ضربت الأواخر منها على أدبارها راحت تدفع التي أمامها واستمرَّ الجميعُ في العدو.)

* ان من لا يخافُنا لأنه يَئِس من قُدْرتِنا على الإغارة، سيُفاجَأُ بنا وتُذعِرُهُ خيلُنا، تنفّر قطيعَهُ من مرعاه، تطردُ أواخرَ الإبلِ فيه (وهذه، بدورها، تدفع الأوائل).

٢٤ــ يُطاعِنُ عَنْها أولَ القومِ بالقَنَا وَبِيضٍ خِفافٍ ذاتِ لَونٍ مُشَهَّرِ،

يُطاعن : الأصح نُطاعن.

القَنا : الرماح
البيض : السيوف
المشهَّر : المشهور.

* يحاول عروة شرح خطته في الاغارة قائلاً : اننا ندخلُ بين القومِ وإبلهم : فبينا يقوم بعضنا بتنفير الإبل واقتيادِها، يلاقي البعضُ الآخر طليعةَ أصحابِها فيقاتلُهم بالرماحِ وبالسيوفِ الخفيفة التي اشتهرنا بها.

٢٥ــ فَيَوماً على نَجْدٍ وَغَاراتِ أَهْلِها، ويوماً بِأَرْضٍ ذاتِ شَثٍّ وَعَرْعَرِ،

الشَثّ : من شجر الجبال (وردت « شثّ » وهذا خطأ)
العرعر : شجر يقال له « الساسَم » و« الشِيزى »، ويقال إنه شجر يُعمل به القطران، أو هو شجر عظيم جبليّ لا يزال أخضر تسمّيه الفرس « السرو »[1]

* هكذا تمضي الأيام بالصعاليك : يومٌ يغيرون فيه على بلادِ نجدٍ وأهلِ نجد، يسوقون المواشي، يقودونها الى الجبال حيث الشثُّ والعَرعر، وهناك يمضون يومَهم الآخر في استهلاك ما غنِموه.

٢٦ــ يُناقِلْنَ، بالشُّمْطِ الكِرام، أولي القُوى نِقابَ الحِجازِ في السَريح المُسَيَّرِ[2]

يناقل : الفرسُ في جريه اذا اتّقى، في عدْوِه، الحجارَة، لحُسنِ نَقْله.
الشُمط : جمع أشمط، وهو الذي في شعره اختلافٌ بلونين، من سوادٍ وبياض.

---

(١) لسان العرب [عرر] ج ٤ ص ٥٦٠.
(٢) في اعتقادنا أن موضع هذا البيت قبل الذي سبقه لأنه يتمم قصة السطو.

الكِرام : الأصيلة. **والشُمط الكرام** : النوق الأصيلةُ التي يخالط السوادُ بياضَ وَبرِها.
النِقاب : جمع نِقْب وهو الطريق الضيق بين جبلين. والنِقاب ايضاً : الطريق في الغَلْظ.
السَّريح : السَّير الذي تُشَدُّ به الخَدَمَةُ فوق الرسغ. والخَدَمة : السَّير الغليظ المُحكم قبل الحلقة، يُشَد في رسغ البعير، ثم يُشَدُّ اليها سرائحُ نَعلها. (ويُنَعَّل خف البعير بالجلد لكي لا يحفى).
مُسيَّر : فيه خطوط أو سيور. والسيور ج سَيْر وهو ما يُقَدُّ من الجلدِ طولاً.

* ان الخيل الكواسع، التي طردت الإبل، تعدو بأصحاب عروة متّقيةً الحجارة لحُسن نقلها، دافعةً أمامها الإبل الكريمة التي خالط السوادُ بياضَها، القوية التي أُحْكِمت الخَدَمَاتُ فوق ارساغها وشُدّت اليها سُيورُ نعالها، فتجعلها تجتاز طرق الحجاز الضيقة الصعبة الى معاقلهم الجبلية، حيث أرضُ الشث والعرعر.

* * * * * * *[1]

(١) الأبيات الثلاثة التالية موضع نزاع بين عروة وآخرين. فابن السكيت يذكر البيتين الأولين معاً ويذكر البيت الثالث في آخر القصيدة الرائية المذكورة أعلاه.
والأصفهاني يذكر البيتين الأولين، والبيت الثالث معدلاً، في مجموعة أبيات يُتبعها قوله : « من الناس من يروي هذه الأبيات لعروة بن الورد، وهي للعُجير السلولي، (الأغاني ج ١٣ ص ٦٤). وقد أورد أبو تمام البيتين الأولين في « حماسته » على أنهما لعروة. ولأن في الأبيات نفسَ عروة، فإننا نثبتها. وقد ألحقناها بالقصيدة الرائية لأنها من بحر القصيدة ورويّها.

٢٧ـ سَلِي الطارقَ المُعتَرَّ، يا أُمَّ مالِكٍ، إذا ما أتاني بين قِدْري ومَجْزِري،

الطارق : القادم ليلاً طالباً الضيافة.

المُعتَرّ : من الرجال الغليظ الضخم الكثير اللحم. وعَتَر الرمح : اضطرب وتراجع في اهتزاز.

والطارق المعتر : الضيف القادم ليلاً يطلب القِرى، مضطرباً، متردداً.

قِدري : المقصود بها مكانُ إنضاج اللحم، حيث يُقدَّم مطبوخاً.

مجزِري : مكان النحر، حيث اللحم يُعطى نيئاً.

* يخاطب عروة زوجته سلمى التي يكنيها تارةً « أم حسان » وتارة « أم مالك » وتارة « ابنة منذر »، يدعوها لتسألَ عنه الضيفَ الذي يأتي ليلاً، مضطرباً متردداً، يطلب القِرى، لحماً مطبوخاً من قِدْرِ عروة المنصوبَةِ دوماً، أو من مكانِ النحر وفيه يُقطع اللحم من الجَزُور مباشرة.

٢٨ـ أَيُسْفِرُ وَجْهِي ؟ أنَّه أوَّلُ القِرى، وَأَبْذُلُ معروفي لَهُ دونَ مُنْكَرِي ؟

أيُسفِر وجهي : المقصود : ألا يُسفرُ وجهي؟ ويُسفر : يتهلل بالبشاشة.

انه أول القِرى : المقصود : لأنه (أي إسفار الوجه) أولُ القِرى.

والقِرى : اكرام الضيف والإحسان اليه.

معروفي : المعروف : الجود وحسن الصُحبة وغيرها من فضائل التعامل.

المُنكَر : ضد المعروف، وهو كل ما قَبُح وحُرِّم.

* السؤال الذي كُلِّفت ام مالكٍ بطرحه على الضيف هو : هل يتهلَّلُ وجهُ عروةَ لدى رؤيته فيلاقيه بالبشاشةَ والترحاب وبذلك يكون القِرى قد بدأ ؟ وهل يقدم له عروةُ كلَّ معاملةٍ حسنة فيُكرِمُهُ ويُحسنُ صحبتَهُ، ويتحاشى أن يريه ما يكرَه ؟[1]

---

(١) في شرح التبريزي : المنكر : الحُرم، بمعنى أنه لا يُكنُّ عنه شيئاً سوى الحرم (ج ٣ ص ٦٥).

٢٩ــ يُرِيحُ عَلَيَّ الليلُ أَضْيافَ ماجِدٍ، كَرِيمٍ، وَمَالي، سارِحاً، مالُ مُقْتِرِ.

يُريح عليّ : يُعطيني[1]، يهبني.
الماجد : العظيم الكَرَم[2].
المال : الإبل.
سارحاً : ذاهبة الى المرعى.
مُقتِر : فقير.

* ان إبلي، حين تسرح في المراعي، تبدو قليلةً، إبلاً لانسان فقير ؛ لكن هذا لا يمنعني من القيامِ بواجِبِ القِرى نحو أضيافٍ يحملهُم الليلُ إليّ، همْ في كثرتهم، كأضياف أي جوادٍ عظيم الكرم، غني.

٢١ ــ هل في كريم ماجد ما يعيّر ؟

(الطويل)

يرى عروةُ أن الانتماء العائلي عند العرب هو انتماءٌ أبوي، وأنَّ شرفَ النسب هو شرفُ نسب الأب والجد. فمتى حاز المرءُ كَرَمَ المحتد الأبوي، فلا شيء يُعاب عليه... اللهم الا أن يكون قومُه مُغرضين، يتناولونه بالنقد، أَحسَنَ أو أَساءَ، وفي جميع الحالات التي يكون عليها : في الفقر وفي الغنى، في الشباب وفي المشيب، وهذا وضع عروة... ولعله، حين يحاول حصرَ كرمِ المحتد في الانتماء الابوي، يتجاهل عادةَ العرب المعروفة في تقدير من يجمعُ المجدَ من طرفيه : كرم الام كرم الأب، وهذا التجاهل يقصدُه

(١) لسان العرب [روح] (ج ٢ ص ٤٦٥).
(٢) اساس البلاغة [مجد].

عروةُ لتغطية ثغرةٍ معروفة في نسبه : فأُمُّه نهدية، وهذا الانتماء لم يكن يُشرِّفُهُ...

١ ــ **عَفَتْ، بَعْدَنا، مِنْ أُمِّ حَسَّانَ غَضْوَرُ،   وَفي الرَّحلِ مِنها آيةٌ لا تَغَيَّرُ،**

عفا : درس وهلك، **وأرض عافية** : لم يُرعَ نبتُها فوفر. **وعفوة المرعى** : ما لم يُرْع فكان كثيراً... **عفت غضور** : درست وذهب أثر النزول فيها، أو هُجرت ولم يُرع نبتها فوفر.
غَضْوَر : ثنية بين المدينة وبلاد خزاعة، ولعلها عن منازل عروة وزوجاته. ولقد مرّ بنا أنها قد تكون آخر منزلٍ حلّ فيه الشاعر وزوجته ليلى.[1]
الآية : العلامة.

* ان عروة لم يعد ينزل غضور، بعد أن فارقته أم حسان؛ هذه المنازل هُجرت واندثرت بينما سلمى لا تزال في نفسه باقية لا تزول، وعلى الرحل الذي كانت تعلوه علامة منها ثابتة لا تتغير.

٢ ــ **وَبِالغُرِّ والغَرَّاءِ منها منــازِلٌ،   وحولَ الصَفا، من أهلِها، مُتَدوَّرُ**

الغُرّ والغَرّاء : موضعان.
الصفا : موضع بمكة، واسم نهر بعينه. **والصفا** : اسم احد جبلي المسعى (الصفا والمروة). **والصفا** : العريض من الحجارة، الأملس.
المُتَدَوَّر : مكان الدوران، ويقصد به الدار لأن الدار سميت داراً، من دار، يدور لكثرة حركة الناس فيها.

* لم تعد سلمى تنزلُ غَضْوَرَ، ولم نَعُدْ نحن ننزلُ فيها بعدَها. صارت سلمى تنزِلُ مع أهلِها في الغُرِّ والغَرَّاء والصَفَا، حيث دُورُهم يطوفون بها ويدورون فيها.

---
(١) راجع ص ١٣٩.

٣ ــ ليالِينَا، إذْ جيبُها لكَ ناصحٌ، وإذْ ريحُها مِسْكٌ زَكيٌّ وعَنْبَرُ.

ليالِيَنا : منصوبة على إضمار « أذكر »، أو على النداء.

جيبُها ناصح : يقال : رجلٌ ناصِحُ الجيب : نقيُّ الصدر ناصحُ القلب لا غِشَّ فيه. (كقولهم « طاهر الثوب » وكله على المثل). **جيبها لك ناصح** : قلبُها صافٍ لك، وهي مخلصةٌ (يخاطب نفسه).

ريحها : رائحتها.

* إن أنسَ، لا أنسَ، ليالي الصفاء، حين كانتْ أمُ حَسّان تَمحَضُني الوُدَّ وتُقبِلُ عليَّ بقلبِها المحبِّ، وجسدِها الذي نَضَحَتْه بالمِسك والعَنبَر.

٤ ــ أَلَمْ تَعلَمِي، يا أم حَسَّانَ، أننا خَليطا زِيَالٍ، ليسَ عن ذاكَ مَقْصَرُ؟

الخليط : أقوامٌ يجتمعون في مُنْتَجَعٍ أيامَ الكلأ، فيتقاربون ويتآلفون. فإذا افترقوا ورجعوا الى أوطانهم، أحسّوا بِغصّة الفِراق. **والخليط** : الشريك، الصاحب.

الزِيال : الفراق. **وخليطا زيال** : شريكان أو صاحبان جمعتهما ظروفٌ عارضة، تزول حتماً ويأتي الفراق في نهايتها.

مَقْصَر : الإقصار : الكف عن الشيء ومنعُ حدوثه.

* اذا كنا سعيدين، يا أم حسان، ولم تدم سعادَتُنا فهذا أمرٌ طبيعي: اننا شركاءُ في حياةٍ محدَّدةٍ لفترة محدودة، يأتي بعدها فراقٌ حتمي لا يمكن منعه.[1]

---

(١) قد يكون قصدُ عروةَ بالفِراق فراقَ الأحبابِ الذي تفرضُه ظروفُ الحياة في البادية، الظروف التي لا تستقرّ، شأنَ الفِراق الذي يأتي حكماً في نهاية الانتجاعِ حين ينفَدُ العشبُ ويعودُ الخليطُ كلٌّ الى منازله.

وقد يكون قصدُه اعطاءَ حكمةٍ عامةٍ مفادُها أن الحياةَ، بمجملها، لقاءٌ عارضٌ بين =

٥ ــ وَأَنَّ المنايا ثَغْــرُ كُلِّ ثَنِيَّــةٍ فَهَلْ ذاك، عمّا يبْتغي القَومُ، مُحْصِرُ؟

الثغر : الثُلْمة، الفتحة، كل فُرجَةٍ في جبلٍ أو بطنِ وادٍ.

الثنيّة : الطريق في الجبل كالنِقْب.

مُحصِر : مانِع، من أحْصَرَه : منعه من حاجة يريدها.

* كل طريق طويل صعب ينتهي الى انفراج. كذاك طريق الحياة الشاق، نهايته فُرجَةُ الموت. إلا أن ذلك لا يمنع الناسَ من التمني، والعملِ على تحقيق الأماني.

* ومعنى البيتين السابقين معاً :

إن كل اجتماعٍ في هذه الدنيا موقتٌ آخره فراق، وهذا لا يمنعُنا من أن نلتقيَ ونجتمعَ، طالما أمكننا الاجتماعُ، كما أن الموتَ متربصٌ بالناس، في آخر درب حياتهم، وهذا لا يمنعهم من أن يجدّوا ويَسْعَوا الى تحقيق مطالِبهم.

٦ ــ وغبراءَ مَخْشيٍّ رداها، مَخُوفَةٍ، أخوها، بأسبابِ المنايا، مُغَرَّرُ،

وغبراءَ : رُبَّ مفازةٍ غبراء، وهي التي لا يُهتدى الى الخروج منها.

رداها : الموت فيها.

مَخوفة : مُخيفه، تخافها الناس. والمَخوفة هي ايضاً الطريق المخيف.

أخوها : المعنيّ بها أو باجتيازها.

أسباب المنايا : وسائل الموت وأساليبه.

مُغَرَّر : مأخوذ على حين غفلة، من الغَرَر: وهو ما كان له ظاهر مقبول وباطن مجهول. ويقال: غرّر بنفسه : اذا حملها على غير ثقة. واغتررتُ الرجل : طلبتُ غفلته.

= الناس، يأتي بعده موتٌ حتميٌ يُفرِّقُهم. وهذا المعنى يؤكده البيت التالي.

٧ ــ قَطَعتُ، بها شَكُّ الخِلاجِ، ولم أَقُلْ، لِخَيَّابَةٍ هَيَّابَةٍ: كيــفَ تَأمُــرُ؟

قطعت : اجتزت (يقصد قطعتها).

الشكّ : ظَلْع خفيف (عرَج وغَمْز في المشي) يصيب البعير.

الخِلاج : جمع، مفرده، **الخَلوج** : وهي الناقة التي تخلُجُ السَيْرَ من سُرعتها (أي تجذُبه).

شَكّ الخِلاج : الظَلْع يصيب النوق السريعة (بها شك الخلاج : صفة أخرى للغبراء المذكورة في البيت السابق).

خيّابةٍ هيّابةٍ : في المثل : الهيبة خيبة.. وسعيُه في خَيّاب بن هيّاب، أي في خسار. ولا يقولون منه خاب ولا هابَ.

كيف تأمُرُ : كناية عن السؤال، والطلب من شخص عن طريق عرض الخدمات عليه.

* ومعنى البيتين :

رُبّ صحراء لا يَهتدي الداخلُ فيها الى الخروجِ منها، مخيفة يخشاها الناسُ، خطرةٍ يتربَّص الموتُ في انحائها، أخطرُ ما فيها أن أسباب الردى خفيةٌ تخدعُ مَن يجتازُها فلا تَظهَرُ له على حقيقتها الى أن تأخذَه على حين غرة، وهي مُجهِدة، طويلةٌ شاقةٌ تُصاب النوق السريعة فيها بالظَلْع، هذه المفازة قطعتُها، مفضّلاً ركوبَ مخاطِرِها على سؤالِ لئيمٍ لا أجني منه الا الخَسار.

٨ ــ تَدارَكَ عَوْذاً، بعدما ساءَ ظَنُّهـــا، بِمـاوانَ، عِرْقٌ، مِنْ أُسامـةَ، أَزْهَرُ. ٧

عَوْذ : فرع من عبس ينتمي الى عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض.[1]

---

(١) ابن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الانساب ج ٢ ص ٣٦٣.

ماوان : واد فيه ماء بين النقرة والربذة (يذكره عروة في قصته مع أصحاب الكنيف)[1].

أسامة : نرجّح أنه فرع من فزارة كان منه مالك بن حمار الذي اسدى النصيحة لعروة بشأن مسيره مع أصحابه من جماعة الكنيف وساعدهم وأطعمهم.

أزهر : نيّر، صاف، مشرق.

* يظهر عروة، في هذا البيت، وكأنه يحاول اعطاء حدود لمعنى الأنفة المطلق الذي تجلى في البيت السابق، مستثنياً مالك بن حمار من وصف الخيّابة الهيّابة السابق، ومشيراً الى اليد التي اسداها اليهم مالك (وهو عرق اسامة المشرق) فردّت اليهم الروحَ، بعد أن شارفوا على الهلاك، ومع الروحِ حسنَ الظنِ بالناس.

٩ ــ هُمْ عَيَّروني أنّ أُمي غَريبـــةٌ، وهل في كريمٍ ماجدٍ ما يُعَيَّرُ؟

الكَرَم : نقيض اللؤم، يكون في الرجل بنفسه، وإن لم يكن له آباء كرام.

المجد : الأخذ من الكرم والسؤدد ما يكفي، وهو كرَم الآباء خاصة.

* عَيَّرني قومي أن أمي غريبة عنهم، ولكن، اذا كان المرء قد أخذ نصيبَه من كَرَم الآباءِ والسؤدد، واكتسب شرفَ الفِعال، فبأي شيء يُعيَّر ؟

١٠ ــ وَقَدْ عَيَّروني المالَ، حينَ جَمَعتُهُ، وَقَدْ عَيَّروني الفَقرَ، إذ أنَا مُقْتِرُ!

مُقتر : فقير، مُقِلّ.

---

(١) راجع قصيدته على الحاء (ص ١٠٤ من البحث).

* إن قومي لا يقيسون العارَ على اعمالي بل على شخصي. فحِقدُهم عليّ يجعلهم يُعيّرونني جميعَ أحوالي : يُعيّرونني الغِنى، حين أغتني، ويعيّرونني الفَقْرَ حين أُنفِق فأفتقِر.

١١ــ وَعَيَّرني قومي شَبابي وَلِمَّتي، متى ما يَشا رَهْطُ امرىءٍ يَتَعيَّرُ

اللِمّة : شعر الرأس (اذا كان فوق الفروة) حين يُجاوزُ شحمةَ الأُذُن. فإذا بلغت المنكبين فهي جُمّة.[1] ويبدو أن ارسال شعر الرأس، على هذه الطريقة، « تسريحة » خاصة بالشبان.

واللُمّة : اصحاب الرجل، اذا أراد سفراً فأصاب من يصحبه فقد أصاب لُمّة[2]. وقد تكون اللُمة بالضم ويقصد بها الشاعر أصحابه (ولطالما لامه قومه على هذه الصحبة).

* ان قومي عيّروني شبابي وارسالي شعر رأسي (أو عيّروني صحبتي) فهم يتعيرونني ما يخطر ببالهم لا ما يصحّ أن يكون مأخذاً عليّ.

١٢ــ حَوَى حَيُّ أَحياءِ شُتَيْرَ بنَ خالدٍ، وقد طَمِعَتْ، في غُنْمِ آخرَ، جَعْفَرُ

الحيّ : البطن من بطون العرب.

أحياء : أناس (أحياء) **وحيّ أحياء** : حيّ أناس.

شُتَير بن خالد : رجل من أعلام العرب، كان شريفاً.

جَعفر : أبو قبيلة من عامر، وهم الجعافرة.

* ان القبائل تتباهى بالانتماء إلى الاعلام الشُرفاء أو بانتمائهم اليها.

---

(١) في الحديث : « ما رأيت ذا لِمّةٍ أحسن من رسول الله ﷺ » (لسان العرب ج ١٢ ص ٥٥١ مادة [لمم].

(٢) ضبط الكلمة، والتعريف، من لسان العرب ج ١٢ ص ٥٥١، مادة [لمم].

فالناس في أحد البُطون يَفخرون بأن يكون منهم شُتَيْرُ بن خالد، وبنو جعفر يأملون أن يكسبوا عَلَماً آخر اليهم.

١٣ــ ولا أنتمي إلا لجارٍ مُجاوِرٍ، فما آخرُ العيشِ الذي أتنظَّرُ؟

* أنا لا أدخل سباق الانتماء هذا لأنني لا أنتظر الكثير من هذه الحياة (أزهد بها). وإنني أقبل جوار أيٍ من الناس يقع منزله قرب منزلي.

٢٢ ــ يوم التخانق[1]

(الطويل)

قيل : غزت بنو عامر يوم شَعَر ؛ وهم يريدون أن يصيبوا شيئاً ويدركوا بثأرهم في شَعر. وكان أولُ من لَقَوا يومئذ بني عبس، فانكشفوا وأُصيب ناسٌ منهم من بني جعفرٍ خاصة، فزعموا أن ابن الطفيل، وكان غلاماً شاباً، أدركه العطشُ فخشي أن يؤخَذ فخنَق نفسَه حتى مات، فسمّي ذلك اليوم يومَ التخانُق. فقال عروة :

١ ــ وَنحنُ صَبَحْنا عامراً، إذْ تمرَّسَتْ، عُلالَةَ أرْماحٍ وَضَرباً مُذَكَّرا،

صَبَح القَومَ : أتاهم في الصباح لِخَيرٍ أو لشَرّ.
تمرّست : (بنا) تعرَّضَتْ لنا بالشرّ[2].
عَلَّه (ضرباً) : تابع عليه الضربَ[3] **وعُلالة أرماحٍ** : طعناً متتابعاً بالرماح.

(١) هو يوم الرَّقَم، كما جاء في العقد الفريد (ج ٥ ص ١٦٠) والحَكَم بن الطُفيل هو الذي خنق نفسه تحت شجرةٍ مخافة المُثلة.

(٢) أساس البلاغة. [مَرَسَ].

(٣) أساس البلاغة [عَلَلَ]

مذكّر : صلب، قاسٍ، شديد. (والعرب تضرب الإذكار مثلاً لكل مكروه) **ضرباً مذكّراً** : ضرباً (بالسيوف) شديداً.

٢ ــ **بِكُلِّ رُقاقِ الشفْرَتَين، مُهَنَّدٍ، وَلَدْنٍ مِنَ الخَطِّيِّ، قَدْ طُرَّ، أَسْمَرا.**

رُقاق الشفرتين : كناية عن السيف الرقيق الحدّين.
المهنّد : السيف المطبوع من حديد الهند. وهنّد السيف : شَحَذه.
لَدْن : **رُمح لَدْن** : ليّن المَهَزَّة.
الخطّيّ : الرمح المنسوب الى « خطّ » وهو موضع باليمامة تنسب اليه الرماح الخطية التي تُنقل اليها من بلاد الهند.[1]
طُرَّ : (سِنانه) من طَرَّ الحديدة : أحدَّها، وطَرَّرَ السِنانَ : حَدَّه.
الأسمر : الرمح تُؤخذ قناتهُ وقد أُدركت في غايتها ونَضَجت ويَبِست، فإذا قُوِّمت خرجت سمراء.

* معنى البيتين : لما تعرّض لنا بنو عامر بالشرّ، أتيناهم في الصباح وأمعنّا فيهم طعناً متتابعاً برماحنا الخطية، الليّنة المَهَزَّة، السمراءِ، المحَدَّدةِ السِنان، وضرباً شديداً بكل سيفٍ رقيق الحدين مطبوعٍ من حديد الهند.

٣ ــ **عَجِبْتُ لَهُمْ، إذْ يَخْنِقونَ نُفوسَهُمْ، وَمَقْتَلُهُمْ، تحتَ الوَغى، كانَ أَعْذَرا!**

الوغى : كناية عن الحرب. وهي، في الأصل، الصوت والجلبة يحدثهما المتحاربون.
أَعذرَ : أدعى للنُجح والغَلَبة، **من العُذْر** : النُجح. ويقال في الحرب : لِمَن العُذر ؟[2] أي لمن النُجح والغلبة ؟ **وأَعْذَرَهُ** : جعل له عذراً.

---

(١) لسان العرب ج ٧ ص ٢٩١ [خط]

(٢) لسان العرب ج ٤ ص ٥٥٤ [عذر].

* يشير عروة الى حادثة ابن الطفيل الذي خنق نفسه، بدلاً من أن يموت في القتال ويقول : كيف يخنق الانسان نفسه ليموت وموته في الحرب أدعى للنجح والغلبة ؟

٤ ــ يَشُدُّ الحليمُ منهمُ عَقْدَ حَبْلِهِ، ألا إنما يأتي الذي كانَ حُذِّرا !

الحليم : ذو الحلم، أي الأناة والعقل.
حُذِّر : حُذِّرَ منه ولعله يقصد : الموت بسيوف بني عبس الذي حُذِّر منه.

* ان الموت بسيوف بني عبس ورماحِهم أمرٌ معروفٌ سَمِع به بنو عامر وحُذِّروا منه. لذلك هم اضاعوا صوابَهم يوم اللقاء لشدة اضطرابهم، فكان الحليمُ منهم يُشدُّ الحبلَ حولَ عُنُقه ليقتلَ نفسه، حَذَرَ الموت بسيوفنا، والموت هو موت بسببنا في الحالين.

٢٣ ــ بخل ابن أكثم

(الكامل)

نَلمسَ عند عروة ثورةً على البخل وعلى الجبن، فهو يهاجمهما في جميع أشكالِهما، لكنه نادراً ما يذكرُ جباناً بالاسم أو بخيلاً. من هذه الحالات القليلة، المقطوعةُ التاليةُ يهجو بها بني أكثم، من أنمار، ويَصِمُهم بالبخلِ صفةً ملازمةً لهم في جميع أحوالهم :

١ ــ أَخذَتْ معاقِلَها اللِقاحُ لمجلِسٍ حولَ ابنِ أكثَمَ، من بَني أَنْمارِ

المعاقل : حيث تُعقل الإبل (أي تُربط). وهي أيضاً الأماكن الحصينة المنيعة.
اللِقاح : ذواتُ الألبان من الإبل. واحدتها لَقُوح ولِقْحة.

* ان النوق الغزيرة الألبان تُجمع وتُعقل حول منزل ابن اكثم الأنماري، حيث تمتنع على الطالبين.

٢ ــ وَلقَد أتيْتُكُمْ بِلَيـلٍ دامِسٍ، وَلَقَدْ أتَيْتُ سَرَاتَكُمْ بِنَهَارِ،

دامِس : شديد الظلمة.
السَّرَاة : الأشراف.

* أكّد عروةُ في البيت السابق أن ابن أكثم ذو مال وهذه مقدمة ضرورية ليقول عنه انه اذا لم يُعطِ هو ورهطه فلأنهم بخلاء. ولإثبات بخلِهم يُعدِّد الحالاتِ التي قَصَدهم فيها فلم يَنَلْ عطاءهم : قصدهم في ليل شديد الظلمة، حين يجب القرى، وقصد أشرافَهم في وضح النهار، حيث يحلو العطاء.

٣ ــ فَوَجَدْتُكُمْ لِقَحاً حُبِسْنَ بِخُلَّةٍ، وحُبِسْنَ[1]، إذْ صُرِّينَ، غَيْرَ غِزَارِ.

لِقَح : ج لُقْحة، وهي الناقة، من حين يَسمنُ سَنامُ ولِدها حتى يمضي لها سبعة أشهر ويُفصلَ ولدُها. أو هي ج لَقْحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.[2]
خُلَّة : أرض ليس بها حَمْض. (الخلة : كُل نبت حلو ، ويقال: الخُلّة خبز الإبل، والحَمْض لحمُها أو فاكهتُها أو خبيصُها.)[3]
صُرِّين : من صَرَّى الشاةَ تصريةً اذا لم يحلبها أياماً، حتى يجتمع اللبن في ضرعها فيغزر عند الحَلْب. وأكثر ما يكون ذلك عندما تُباع الناقة، لخداع الشاري.

---

(١) في رأينا أن هنا خطأً في النقل وأن الكلمة محرّفة عن حُلبن، فهي انسب للمعنى الذي ذهب اليه عروةُ لأن الغزارة أو قلتها تظهران في الحَلْب لا في حَبْسه.
(٢) لسان العرب ج ٢ ص ٥٨١ [لقح].
(٣) لسان العرب ج ١١ ص ٢١٢ [خلل].

* يرى عروة أن بني أكثم ذوو ثروة كبيرة، لكنها ثروة لا فائدة منها لأنهم يحبسونها ويمنعونها عن الناس. وهم بذلك، أشبه بالناقة ذات الولد تُحبس عن ولدها في أرضٍ مرعاها الخُلّة التي يكثّف اللبنَ أكلُها، ثم تُترك أياماً بلا حَلْب ليغزُرَ لبنُها، وحين تُحلبُ لا تدُرُّ كثيراً، فلا صاحبُها يفيدُ منها، ولا فصيلُها ينال حظَّه من لَبَنِها.

٤ ــ مَنَعُوا البِكارَةَ والإفالَ كِلَيهِما، وَلَهُـــــمْ أَضَنٌّ بِأُم كلِّ حُوارِ

الحُوار : وَلَدُ الناقة من حين يوضع الى أن يُفطمَ ويُفصَل فيصبح الفصيل.

منعوا : لم يُعطوا.

البِكارة : جمع بِكْر وهو الفتيّ من الابل الى أن يبزل (يخرج نابه) فيصبح جملاً.

الإفال : صغار الإبل، بنات المخاض ونحوها.

أَضَنّ : أكثر بخلاً.

* ان بخل بني أكثم يشمل جميع أنواع العطاء. فهم يضنون بالجمل الفتي، وهم يضنون بالفصيل الصغير، أما الناقةُ الأمُّ فهم أضنُّ بها وأَشَدُّ تمسُّكاً.

٢٤ ــ قد بَلَغت دارُ الحِفاظِ قَرارَها

(الطويل)

حين قَتَلت طيءٌ عنترة، قال عامرُ بن الطفيل : لا تَرَكَ اللهُ لطيءٍ أنفاً الّا جدعه : أمّا علينا فليوثٌ، وأما على جيرتهم فلا شيء، وقد قتلوا فارسَ العرب...

ثم غزت عبسٌ طيئاً فسبَوا نساءً خارجاتٍ من الجبل. فتبعتْهم

طيءٌ فقاتَلَهُم العبسيّون حتى رَدّوهم الى جبلهم، وجاءوا بالنساء الى بني عبس... في ذلك يقول عروة، مطمئناً قوم ابن الطفيل ومعرّضاً ببني طيء...

١ ــ **أَبْلِغْ لديكَ عامراً، إن لَقِيتَهـا، فَقَدْ بَلَغَتْ دارُ الحِفاظِ قَرارَها:**

الحِفاظ : (والمحافظة) بمعنى الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب، أو المحاماة على الحُرَم ومنعها من العدو.

الحِفاظ : والحِفظة والحفيظة : الغضب لحُرمة تنتهك أو جار ذي قرابة يُظلم أو عهدٍ يُنكث.[1]

دار الحِفاظ : دورة الغضب والحفيظة والحقد.

القرار : الهدوء والاستقرار. صار الأمرُ الى قراره : تناهى وثبت.

* يخاطب عروةُ الوسيطَ الوهميَّ المعروفَ في الشعر الجاهلي، وهو يتوقع منه أن يمرَّ ببني عامر، فيطلب اليه، اذا صادفهم، إخبارَهم أن دورة الغضب والحقد التي عرفتها عبس (ولعل ذلك إثر مقتل عنترة) قد بلغتْ مستقرّاً لها وهدأت، لأن بني عبس قاموا بعمل شفى ما في نفوسهم (ويفصّل عروة ذلك في الابيات التالية).

٢ ــ **رَحَلْنا مِنَ الأَجْبالِ، أَجْبالِ طَيِّءٍ، نسوقُ النساءَ، عُوذَها وعِشارَها**

أجبال طيء : هي ثلاثة : أجأ وسلمى والعوجاء.

عوذَها : جمع عائذ وهي كل انثى اذا وضعت، مدة سبعة أيام، لأنَ ولدها يَعوذُ بها.

عِشارها : جمع عُشَرَاء وهي ناقة مضى لحملها عشرةُ أشهر. وأحسن ما

---

(١) لسان العرب ج ٧ ص ٤٤٢ [حفظ].

تكون الإبل، وأنفَسُها عند أهلِها، اذا كانت عِشاراً... وقد اتُسِع في هذا حتى قيل لكلِ حاملٍ: عُشَراء. (وأكثر ما يُطلَق على الخيل والإبل).

* جئنا جبال طيء غازين، وعدنا منها نسوق أمامنا السبايا من كل امرأة حامل وأخرى حديثة الولادة.[1]

٣ ــ **تَرى كُلَّ بيضاءِ العوارِضِ طَفْلَةٍ تُفَرِّي، إذا شالَ السِماكُ، صِدارَها،**

العوارض : (جمع عارض) وهي الثنايا، أو هي أربع أسنان تلي الأنياب. وبياضُ العوارض صفةٌ محبَّبة.

طَفْلة : رخصة، طرية، والصفتان تدلّان على الرفاهية.

تفري : تشقّ وتمزّق.

شال : ارتفع.

السِماك : نجم وهو أحد اثنين هما السِماكان (احدهما الرامح والثاني الأعزل) وارتفاعه في السماء دليل على قرب طلوع الفجر.

صِدارَها : الصدار : ثوبٌ رأسه كالمِقْنَعة وأسفله يغشّي الصدر والمنكبين، تلبسه المرأة. وهو ايضاً قميص صغير يلي الجسد. وشَقُّ الثياب عادة عند العرب مرتبطة بالهلع وشدة الحزن.

٤ ــ **وَقَدْ عَلِمَتْ أنْ لا انقلابَ لِرَحلِها، إذا تَرَكَت، مِنْ آخِرِ الليلِ، دارَهَا**

انقلاب الرحل : عودة الراحلة.

آخر الليل : وقت هذه العملية وهو أفضل وقت لمباغتة العدوّ.

---

(١) في وصف النساءِ ضمنَ هذا الإطار امعانٌ من عُروة في ايلامِ طيء والتشفي منها. ذاك أن نساءَها، الحوامل والمرضعات، اللواتي هن في أشدّ الحاجة الى الرِعاية والحماية، أجبرن على تحمل مشقةِ السير وذُلِ الأسر.

* معنى البيتين : ان المرأة المُحصنة، البيضاء الاسنان ،الرخصة الطريّة، حين تقع في الأسر ويمر عليها الليل الى آخره حتى يرتفع السِماك في السماء مؤذناً بقرب طلوع الفجر، تفقد الأمل في العودة الى ديارها ويصيبها الهلع فتراها تمزق قميصها الذي يلي جسدها (كأنها تندب نفسها).

٢٥ ـــ الموت في طلب الغنى خير من الحياة مع الفقر

(الطويل)

يبدو أن عروة كان مُبتلىً بجماعةٍ من القَعَدة قليلي الهِمّة، يريدون أن يأتي رزقُهُم اليهم بلا سعي ولا جهد ؛ لذا كَثُر في شعره الحَضُّ على طلب المعاش ورفض الاستكانة والترفع عن قبول العطاء لان فيه الذلَّ والصَّغار. يقول :

١ ـــ إذا المَرءُ لم يَطلُبْ مَعَاشاً لنفسِهِ   شكا الفَقْرَ، أوْ لامَ الصَديقَ فأكْثَرَا،

* حين يشكو المرءُ الفقر ويكثر من لوم اصدقائه واتهامهم بالتخلي عن مساعدته، يكون هو المقصِّر الفعليَّ : فالعلّة هي في تَخَلّيه عن طلب المعاش لنفسه، واللومُ يقع عليه لا على الآخرين.

٢ ـــ وَصَارَ على الأدنَيْنَ كَلًّا وَأوْشَكَتْ   صِلاتُ ذوي القُربى لَهُ أنْ تَنَكَّرا.

الأدنين : (جمع الأدنى) هم أقرب العشيرة نسباً.
كَلًّا : الكَلّ : المصيبة تحدث. والكَلّ : الذي هو عيال وثقل على صاحبه.
تنكَّرا : تتنكّر : أي تتغير الى مجهول، تتجاهل.

* ان المتقاعس، الشاكي، اللائم، يصبح عبئاً يُثقِل على عشيرته الأقربين، فيميلون الى التخلص منه وانكار صلة قرباه بهم.

٣ ـــ وما طالِبُ الحاجاتِ، مِنْ كُلِ وُجهةٍ مِنَ الناسِ، الا منْ أَجَدَّ وَشَمَّرا

أَجَدّ : صار ذا جِدّ واجتهاد.

شمّر : مَرّ جاداً.

* ان صاحب الهمة يمرّ جاداً ويسعى مجتهداً لتحقيق امنياته، فيتوجّه كل وجهة ويتصل بجميع الناس.

٤ ـــ فَسِرْ في بلادِ اللهِ، وَالتِمسِ الغِنَى، تَعِشْ ذا يَسارٍ، أو تموتَ فَتُعذَرَا؛

إلتمِس : أُطلُب.

يَسار : سهولة، غنى.

* اذا أردت الغنى، سِر في بلاد الله سعياً وراءه. فإذا نلتَه عشتَ في بحبوحة، واذا مُتَّ دونه عَذَرَكَ الناسُ بأنك حاولتَ ولم تتقاعسْ.

ملحق[1]

٥ ـــ ولا تُرْضَ، مِن عيشٍ، بِدُونٍ ولا تَنَمْ وكيفَ ينامُ الليلَ مَنْ كانَ مُعسِرا؟

دون : تستعمل للتحقير.

مُعسر : فقير.

* ولا ترض بالعيش الخسيس ولا تنم مستسلماً الى الفقر ،لأنك لن تنام. فمن كان مصاباً بالفقر لا يستطيع نوماً. (هذا ما يظنه عروة ذو النفس الأبيّة).

---

(١) هذا البيت منسوب الى عروة في الحماسة البصرية. (انظر ابراهيم الخواجه ص ١٥٦) وهو غير مُثبت في الديوان.

٢٦ ــ للغني ربّ غفور

(الوافر)

تتكرّر دعوة عروة الى السعي في طلب الرزق، والى رفض الفقر، لأن الفقير محتقَر مكذَّب، بينما الغنيُّ يلقى كلَّ اهتمام واحترام. وهذه الأبيات هي التي قيل إن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب طلب من مربي اولاده ألّا يُرَوِّيَهُمْ اياها، لأنها تدعوهم الى الاغتراب عن أوطانهم.

١ ــ دَعيني[1] للغِنَــى أسعــى فإنّــي رَأيتُ النـاسَ، شَرُّهُـمُ الفقيـرُ،

* مرةً أخرى يتوجّه عروةُ بالخطاب الى زوجته. فهي تُعاتِبُهُ على كثرة اسفاره واستمرار مغامراته، وهو يحاولُ إقناعها بأن السعيَ غنىً والقعودَ فقرٌ. والفقير هو شر الناس، لا لشيء الا لأنه فقير.

٢ ــ وَأَبعدُهُـمْ وَأهونُهُـمْ عليهِـمْ،[2] وَإنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخِيْـرُ،

الخِير : الهيئة، الأصل.

* لأن الفقيرَ هو شرُّ الناس، فهم يَبعُدون عنه، يتحاشونه، ويستهينون به، لا يَشفع له، في فقره، حَسَبٌ أو أصلٌ وحسنُ هيئة.

٣ ــ وَيُقْصيـهِ النَـدِيُّ، وَتَزدَريـهِ حَليلَتُـهُ، وَيَنْهَـرُهُ الصَغيـرُ؛

ازدرى : احتقر.

---

(١) في البيان والتبيين : ذريني (ج ١ ص ٢٣٤).

(٢) في البيان والتبيين : « وأهونهم وأحقرهم لديهم » ج ١ ص ٢٣٤.

نَهَر : زَجَر.

النَّديّ : المجلس، ما دام القوم مجتمعين فيه. ومثله النادي. وتطلق على أهلِ المجلس.

* ان احتقار الفقير عامٌّ شاملٌ، يصدُر عن الجماعة، كما يصدر عن اقرب الناس اليه. فأهل النادي يستبعدونه عنهم، وزوجتهُ تحتقره. حتى ابنهُ الصغيرُ يصرُخُ في وجهه ويَزْجُرُه.

٤ ـ وَيُلقَى[1] ذو الغِنَى، وَلَهُ جَلالٌ، يكـادُ فؤادُ صاحِبِـهِ يَطيـرُ،

جَلالٌ : تعظيم.

يطير فؤاده : يخاف.

* بالمقابل تجد الغنيّ محاطاً بالاحترام والتعظيم حتى ليخاف مَن حَوْله أن يقصّروا بحقه والاهتمام به.

٥ ـ قَليـلٌ ذَنْبُـهُ، والـذَنْبُ جَمٌّ، وَلَكِنْ لِلْغِنِـي رَبٌّ غَفُـورُ !

جَمّ : غفير، كثير.

* على الغنيّ لا تُحسب الذنوب، وإن كانت كثيرة. فكأن الرَبّ يُراعيه، وينحاز اليه فيتغاضى عن ذنوبه.

(١) في العقد الفريد : وتُلفِي ذا الغِنَى (ج ٣ ص ٢٩) كذلك في البيان والتبيين ج ١ ص ٢٣٤.

٢٧ ـ ملحق بحرف الراء

(الرجز)

ينسب ابنُ منظور البيتَ التالي الى عروة في معرض استشهاده على معنى « الخَوزَرَى ».

ـ **والنَّاشِئَات الماشِيَاتِ الخَـوْزَرَى كَعُنُقِ الآرامِ أَوْفَى أَو صَرَى**[1]

الناشئ : الحَدَث من الناس الذي جاوز حَدَّ الصِغَر. وكذلك الأنثى ناشيء (بدون هاء) أيضاً. والجمع منها نَشأٌ ونَشْءٌ[2].وقد أنَّثها عروة بالهـاء وجمعها جمع مؤنث سالماً على غير استعمالها المعروف.

الخَيْزَرَى : تَبَختر في المشي (ومثلها الخوزَرَى).

أوفى : أشرف، أطلّ.

صرى : رفع رأسَه.

* الفتياتُ الناشئاتُ يمشين مُتَبَخْتِراتٍ، رافعـاتِ الـرأس عن غرور بحُسنهن، كظبي يرفع رأسه أو يمده ليُطل من مكان مُشرف. (والظبيُ، في كلا الحالين، يَعرض جِيدَه فيبدو بكاملِ حسنِهِ المعروفِ عنه.)

---

(١) انظر لسان العرب ج ٤ ص ٢٣٧ [خزر] والمفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٠ [نشأ].

حرف العين

٢٨ ــ أُحْبُ وَآنهَقْ لا تَضيرُكَ خَيْبَرٌ

(الطويل)

حكى الهيثمُ بنُ عدي أن عُروةَ الصعاليك وأصحابَه قصدوا خيبرَ يمتارون بها. فلما وصلوا الى بابها، عَشَّروا خوفاً من وباء خيبر. وأبى عروةُ أن يُعشِّر وقال : [1]

١ ــ وقالوا: احْبُ وانْهَقْ، لا تَضيرُكَ خيبرٌ[2] وذلكَ، مِن دينِ اليهودِ، وَلُوعُ،

أحْبُ : ازحف. وحبا : مشى على يديه وبطنه.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٩٢) وجاء فيها : « كان الرجل من العرب، اذا دخل خيبر، أكبّ على أربع وعشّر تعشير الحمار، وهو أن ينهق عشر نهقات متتابعات ؛ يفعل ذلك ليدفع عن نفسه حمى خيبر ». وجاء في لسان العرب تعميم أكبر: « يزعمون أن الرجل، اذا وردَ أرض وباء، وضع يده خلف أذنه فنهق عشر نهقات نهيق الحمار، ثم دخلها، أمن من الوباء. » (لسان العرب ج ٤ ص ٥٧٢ مادة عشر).

وفي معجم البلدان قصة مشابهة ونهايتها أن صحب عروة الذين عشّروا ماتوا وسلم هو. (ج ٣ ص ٨٤) ووردت القصة في الحيوان ج ٦ ص ٣٥٩.

(٢) خيبر : حصون على ثمانية برد (البريد فرسخان) من المدينة لمن أراد الشام، ذات نخل ومزارع كثيرة. وهي موصوفة بكثرة الحمى التي لا تفارق أهلها، وهم من اليهود. (آثار البلاد وأخبار العباد ص ٩٢).

وانهَق : قَلِّد صوتَ الحمار.
لا تَضيرُك : لا تؤذيك.
من دين اليهود : في اعتقادهم.
وَلوعُ : تعلُّق (من الحمّى بالناس).

* قالوا : ازحفْ وقَلِّد صوتَ الحمار لتنجوَ من الحمى ،وذلك اعتقادٌ من يهود خيبر ان حُمّاها مولعةٌ بالناس، دونَ الحيوانات. (فمن يزحفُ وينهقُ يقومُ بعملية تمويهٍ على الحمى، ويحاولُ اقناعَها بأن مَن أمامَها ليس بشراً وإنما هو حمار. فاذا اقتنعتْ بذلك عافتْه).

٢ ــ لَعَمْرِي، لَئِنْ عَشَّرْتُ[1]، مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى، نُهاقَ حِمارٍ[2]، إنني لجَزُوعُ

عَشَّرْتُ... نُهاق حِمار : رَدَّدتُ النهيق عشر مرات.
خشية الرَّدَى : خوف الموت. (والفارس الشجاع لا يخاف الموت).
جزوع : كثير الاضطراب والخوف، قليل الصبر على الشدائد.

* لو أنني أقبلُ أن أزحف وأنهقَ كالحمار عشرَ مرات، خوفاً من الموت، أكون جباناً رعديداً قليل الصبر على المكاره.

٣ ــ فَلَا وَأَلَتْ تلك النفوسُ، وَلَا أَتَتْ، عَلَى رَوضةِ الاجداد، وَهْيَ جميعُ

وَأَلَت : نَجَت. والموئل : المكان الذي يحتمي فيه المرء لينجو.
الروضة : عشب وماء. وهي أيضاً الموضع الذي يستنقع فيه الماء.

(١) جاء في لسان العرب : وإني وإن عشّرتُ. (ج ٤ ص ٥٧٢ مادة عشر) والرواية اعلاه تؤدي المعنى بصورة أفضل.

(٢) وردت ايضاً نهاق الحمير ونهاق الحمار. وجاء في مجمع الأمثال (ص ٤٢) التعشير : نهيق الحمار عشرة اصوات في طلق واحد. وفي المثل : « عَشّر والموتُ شجا الوريد » أي والموت قريب منه.

الأجداد : بلد لبني أشجع وفزارة ومُرّة، وجميعها من غطفان. ويقصد بها موطن جماعته.
وهي جميع : مكتملة العدد.

* يدعو عروة على جماعته من عبس وسائر غطفان، الذين خافوا على أنفسهم وانطلقوا يعشّرون، بأن تدركهم الحمى التي خافوها وتنال منهم فلا يعودون الى اهلهم في روضة الاجداد إلا وقد نقُص عددُهم.

٤ ــ فكيف وقد ذَكَّيتُ واشتدَّ جانبي، سُليمى، وعندي سامعٌ ومُطيعُ،

ذَكَّيتُ : بلغتُ تمامَ السِن، أي نهاية الشباب[1].
سليمى : زوجته، سلمى الكنانية، وهي ترمز، في شعر عروة، الى الصوت الواعي الذي ينبهه دوماً كلما اشتدّ تهوره أو ازداد تبذيره. (اليها يعود ضمير الفاعل في تخوّفني ــ البيت رقم ٦).
اشتدّ جانبي : قويت بغيري (واشتدّ ساعدي : قويت نفسي).
سامع ومطيع : الأرجح أنهما ولدان له[2].

٥ ــ لسانٌ، وسيفٌ صارمٌ، وحفيظةٌ، ورأيٌ، لآراء الرجالِ، صَروعُ ؟

لسانٌ : أي وعندي لسانٌ، كنّى به عن الفصاحة.
صارم : قاطع وكنى بالسيف القاطع عن شجاعته وفروسيته.

---

(١) لسان العرب ج ١٤ ص ٢٨٨ مادة [ذكا] .
(٢) ورد في شرح الديوان المأخوذ عن شعراء النصرانية أن « سامع ومطيع » فسرهما الشاعر في البيت التالي بلسان وسيف. ونحن نستبعد هذا لأن البيت التالي يتضمن أربعة عناصر يفخر بها عروة، وهي تتمة لفخره بسامع ومطيع.

الحفيظة : الغضب لحُرمة تُنتَهك أو جارٍ ذي قرابةٍ يُظلم أو عهد يُنكث[1]. يقصد : عندي غضبة معروفة ضد العدوان والظلم. وهي كناية عن النجدة والإباء.

صَروعٌ : كثير الصرع لأقرانه (يطرحهم أرضاً)ورأي يصرع آراء الرجال هو رأي سديد لا يخطئ. وذلك كناية عن الفهم والتعقّل.

٦ ــ تُخَوِّفُني رَيْبَ المَنونِ ، وَقَد مَضَى　　لنا سَلَفٌ: قيسٌ، معاً، وَرَبيعُ!

تخوّفني : ضمير الفاعل يعود الى سليمى.

الريب : صرف الدهر. وريب المنون : مشقات الموت.

قيس : هو قيس بن زهير العبسي **وربيع** : الربيع بن زياد العبسي، وكلاهما كان سيّد قومه وعظيمَها وقائدَها في حروبها. وهما رمز للمنعة والحصانة. فإذا لم يستطيعا دفعَ الموت عن نفسيهما، فالموت مدركٌ كل انسان، ولماذا الخوف منه اذاً ؟

* معنى الأبيات الثلاثة الأخيرة :

لا يصح لي أن أكون جزوعاً، الآن بعد أن بلغت نهاية الشباب، فحققت طموحي وانجزت مهمتي في الحياة : أنجبت سامعاً ومطيعاً يشتد بهما جانبي، وحقّقت انتصارات في ساحة الشعر والفصاحة، وجعلت سيفي معروف الصولة، وغدت حميّتي ملء الأسماع، ورأيي تنصاع له الرجال. أبَعد كل هذا يا سلمى تريدينني أن أخاف الموت ؟ واذا خفته، هل لي منه مهرب ؟ إن من كانوا أشدَّ مني بأساً وأشرفَ نسباً وأقوى عدةً ورجالاً، ذهبوا ولم يعودوا، فأنّى لي أن أنجوَ منه ؟

---

(١) لسان العرب ج ٧ ص ٤٤٢ مادة [حفظ].

٢٩ ـ إذا قِيلَ : يا ابنَ الوَرْدِ اقْبِلْ

(الطويل)

يخصصُ عروةُ هذه القصيدةَ للفخر ببطولاته، فهو يتمتعُ ببطولةٍ نادرة تدفعُه الى الإقدام حين ينكُص الآخرون، وتجعله يختار نَدًّا في القتال يهرب منه سواه ويحقُ لمن يغلِبُه أن يفخر. وعروة يتميز بالنجدةِ : يُلبي نداءَ قومه حين يُضامون، فيغدو موئلاً لهم وملاذا.. ولكن هذا النمط من الحياة يعرّضُ صاحبَهُ للمخاطر : فالحروب لها جرائرُ، والدهرُ غدارٌ، وعروةُ يعرف ذلك ويَقْبَلهُ : فلا من ذيولِ الحرب يشتكي، ولا من مصائب الدهر يخافُ، وبَصَرُه دوماً حديد...

١ ـ أَتجعَلُ إقدامي، إذا الخيلُ أَحجَمَتْ، وَكَرِّي، إذا لَمْ يَمنعِ الدُبْرَ مانِعُ،

أحجمت : نكصت، امتنعت عن التقدم.
الدُبُر : والدُبْر : الظهر. ويقال : يولّون الدُبُر (أو الادبار) بمعنى يهربون وظهورُهم مكشوفةٌ للأعداء، بعكس التراجع اثناء المعركة. ولم يمنع الدُبر : لم يحم ظهره وذلك كناية عن الهزيمة فالهرب.
كرّي : هجومي.

* ينسب الى نفسه الشجاعَة التي تدفعه الى الثبات في الأوقات الصعبة : فهو يُقْدم حين يخافُ الآخرون الإقدامَ ويتهيبون. وهو يهاجمُ حين يتخاذَلُ القومُ وينهزمون وظهورُهم مكشوفةٌ للأعداء.

٢ ـ سواءً وَمَن لا يُقدِمُ المُهرَ في الوغى، وَمَن دُبْرُهُ، عند الهزاهِزِ، ضائعُ؟

يُقدِم : يكر.
الوغى : الحرب.

دُبْره ضائع : ظهره معرّض لضرب يقضي عليه، وذلك كناية عن الانهزام والهرب.
الهَزاهـز : الفِتن يهتز فيها الناس.

* يصف عروة الانسان المتخاذل الذي يخشى الإقدام في المعركة، ويظل قريباً من الهرب، حتى اذا ما اشتدت الفتنة ولّى الأدبار... ويظهر عروة ألمه اذ يُقارَن بهذا الجبان ويصرخ محتجاً : أيكون اقدامي واحجامُه، كري وانهزامُه سواء ؟؟

٣ ــ إذا قِيلَ: يا ابنَ الوَرْدِ، أَقْبِلْ الى الوغَى، أَجَبْتُ، فَلَاقاني كَمِيٌّ مُقَارِعُ.
الكميّ : الفارس اللابس السلاح، الشجاع، المُقدِم الجريء.
مُقارِع : مضارب بالسيف، مقاتل.

* ان شجاعة عروة تتجاوز حاجتَه لِتُصبح مَطلباً قبليًّا. فقومُه يشتدّون به ويستنجدونه حين تعنفُ المعركة، وهو يلبي النداءَ فينزل الى الساحة، لا ليقاتل كالآخرين، بل ليتصدى للفارسِ المِقدام المُتَسربل بملابِسِ الحرب وعُدَّتِها.

٤ ــ بِكَفّي، مِنَ المَأثورِ كالملحِ لونُهُ، حديثٌ، بإخلاصِ الذُكورةِ قاطِعُ،
المأثور : المحفوظ، المتوارث. ويَقصد به سيفاً من السيوف المعروفة في العائلة التي يتوارثها الآباء عن الأبناء.
لون الملح : ابيض ملتمع.
حديث : مصقول، من حادث سيفه وأحدثه أي جلاه.[1]

(١) لسان العرب ج ٢ ص ١٣٤ [حدث].

اخلاص الذكورة : صفوتها، وقمتها : **والذكورة** : رمز القوة والشدة.
واخلاص الذكورة : أقصى القوة والشدة.

* يهاجم الفارسَ الشجاعَ، المدجَّج بالسلاح، وبكفه سيف عريق أبيض الشفرة، مصقولها، يقطع بأقصى الشدة والقوة.

٥ ــ فَأَتْرُكُهُ بالقـاعِ، رَهناً بِبَلـدةٍ، تَعاوَرُهُ فيها الضبـاعُ الخوامِعُ،

القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام.
تعاوره الضباع : تتعاوره : تتداوله، تتناوب عليه فتأتيه الواحدة بعد الأخرى.
الخوامع : التي تعرج في مشيها.
بلْدة : فلاة، قفر. **ورهناً ببلدة** : تضمنته فلاة، ويقال : أرهن الميتَ قبراً أي ضمَّنه إياه.[1]

* هذا الفارسُ الشجاع (ومن الضروري أن يكون عظيم الشجاعة ليكون في قهره فضل كبير) يضرِبُه عروةُ فيقضي عليه ويتركُه للفلاة المنبسطة بين الآكام تتضمَّنُه، فتتناوب على جسده ضباعُها العرجاء.[2]

٦ ــ مُحالِفَ قاعٍ، كانَ عنهُ بِمَعْزِلٍ، ولكنَّ حَيْنَ المَرْءِ، لا بُدَّ، واقِعُ.

محالِف قاع : ملازم الفلاة لا يغادرها.
كان بمعزل : كان بمنأى.
الحَيْن : الهلاك والموت.

---

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ١٩٠ [رهن].
(٢) هذا الاسلوب في اختيار الخصم الرهيب ثم وصف القضاء عليه معروف لعنترة. ويبدو أن عروة يشاركه اياه.

* هذا الفارسُ قضيتُ عليه فلازَمَ ذلك المنبَسط من الأرض، وقد كان بمنأى عنه. انما هو القَدَرُ المحتوم يسوقُ المرءَ الى حتفِه، الى موتٍ لا مفرّ منه.

٧ ـــ **فَلَا أَنَا، مِمّا جَرَّتِ الحربُ، مُشْتَكٍ ، وَلَا أَنَا، مِمَّا أَحْدَثَ الدَهْرُ، جَازِعُ،**

أَحْدَثَ : أتى بالحَدَث، وهو الأمر الحادثُ المُنكَرُ الذي ليس بمعتاد.
جازِع : مُشفِق، قليل الصبر.

* ان عروة يعرف الحربَ جيداً، ولذلك لا يشتكي مما يمكن أن تجرّه من ويلات. وهو يعرف أن الدهرَ « حُبلى » بطنُها مليءٌ بالحوادِث المفاجئة المنكَرة، ولذلك لا يشفق منها، بل يُواجهها ويَصبِرُ عليها.

٨ ـــ **وَلَا بَصَرِي، عِندَ الهِياجِ ، بِطامِحٍ كأني بَعيرٌ، فارَقَ الشولَ، نَازِعُ.**

الهياج : الحرب.
طَمَحَ بصرُه : ارتفع. وبصر **طامح** : مرتفع (ينظر الى البعيد ولا يركّز على ما حوله).
الشَوْل : النُوق التي خفَّ لبنُها، وذلك اذا فُصل ولدُها. فلا تزال شولاً حتى يُرسَل فيها الفحلُ.[1]
نَزَع : حَنّ واشتاق. **فالنازع** : المشتاق.

* ان المصائب وويلات الحرب لا تفجأُ عروةَ ولا تُفقدُه السيطرةَ على أعصابه، لذلك لا تراه، عند الحرب، زائغ البصر ينظر الى البعيد، باحثاً عن مهرب، شأن الجمل الذي أبعدَ عن نوقٍ تنتظره، فحنَّ واشتاق، وارتفع بصره باحثاً في الأفق عن أثر لها.

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٣٧٥ [شول].

٣٠ ــ تقولُ : أَلَا أَقْصِرْ مِنَ الغَزْوِ ...

(الطويل)

هذا النغمُ، نغمُ اللومِ على حياةِ المخاطرِ، يتردّد دوماً في ديوان عروة : فما إن تراه قد خَفَت في إحدى القصائد، حتى يتصاعدَ من جديد في غيرِ واحدةٍ منها. إن امرأتَهُ في خوفٍ دائمٍ عليه، وهو، عن الخوف لاهٍ ولِأساليبِ الردى مُتَحَدٍّ. نتيجةٌ واحدةٌ لحياةِ المخاطرِ تؤسيه : وهي ان الحروبَ التي شهدَها شيّبتْ منه اللِّمَّة، فاعتقدت النساءُ أن شبابَه زالَ فانصرفنَ عنه بعدما كُنَّ يغفَلْن عن ازواجِهِنّ ليتهافَتْنَ عليه.

١ ــ تقولُ: أَلَا أَقْصِرْ مِنَ الغَزْوِ، واشتكى، لها القولَ، طرفٌ أَحْوَرُ العَينِ، دامِعُ

أَقصَرَ عن الأمر : نزع عنه وهو قادر عليه. كفَّ عنه وانتهى.
العين الحوراء : النقية البياض، الشديدة سواد الحدقة.
تقول : الفاعل يعود، بلا شك الى زوجته سلمى.

* قالت زوجتُه، محتجّةً على كثرة غزوِهِ وتعريضه نفسه للأخطار : هلّا كففتَ عن الغزوِ ؟؟ ودَعَمت قولها بدموع راحت تسيل من عينٍ نقيَّةِ البياض، شديدةِ سوادِ الحَدَقَة.

٢ ــ سَأُغنيكِ، عَنْ رَجْعِ المَلامِ، بِمُزْمِعٍ مِنَ الأمرِ لا يَعشُو عليهِ المُطاوِعُ،

رَجْع : ترداد، فكل شيء مردَّد من قولٍ أو فعل هو رَجيع.
مُزمِع : من أزمع الأمر : مضى فيه وثبّت عليه عزمَه.
عشا عليه : ظَلَمه (وعشا اليه قصده).

المطاوع : المستجيب.[1] ويقال : طاوعت المرأة زوجها (فهي مطاوعة والأرجح أنه يقصد بالمطاوع زوجته. فهي وحدها المطاوع القادر على الظلم ،لأنها تسطو على قراره وتجبره، بأساليبها، على تغييره، فيتولد عنده احساس بالظلم)

* يقول لزوجته : سأكتفي بالقول، رداً على لومك إياي، بأنني ثابت هذه المرة في موقفي، ماض في عزمي، ثباتاً ومضيّاً لا تستطيعين حيالهما ممارسة أي ضغط أو قهر أو ظلم لتزيحيني عنه.

٣ ــ لَبوسٌ ثِيابَ الموتِ، حتى الى الذي   يُوائِمُ، إمّا سائمٌ أو مُصارِعُ،

لبوسٌ : هو يلبس (والجملة واقعة في جواب اذا الشرطية الواردة في البيت التالي)

يوائم : يوافق ويناسب.

سائم : يمرّ مرّاً سريعاً مع قصد الصوب[2] في السير.

مصارع : من يعالج صاحبه ليرميه أرضاً.

٤ ــ إذا أُرْهَنَتْهُ المَينَ شَدَّةُ ماجِدٍ   فَوَرَّعها القومُ الأُلى، ثَمَّ، مَاصَعُوا.

أرهنَ : (الطعامَ لضيفه) : أدامه له. **وأرهنه الشيءَ** : جعله رهناً عنده.

أرهنه للموت : أسلمه.

المَين : الكذب[3]. أرهنته المينَ : جعلت المين رهناً عنده، محبوساً لديه.

---

(١) يقال : طاعَ له، اذا انقاد له. فإذا مضى لأمره، فقد أطاعه. فإذا وافقه فقد طاوعه.

(٢) الصوب : التحرك من علوّ الى اسفل.

(٣) لعل المقصود الكذب على النفس والمغالطة في الحقيقة وهي أنه، مهما بلغ من القوة، معرّضٌ لبطش من هو أقوى منه ومحتاج لمساعدة اخوان له في القتال. هذه الحقيقة المحبوسة في نفسه تظهرها حملة بطل اقوى منه.

الشَدّة : الحملة الواحدة في القتال.
رجل ماجد : له آباء متقدمون في الشرف. رجل مفضال، كثير الخير، شريف.
وزَع : ردّ، منع وكفّ. (وزّعه عن الشيء : كَفَّه). **وزَّعها القومُ** : ردّوها (عنه)
ماصَعَ : جالد بالسيف ونحوه. **وماصعوا** (هنا) : جالدوا (معه) وقاتلوا.

* معنى البيتين : اذا ما حَمَلَ عليه فارسٌ شريفُ الأصل، ووجَدَ نفسَهُ في خطر لا يُردُّه عنه الا تدخُّلُ الذين شاركوه القتال والمجالدة، تجلَّتْ أمامه الحقيقة التي لا يمكنه اخفاؤها، واحتبس الادعاء بالقوة في نفسه ،وأدرك أن الموت مصاحِبُهُ أنى توجّه، سواء أقصَدَ من يعاديه أم من يوافقه، وسواء كان قصدُه إياه مراً سريعاً أو للتصدّى والمصارعة.

٥ ـــ وَيَدْعونَني كَهْلاً، وَقَدْ عِشْتُ حِقْبَةً، وَهُنَّ عَنِ الأزواجِ، نَحوي، نَوازِعُ،

نَزَع عنه : انصرف.

* الآن يسمونني كهلاً وقد كنت، لفترة من الزمن، محطّ أنظار النساء، ينصرفن عن أزواجهنّ ليتوجّهن إليّ.

٦ ـــ كأنّي حِصانٌ، مالَ عنهُ جِلالُهُ، أغَرُّ، كَرِيمٌ، حولَهُ العوذُ، رائِعُ.

الجِلال : الغطاء. ما يوضع على ظهر الحصان.
أغرّ : في جبهته بياض.
كريم : كَرَم الفرس : أن يَرِقّ جلدُه ويلينَ شعرُه، وتطيب رائحتُه[1].

(١) عن ابن الاعرابي. انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٥١٠ [كرم].

العُوذ : جمع عائذ وهي الأنثى اذا وضعت، مدة سبعة أيام، لأن ابنها يعوذُ بها.
راتِعُ : لاهٍ، متنعِّم.

* شبّه نفسه، في اقبال النساء عليه والتفافهنّ حوله، بالحصان الكريم : اذا ما أُزيل عنه جِلاله وتُرك لحاله، ذهب الى اناثه (وكلها حديثة النتاج وذلك دليل فحولته) فتحلّقت حوله، وهو بينها مسترسل، لاهٍ، متنعم.

٧ ــ فَمَا شاب رَأْسي من سنينَ تَتَابَعَتْ، طِوالٍ، ولكِنْ شَيَّبَتْهُ الوَقَائِعُ

الوقائع : الحروب والمعارك

* لَئِنْ شابَ شعرُ رأسي، فما ذاكَ بفعل مرور الزمان وتتابع السنين الطويل، ولا نتيجة للتقدم في السن، وانما بسبب المعارك الهائلة التي خضتُها.

٣١ ــ فِراشي فِراشُ الضَّيفِ والبيتُ بيتُهُ[1]

(الطويل)

يُلخِّصُ عروة، في فخره بنفسه، ملامحَ الضيافة العربية :
الضيفُ يقاسمُ أصحابَ البيت كل شيء : بُردَتَهم ،فراشَهم، بيتَهم؛ ولهُ عليهم، فضلاً عن ذلك، واجبٌ : أن يسلُّوه حتى ينام.

(١) البيتان ٣ و٤ وردا في الديوان وقد ذكرهما ابن السكيت لعروة. ويعلق ابراهيم الخواجه عليهما بقوله : « هذان البيتان ينسبان لعتبة بن بجير. وقيل إنهما لمسكين الدارمي (التبريزي شرح الحماسة). وأوردهما ابن قتيبة في « عيون الاخبار » بدون عَزْوٍ. وزعم البصري أنهما لعتبة بن مسكين الدارمي. (الحماسة البصرية) وزعم البغدادي أن البيتين قد نسبهما كثير من الرواة لمسكين الدارمي، إلا الجاحظ والشنتمري فإنهما =

١ ـ **أرَى كُلَّ ريحٍ سوف تَسْكُنُ مَرَّةً، وكُلَّ سماءٍ، ذاتَ دَرٍّ، ستُقلِعُ،**

سماء : مطر، وقد سُمّي باسمِ مَصْدره، فهو ينزل من السماء. **والسماء** أيضا : السحاب. **وسماءٌ ذاتُ دَرّ** : ذاتُ انصبابٍ واندفاق. **يُقال** : دَرّت السماء بالمطر اذا كثُرَ مطرُها. وسماءٌ مِدْرارٌ وسحابةٌ مدرار...

أقلع عن الأمر : امتنع عن إتيانه. **ستُقْلِعُ السماءُ** : أي سيتوقف المطر.

* يبدو عروةُ مهتماً باعطاء حكمةٍ مَفَادُها أن التغير من طبيعة الحياة، وأنْ لا شيءَ باقٍ على حاله : فالريحُ، مهما عصفت واشتدّت، ستسكنُ حتماً في يوم من الأيام، والسحابُ المُحمَّلُ بالمطر، مهما دامَ تدفُّقُه، سوف يتوقَّفُ لا محالة...

٢ ـ **فَإنّك والأضيافَ في بُرْدَةٍ، مَعَاً، إذا ما تَبِصُّ الشمسُ، ساعةَ تَنْزِعُ**

تبِصّ : تلتمع.

تنزع : تجري الى المغرب.

* عندما تتوهّج الشمسُ في التماعِها الأخير، قبل أن تغيب وراء الأفق، يطرَحُ عروةُ عباءَتَه على الضيف، فيلتفّان بها معاً.

= نسباهما الى كعب بن سعد الغنوي. (خزانة) ونسب ابو الفرج البيت الأول منهما الى العجير السلولي.. ولما كان البيتان السابقان يفيضان بنفس عروة وينبضان بحسّه فإني أميل الى نسبتهما اليه. وقد نسبهما اليه ابن السكيت في شرحه للديوان. » (عروة بن الورد حياته وشعره ص ١٥٩) ونحن نوافقه الرأي ونضيف أننا وجدنا البيتين وقبلهما بيتان (١ و٢) في لسان العرب (ج ٧ ص ٧) بلا نسبة، فألحقنا الأبيات الأربعة بعروة لأنها وحدة متكاملة.

٣ ــ فِراشِي فِراشُ الضَيف، والبيتُ بَيتُهُ، وَلَـمْ يُلْهِنـي عَنْـهُ غَزَالٌ مُقَنَّـعُ،

غزال مقنّع : كناية عن المرأة أو عن النساء بصورة عامة.

* إن عروة، الذي يُشرِكُ ضيفه في عباءته، يُقدِّمُ عطاءات أخرى تثبت أن الضيف، حين نزل الدار، أصبح هو السيد وعروةُ التابعَ. ففراشُ هذا يغدو للضيف، والبيت أيضاً يصبح بيته، وفضلاً عن ذلك، يقدم له عروةُ نفسَه يرهنُها لأمره، فلا يبعد عنه لأي سبب، ولا ينفع في الهائه عن ضيفه اغراءُ الجمال، ودلال النساء.

٤ ــ أُحَدِّثُهُ، إنَّ الحديثَ مِنَ القِرَى، وَتَعلمُ نَفسي أنَّهُ سوف يَهْجَـعُ

القِرى : الإضافة.

يهجع : ينام.

* ليس القِرى، عند عروة، أن تطعم الضيف وتؤمّن له نومَهُ، بل القِرى أن تُحلّه مكانك وتشعرَه أنه صاحب البيت وأنك تابع له، همك ارضاؤه فتبقى الى جانبه تحدثه وتسليه، بانتظار أن يغلبه النعاس فينام، وهو لا بد نائمٌ، مهما طال سَهرُه. وهنا يفيد عروة من معنى البيت الأوّل الذي يشير الى أنه لا شيء يبقى على حاله، وأن التغيير هو من طبيعة الحياة.

٣٢ ــ السيّد الأوحد

(الطويل)

١ ــ لِكُـلِّ أُنـاسٍ سَيِّـدٌ يَعرِفونَـهُ، وَسَيِّدُنـا، حتـى الممـاتِ، رَبيـعُ

٢ ــ اذا أَمَرَتْني بالعقـوقِ حليلتـي، فَلَمْ أُعْصِهـا، إنّـي إذاً لَمَضِيـعُ

ربيع : هو الربيع بن زياد العبسي، أحد سادات عبس المشهورين.

حليلتي : زوجتي.
مَضيع : محكوم بالضياع والتلف.

* يقدّم عروةُ الولاءَ لسيد عبس، الربيع بن زياد، ولاءً مطلقاً يجعل الربيعَ السيدَ الأوحد، وولاءً دائماً يستمر طالما استمرت الحياةُ. في سبيل هذا الولاء يَعصي عروةُ جميع الناس، حتى زوجته يعصيها اذا أمرته بالخروج على ولائه لأنه، ان لم يعصها، يحكم على نفسه بالضياع والتلف.

٣٣ ــ ابنُ الحُرّة يطلب الثأر

(الطويل)

نقطةُ الضعف في نسب عروة أمه، فهي غريبة عن القبيلة، وهي من بني نهد الذين لا يحترمهم العبسيون. وقد ثار عروةُ غيرَ مرّة على صلة القرابةِ هذه، لكنه الآن يدفعُ مَن يُعيِّره بالأمِ الغريبة، ويؤكد أنَّ بُعدَ نسب الأم سببٌ في انجابِ الأولاد المتميزين، الأقوياءِ، الكرماءِ الذين لا يُفرّطون بالثارات...

١ ــ أَعَيَّرتُموني أنَّ أُمي نَزيعَــةٌ؟[1] وَهَلْ يُنْجِبَنْ، في القومِ، الا النزائعُ؟

النزيعة : (النزيع : الغريب) **والنزيعة** من النساء هي التي تُزوَّج من غير عشيرتها فتنقل.

---

(١) وردت في الديوان « التريعة ». ولم نجد هذه اللفظة في الاستعمال انما هناك « التَرِعة » وهي مَنْ فيها عَجَلة، وقيل : السريعة الى الغضب والشر. وهذه المعاني لا تخدم الهدف من بيتي عروة. ونحن نرجح مع الدكتور ابراهيم الخواجه (عروة، حياته وشعره ص ٦٧) أن اللفظة مصحفة عن « النزيعة » ولذلك اثبتناها بهذه الصيغة، ومثلها كلمة « الترائع » في آخر البيت.

يُنْجِبْنَ : يَلِدْنَ النُجَباء الكُرَماء.

النزائع : جمع النزيعة.

* يُثير عروةُ مأخذَ قومِه عليه من أن أمَه غريبةٌ تزوجت في غير قبيلتها، ويتساءل : ماذا في ذلك من خَلَل ؟ أليس فيه على العكس، حسناتٌ معروفة ؟ أليس الأولاد النُجباءُ هم الذين تَلِدُهم الأمهاتُ الغريبات ؟[1]

٢ ــ وَمَا طَالِبُ الأَوْتارِ إلّا ابنُ حُرَّةٍ، طويلُ نِجادِ السيفِ، عاري الأشاجِع

الأوتار : جمع الوَتْر أو الوِتْر، وهو الانتقام أو الثأر. وطلب الوَتْر هو طلب الثأر المعروف عند العرب وعند جميع الشعوب التي تعيش قبائل.

الحُرّة : من النساء : المعروفة الأصل، وضدها : الأمة.

النِجاد : ما وقع على العاتق من حمائل السيف. **وطويل النجاد** : كنايةٌ عن طول القامة لأن الذي تطول قامته، يطولُ نِجادُه.

الأشجَع : في اليد والرجل : العصب الممدود فوق السُلَامى، من بين الرُسغ الى اصول الأصابع، أو هو عصب ظاهر الكف. ويقال للذئب وللأسد : عاري الاشاجع. وفي صفة ابي بكر : عاري الأشاجع[2]. فهي كناية عن القوة والرجولة.

* لكي يصل عروة الى دفع التجريح عن والدته، ولكي يؤكد أنها كسائرِ النسوةِ الحرائرِ في القبيلة، يُذكِّر قومه بأنه كثيراً ما دافع عنهم وأنجدَهم

---

(١) هذه النظرية عرفها العرب قديماً ويؤكدها حديث عمر لآل السائب : « قد أضويتم فأنكِحوا في النزائع، أي في النساء الغرائب من عشيرتكم. » (لسان العرب ج٨ ص ٣٥١ [نزع]).

(٢) لسان العرب ج ٨ ص ١٧٤ [شجع].

وطالب بثاراتهم. وهذه الفِعال لا يقوم بها العبد ابن الأمة، انما يأتيها الفتى القوي الشجاعُ، الطويل، الحُرُّ ابن الحُرَّة.

٣٤ ــ الصديق الضالّ

(الوافر)

يُقدِّس عروةُ الصداقةَ والوفاءَ بعهد الصديق، لكنه يشترط عليه قَبولَ النصيحةِ والابتعادَ عن طريق الضلال...

١ ــ **وَخِلٍّ، كنتُ عينَ الرُّشدِ منه، إذا نَظَرَتْ، ومُستمِعاً، سَمِيعا،**

الخِل : الصديق الودود.

الرُّشد : الصواب.

٢ ــ **أطَافَ بِغَيِّهِ، فَعَدلْتُ عَنْهُ، وقلتُ لهُ : أرَى أمْراً فظيعا**

الغي : الضلال.

أطاف بالشيء : ألمّ به وقاربه وأحاط به.

• معنى البيتين : رُبَّ صديقٍ أخلصتُ له الوُدّ، فكنتُ استمعُ باهتمام الى ما يقول وألبّي ما يطلبُ، وأدُلُّه على طريق الصواب، تخليتُ عنه وابتعدتُ حين تبيّن لي أنه معتصم بالضلال، يحيطُ به فلا يرجعُ عنه، وقلتُ له : إن بقاءَكَ على ضلالِك أمرٌ فظيعٌ لا أحتمله.

حرف الفاء

٣٥ ــ لِلمُقامِ أُطَوِّفُ

(الطويل)

أجدب ناسٌ من بني عبسٍ، فأتوا عروةَ بن الورد. فَرَقَّ لهم وخرج ليغزو بهم ويُصيبَ مَعاشاً. فنهته امرأتهُ عن ذلك وتخوّفت عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازياً، فمرّ بمالك بنِ حمار الفزاري ثم الشَمْخيّ، فسأله : أين يريد ؟ فأخبره، فأمر له بَجَزور فنحرَها فأكلوا منها. وأشار عليه مالك أن يرجعَ، فعصاه ومضى حتى انتهى الى بلاد بني القَين، فأغار عليهم فأصابَ هَجْمَةً عادَ بها على نفسه وأصحابه[1]. وقال :

١ ــ **أَرَى أُمَّ حَسَّانَ، الغَداةَ، تَلومُني، تُخَوِّفُني الأعداءَ، والنفسُ أَخْوَفُ،**

أم حسّان : زوجته سلمى الكنانية.
أخْوَفُ : أكثر إخافةً.

* تلومُني أمُ حسّانَ اليومَ لأنني أتهيّأ للغزو، وتُخوِّفني ما ينتظرني من

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٨ وراجع ص ٣٧ تفاصيل القصة.

اعدائي، بينما للإنسان، من نفسه، أكثرُ الأعداءِ إخافة. فالمخاطرُ لا يتعرض لها الانسانُ حين يَبعدُ فقط، بل قد يقعُ في المهالك، وهو في مكانِهِ، خالٍ الى نفسه.

٢ ــ لَعَلَّ الذي خَوَّفتِنا، مِن أمامِنا،   يُصادفُهُ، في أهلِهِ، المُتَخَلِّفُ[1]

من أمامنا : في مسيرنا وتقدُّمِنا

المتخلِّف : المتأخر عن المسير، الباقي في مكانه.

* يشرح عروة المعنى الذي قصد اليه في البيت الأول، وهو أن المخاطر التي تخوّفيننا منها، اذا سرنا، قد نتعرض لها لو تخلّفنا عن المسير وبقينا بين أهلنا.

٣ ــ تَقولُ سُليمى : لو أقمتَ لَسَرَّنا،[2]   **ولَمْ تَدرِ أنّي، لِلْمُقامِ، أُطَوِّفُ!**

لسَرَّنا : أي لسَرَّنا مُقامك.

أطوِّف : أتنقّل من مكان الى آخر.

---

(١) في الديوان، ورد البيت الثالث قبل الثاني، لكننا وجدنا أن استقامة المعنى تقتضي تأخيره.
أورد المبرّد البيت الثاني بعد الثالث وصيغته :
لعلّ الذي خوّفتنا من ورائنا   سيدركُه، مِن بعدِنا، المتخلِّفُ.
(الكامل ج ١ ص ٢٠٢).

(٢) عند المبرّد : لو أقمتَ بأرضنا (الكامل ج ١ ص ٢٠٢) وأورده كذلك العكبري في معرض شرحه لبيت المتنبي :
لعلَّ اللهَ يجعلُه رحيلاً   يعينُ على الإقامة في ذراكا
(شرح العكبري لديوان المتنبي ج ٢ ص ٣٨٨).

* تقول سليمى : إننا نتمنّى أن تبقى مقيماً بيننا فنسعدَ بك، ولم تدْرِ أنني لأجل أن أبقى وأُقيم، أسير في البلاد أطلب الغنى.

٤ ــ إذا قلتُ: قد جاءَ الغِنى، حالَ دونَهُ أبو صِبْيَةٍ يشكو المفاقِرَ، أعْجَفُ

المفاقر : وجوه الفقر (لا واحد لها)
أعجف : هزيل.

* ان الذي يمنعني تحقيق حلمي في الغنى والاقامة هو عطفي على ذوي الحاجات : فما إن أحقّق ثروة فأقول : جاء الغنى والاكتفاء، حتى يعترضني ربّ عائلة يشكو الهزال وألواناً من الفقر فأعطيه ما جنيت، وأعود، من جديد الى السعي، وقد حيل بيني وبين الغنى.

٥ ــ لَهُ خَلَّةٌ، لا يَدخُلُ الحقُ دونَها، كريمٌ أصَابَتْهُ خُطُوبٌ تُجَرِّفُ

الخَلّة : الحاجة والفقر.
الحق : حق الضيف. لا يدخل الحق دونها : أي هي أقرب منه وأكثر إلحاحاً.
تجرّف : تأخذ في طريقها كل ما تصادفُه.

* يتابع عروة وصف صاحب العيلة الهزيل : ان عنده حاجة لا يَدخُل حقُّ الضيف دونها لأنها أكثر منه الحاحاً. صاحب الحاجة هذا في وضع لا يحتمل التأجيل، وهو ليس مجرد سائل مُسْتَعْطٍ، انما هو انسان كريم من أصل كريم، أناخت عليه مصائب هائلة، تجرف ما في طريقها فلا تُبقي ولا تذر.

٦ ــ فإنّي لَمُستافُ البِلادِ بِسُربَةٍ، فَمُبْلِغُ نفسي عُذْرَها، أوْ مُطَوِّفُ

المُستاف : الذي يقطع المسافات.

السُربة : المسير، المذهب في الأرض، الطريق. وهي أيضاً الجماعة من الظباء والخيل وغيرها.
الغُدْر : هنا : الغَلَبة والنُجح.
طوّف : أكثر الطواف أي الدوران أو التنقّل.

* إني مصمم على أن أسير في الأرض، قاطعاً المسافات، حتى أصيب الغَلَبة والنُجْح، فإن لم أستطع فسأتابع مسيري مُطَوِّفاً في البلاد، متنقلاً من مكان الى آخر، ولن أعود أبداً صفر اليدين.

٧ ــ رَأَيتُ بني لُبْنَى، عليهمْ غَضَاضَةٌ، بيوتُهُمْ، وَسْطَ الحُلولِ، التَكَنُّفُ!

بنو لبنى : لعلهم فرع من عبس[١]
عليهم غَضَاضَةٌ : قال الأزهري : عليه غضاضة أي ذُلٌّ[٢]
الحلول : جمع حالّ، وهو النازل بالمكان.
التكنّف : الالتجاء الى شبه الحظيرة، درءاً للبرد أو للمخاطر.[٣]
(الكنيف : حظيرة من خشب تُتخذ لأغراض متعددة، منها الاحتماء.)

* يبدو أنه حصل، في ذهن عروة، تداع للأفكار والصور : فهو، إذ يرفض أن يعود الى دياره خالي الوفاض، يتذكر قومه الذين وجدهم في حالة من الفقر الشديد دفعتهم الى التكنف، وهذه الصّورة تُجسّد الذُل الذي يُسببه الفقرُ وتغدو حافزاً لعروة على متابعة الطّواف حتى نيلِ الغنى.

---

(١) حادثة التكنّف معروفة في شعر عروة ومترددة غير مرة. وأبطالها جماعة من قومه. راجع ص ١٠٣ وص ٢٠٦.
(٢) لسان العرب ج ٧ ص ١٩٧ [غضّ].
(٣) في قصة التكنّف المذكورة أن عروة « وجد قومه في حظيرة قد حظروا على أنفسهم لما أعوزتهم المكاسب وقالوا : نموت فيها جوعاً خير من أن تأكلنا الذئاب. »

٨ ـ أَرَى أُمَّ سِرياحٍ غَدَتْ في ظَعَائِنٍ تأمَّلُ مِن شامِ العِراقِ، تُطَوِّفُ

أم سِرياح : كُنية الجَرادة[1].

الظعائن : المسافرون، المتنقلون من بلد الى آخر، المهاجرون...

الشام : الأثر الأسود في البدن وفي الأرض.

تأمّل : تتثبّت.

تُطوّف : تدور، تتنقل من مكان الى آخر.

* يرى عروة، بعين خياله، الجدب قادماً ومعه القحط. وعلاماته أفواج الجراد المهاجرة تنظر من أرض العراق المرقطة لتتثبّت من أي البلاد تبدأ الطواف. والموقف يتضمن سؤالاً يوجَّه الى الزوجة اللائمة : اذا سمعتُ كلامكِ، وبقيتُ قربك ثم داهمنا القحط، فما هو مصيرنا ؟

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٤٨٢ [سرح].

حرف القاف

٣٦ ــ فديتُه بنفسي

(الوافر)

وجدنا هذا البيت المنفرد في « لسان العرب »[1] أورده ابن منظور مثلا على القلب بين موضوع الفعل وأداته.

فَدَيتُ، بنفسِهِ، نفسي ومالـــي   ومـــا آلـــوك إلّا ما أُطيـــقُ

ما آلوك (جَهداً) : ما استطعت. وهي، عند ابن منظور، عامية. والفصحى منها : ما أَلَوتُ جَهداً.[2]

ما آلوك : اذن بمعنى : لا أقصّر، لا أفتر.

أُطيق : أتحمّل، أستطيع.

* في البيت قلب (فديت بنفسه نفسي = فديته بنفسي) والمعنى : فديته بنفسي ومالي وهذا كل ما أستطيعه.

---

(١) لسان العرب ج ٥ ص ٣١٦ [تيز] وذكره ابن الأنباري منسوباً الى العباس بن مرداس (الاضداد في اللغة ص ٨٤).

(٢) لسان العرب ج ١٤ ص ٤٠.

حرف اللام

٣٧ ـ ان منايا النفس خيرٌ من الهَزْل

(الطويل)

هبط عروةُ أرضَ بني التَّيم مع جماعة من صعاليكه. فكمنوا على ماء هناك. وبعد خمسة أيام وردت إبلٌ فيها ظعينةٌ ورجلٌ معه السيفُ والرمحُ، والإبل مئةٌ مَتَالٍ. فخرج اليه عروةُ فرماه في ظهره بسهمٍ أخرجه من صدره، فَخَرَّ ميتاً. واستاق عروةُ الإبلَ والظعينةَ حتى أتى قومه؛[1] فقال يروي الحادثة، خارج صيغةِ الماضي الذي يَحُدّ الفعلَ، معطياً لها صيغة المستقبل ،وفيها مدىً أبعدُ وامكانية الاستمرار والتكرار مع الامتداد. ويمهد لها بحث جماعته على الغزو والسعي لمهاجمة الأعداء، مبتدئاً بصورة الشيخوخة المستكينة التي يصل اليها كل الناس، وعروةُ منهم، ليستبعد هذه الصورة طالما لم يأت أوانها بعد :

١ ـ أَلَيسَ ورائي أَنْ أَدِبَّ على العصا، فَيَشْمَتَ أعدائي وَيَسْأَمَني أهلي،[2]

الوراء : الخلف، ويكون الأمام[3].

---

(١) راجع تفاصيل القصة في الصفحة ٣٧ من المقدمة.

(٢) في البيان والتبيين : فيأمن اعدائي (ج ٣ ص ٨٣).

(٣) هو من الأضداد. (الاضداد في اللغة ص ٥٦).

يسأم : يَمَلّ.

* ألا ينتظرني، اذا طال بي الأجل، وبلغتُ الشيخوخةَ، ما ينتظر سائر الناس : أن أضعف فأمشي متكئاً على عصاي، أن تنعدم غاراتي فيأمن اعدائي ويشمتوا، أن يملَّني أهلي ويسأموا ؟

٢ ــ رهينةَ قَعْرِ البيت، كُلَّ عَشيَّةٍ يُطيفُ بِيَ الوِلدانُ، أهْدِجُ كالرَّألِ؟

رهينةً : مُلازماً.
قَعْرُ كل شيء : أقصاه.
يُطيف بي : يدور حولي
أهدِج : أمشي رويداً في ضعفٍ واضطراب (مشية الشيوخ)
أُسرِع وأقارب الخُطو
هَدَج الظليمُ : مشى وسعى وعدا في ارتعاش.
الرَّأل : ولد النعام.

* في وُجدان الشاعر يمتزج الواقعُ بالخيال فيرى عروةُ نفسه، وقد بلغ من الكِبَرِ عِتِيّا، يلزَم أقصى البيت، يوضع هناك ليكون أقلَّ ازعاجاً للآخرين، يأتي اليه الصبيانُ كل مساء، يلتفون حوله. فإذا ما قام لحاجةٍ مشى رويداً في اضطراب أو أسرعَ مُقارباً خَطوَه كأنه مولود نعام يسعى مرتعشاً.[1]

٣ ــ أقيموا، بَني لُبْنَى، صدورَ رِكابِكُم، فكُلُّ مَنَايا النفسِ، خيرٌ من الهَزْلِ،

أقام الشيء : جعله مستقيماً، معتدلاً. **أقام صدر المطيّة** : جعلها ترفع رأسها ويعتدل صدرها، وذلك تأهباً للانطلاق.

---

(١) ان استحضار عروة لهذه الصورة ليس بهدف تبرير الاستكانة والتقاعس عن الغزو، ولكن، على العكس تماماً، لتكون حافزاً له على أن يسعى طالما بامكانه أن يسعى. وهذه نصيحة يقدمها لجماعته في البيت التالي.

منايا : جمع منية، وهي الموت.
الهَزْل : الضعف الناجم عن الجوع.

* يدعو عروةُ بني لُبنى، وهم قوم من عبس، إلى عدم التقاعُس، وبالتالي الى امتطاء الخيل وشدّ أرسانها حتى تعتدل صدورها وتتأهب فينطلقوا بها الى الغزو. وهو يُقنِعُهم بأن هذا أفضلُ لهم، وإن كان فيه خطرُ التعرّض للموت، فالموت في المعركة، أياً كان شكْلُه، خيرٌ من الموتِ جوعاً.

٤ ـــ فإنّكـمُ لن تَبلُغوا كلَّ هِمّتـــي ولا أَرَبي، حتى تَرَوا مَنْبِتَ الأَثْلِ.

هِمّتي : هواي (ورغبتي).
أَرَبي : مرادي، مطلبي، حاجتي.
الأَثْل : شجر ذو أصولٍ غليظة تُسوَّى منها الأبواب والمنابر وغيرها. وقد يكون هو « العُرى من الشجر العظام » المذكورة في المقدمة[1] على أنها موجودة في أرض بني القين. في هذه الحال يكون « مَنْبِت الأثل » كناية عن أرض بني القين.

* إنكم تُحقِّقون أقصى رغبةٍ لي ومطلبٍ حين تصلون الى بلاد بني القين، اعدائنا.

٥ ـــ فلو كنتُ مثلوجَ الفُؤادِ، إذا بَدَتْ بلادُ الأعادي، لا أُمِرُّ ولا أُحْلِي،

المثلوج الفؤاد : البليد[2].
بدت بلاد الأعادي : تقديراً : بدت بعيدة.
أُمرّ وأُحلي : آتي بالمر والحلو من الفِعال.

---

(١) راجع ص ٣٧.
(٢) لسان العرب ج ٢ ص ٢٢٢ [ثلج].

٦ ــ رَجَعْتُ على حَرْسَين، إذ قالَ مالكٌ: هَلَكتَ، وَهَل يُلحَى، على بُغْيَةٍ مثلي؟

حَرْسَين : مثنى حَرْس : وادٍ بنجد ــ والحَرْسان : الجبلان، يقال لأحدهما حَرْسُ قَسا[1]. أو هما جبلان في أرض بني فزارة.[2]

يُلحى : يُلام ويُعذل ويُدفع.

البغية : الحاجة المطلوبة.

* معنى البيتين : لو كنتُ بليداً، لا آتي بحُلْوٍ ولا مُرٍّ من الفعل، لكنت، حين بَدَتْ بلادُ الأعادي بعيدة، أطعتُ نصيحة مالك[3] بعدم التعرض للهلاك، ورجعتُ على حَرْسَين أجاورُ قومَه. لكنني لستُ ممن تُزعزَعُ إرادتهُ ولا ممّن يُدفع عن تحقيق طلب اذا صمّم عليه.

٧ ــ لَعَلَّ انطلاقي في البلادِ وبُغْيتي، وَشَدّي حَيَازيمَ المطيَّةِ بِالرَحْلِ،

الحيازيم : جمع الحيزوم، وهو الصدر. وشد الحيازيم كناية عن التشمّر للأمر والاستعداد له. وشد حيازيم المطيّة بالرحل هو، كاسراج الخيل، كناية عن الاستعداد للسفر.

٨ ــ سَيَدفَعُني[4]، يوماً، الى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدافِعُ عنها بالعُقوق وبالبُخْلِ

(١) لسان العرب ج ٦ ص ٤٩ [حرس].

(٢) حماسة أبي تمام ج ١ ص ١٧٨.

(٣) هو مالك بن حمار الفزاري وقد ورد ذكره في قصة اصحاب عروة في الكنيف، نصح عروة حين رآه يقود أصحابه الى بلادِ بني القين، ودونها المهالك، فقال : « أين تنطلق بفتيانك... » (راجع ص ٣٧ وص ١٠٤).

(٤) اذا كان عروة أنشد هذه القصيدة فعلاً بعد الحادثة المذكورة في المقدمة، فإن حديثه عنها هنا بصيغة المستقبل محاولة للخروج بها من اطار الحدث الفريد الى اطار الشمول والدوام، ولإثبات أن هذا العمل دأبه، وهو مطلب دائم له.

الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل. وهي ما بين الثلاثين والمئة. أو ما بين السبعين الى دُوين المئة. أو ما بين الستين والمئة...[1]
العقوق : التنكّر لصلة الرّحِم، وهو هنا كناية عن منع الخير عن الاقرباء.

* ومعنى البيتين : إن بغيتي التي أطلبها وأتنقل في البلاد بحثاً عنها وأشد الرحال على صدور المطايا لأجلها هي أن ألقى صاحب إبلٍ كثيرة يجمعها ويحافظ عليها ويحميها من الأقرباء بالعقوق، ومن الأباعد بالبخل[2].

٩ ــ قليلٌ ثَواليها وطالبُ وِتْرِها، إذا صِحتُ فيها بالفَوارِسِ والرَّجْلِ

تواليها : من يلزمونها ويتبعونها.
الوِتر : الثأر.
الرَّجْل : المقاتلون على أرجلهم.

* اذا ما صحت وصاح معي رجّالتي وفرساني، ثم استولينا على هذه الإبل، لا يكون لها من يَلزمُها فيدافع عنها، ولا من يأخذ بثأرها، بسبب عقوق صاحبها وبخله.

١٠ــ إذا ما هَبَطنا مَنهَلاً في مَخُوفَةٍ، بَعَثْنا ربيئاً، في المرابئِ كالجِذْلِ

الجِذْل : ما عظُم من أصول الشجر المقطَّع ــ أصل كل شجرة حين يذهب رأسها. وهو كناية عن الانتصاب بثبات وبلا حركة.

---

(١) لسان العرب ج ١٢ ص ٦٠٢ [هجم].
(٢) اختار عروة هذا النموذج للضحية لأن اغتصابه يبقى بلا ذيول : فهو، لبخله، لا يصحَب أحداً معه، ولا أحد يتبعه وفاءً له. وهو، لعقوقه، لا يحبه أهلُه ولا يطالبون بدمه. وهذا ما يشير اليه عروة في البيت التالي.

الربيء : الذي يربأ بقومه، أي يطّلِعُ لهم على شَرَف، يرعى أمرهم ويحرسهم من عدوّهم.
المَنهَل : المشرَب، منزل المسافر على الماء.
المَخُوفة : الطريق في الصحراء يخاف الناس اجتيازها.

* بعد السطو ننزل على ماء، نختاره في مفازة مرعبة يخاف الناس اجتيازها. لكن هذا لا يكفي للحيطة والحذر، بل نكلّف مراقباً يقف على شَرَفٍ عالٍ، يستطلع الافق، منتصباً في موضعه كأنه الجِذْل العظيم.

١١ــ يُقلِّبُ في الأرضِ الفضاءِ بِطرفِهِ، وهُنَّ مُناخاتٌ، ومِرجَلُنا يغلي

مُناخات : النوق التي أنيخت.
المِرجل : القِدْر من النحاس والحجارة، أو هو قدر النحاس خاصة.

* بعد التعب تُناخُ النوقُ لترتاح، وتَذبح بعضها ليؤكل، فنرمي لحمَها في القدور الغالية، بينما ربيئتنا ينقّل بصره في الفضاء البعيد.

* * *

٣٨ ــ عقوق أهل الكنيف

(الطويل)

ان مناسبة هذه القصيدة ترتبط بمناسبة القصيدتين السابقتين : فحين اجدب ناس من بني عبس استنجدوا بعروة[1] فَرَقَّ لهم وأطعمهم وحملهم الى أن نزل بهم في موضع يقال له ماوان،

(١) راجع ص ١٩٤ وص ١٠٣.

حيث كَنَف عليهم في أسرابٍ حَفَرها لهم، وقاد من اشتدّ ساعدُه منهم ليغزو بهم... « ثم ان الله، عزّ وجلّ، قيّض له رجلاً صاحبَ مئة من الابل... فقتله وأخذ إبلَه وامرأته[1]، وكانت من أحسن النساء. فأتى بالابل أصحابَ الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها، حتى اذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسِمها بينهم، وأخذ مثلَ نصيب أحدِهم. فقالوا : لا، واللاتِ والعزّى، لا نرضى حتى تجعلَ المرأة نَصيباً، فمن شاء أَخَذَها. فجعل يهمّ بأن يحملَ عليهم فيقتلَهم وينتزع الإبلَ منهم. ثم يَذْكر أنهم صنيعتُه وأنه، إن فعل ذلك أَفسَدَ ما كان يصنع. فأفكر طويلاً ثم أجابهم الى أن يَردَّ عليهم الإبلَ، إلا راحلةً يحمل عليها المرأةَ حتى يلحقَ بأهله ؛ فأبوا ذلك، حتى انتدب رجلٌ منهم فجعلَ له راحلةً من نصيبه. »[2]

في هذه القصيدة نجد عروةَ مقسَّماً بين عاطفتين : عاطفةِ القائدِ، يعتني بصعاليكه، يتولّى أمرَهم ويُحسِّن أحوالهم، فهم صنيعتُه، لولاه لماتوا جوعاً... وعاطفةِ الانسان الذي يريد، كسائرِ الناس، أن يكون محبوباً، مَرْعيَّ الجانب، مُقَدَّرَ المعروف، يَرتَدُّ اليه العِرفانُ بالجميل. وقد أثّر فيه صراعُ العاطفتين، وأَحسَّ بالمرارة لإنكار صنائعه فضلَه، فلا هو قادرٌ على تأديبهم، ولا هو قادرٌ على تركهم. فشبّه نفسه بالأم التي تربّي ولدَها بدمعِ العين، فاذا بلغ مبلغ الشباب وغدا قادراً على ردّ الجميل، اختطفته منها احدى بنات الجيران، سَحَرَتْه بشبابها وغنجها وتبرُّجها. كما ذكّره تصرّفُ جماعته بالناقة التي تُقاد الى مرعى واسعٍ خصيب، فتُقيّد

---

(١) راجع ص ٢٠٠ وص ٣٧.

(٢) الأغاني ج ٣ ص ٧٦.

لكي لا تَبطر، بينما هو قد أخطأ بتركِ صعاليكه ينهَلون من نِعَمِهِ بلا حساب...

١ ــ **أَلَا إنَّ أَصحابَ الكَنيفِ**[1] **وجدتُهُمْ كَمَا الناسِ، لَمَّا أَخصَبُوا وتَمَوَّلُوا!**

كما الناس : كالناس، وما زائدة.
تموّل : أصبح ذا مال (والمال هو الإبل).
أخصب القوم : نالوا الخصبَ، وساروا إليه.
أصحاب الكنيف : الجماعة من عبس الذين وجدّهم عروة في حالة الضعف والجوع فضرب لهم الكنيف وأطعمهم.

* وجدتُ أصحاب الكنيف كسائر الناس، اذا أصابوا المال والغنى تنكّروا لمن كانوا أصدقاءهم في الشدة.

٢ ــ **وإنّي لَمَدفوعٌ إليَّ وَلاؤُهُـمْ، بِماوانَ، إذ نَمْشي وإذْ نَتملَّلُ،**[2]

دُفع (الى مكان) : انتهى اليه. وولاؤهم مدفوع اليّ : ينتهي (يعود) إليّ.
الولاء : يكون ولاء حِلف، وولاء قرابة، وولاء عِتق، وولاءَ نِعمة وولاء مُناصرة... والولاء الذي يشير اليه عروة قد يكون ولاء النعمة والمناصرة، فهو قد نصرهم وأغدق عليهم النعمة فغدا ولاؤهم له..
نمشي : نسير سيراً عادياً.
نتملّل : نُسرع. (يُقال : مَرَّ فلانٌ يَمْتَلُّ امتلالاً، اذا مَرَّ مَرّاً سريعاً).

* يوقّت عروة لحديثه عودةَ الغزاة الى ماوان التي تركوا بها ضعفاءهم،

(١) راجع ص ٢٥ هامش ٢.
(٢) وردت في الديوان « نتململ » والتصحيح عن « شعراء النصرانية » ص ٨٩٣.

وهي عودة مظفرة بفضل عروة اذ حَمّلهم الغنائمَ والأنعامَ. بماوان دبت حركةٌ كبيرة. هناك مَن راح يمشي ومَن راح يُسرع، ومَن انصرف الى تحضير طعام طال انتظاره (كما سيأتي).

٣ ــ وإذْ ما يُريحُ الحيُّ صرماءَ جَونَةً، يَنوسُ عليها رَحلُها ما يُحلَّلُ،

يُريحُ : يُنزل أو يشمُ رائحة.

الصرماء : الناقة التي قلّ لبنُها لأن غُزْرها انقطع.

الجَونة : السوداء.

ينوس : يتدلّى ويضطرب.

حلّله (بالمكان) : أنزله فيه، جعله ينزل فيه. **ما يُحلَّل** : لا يهيأ له النزول والاستقرار (لا يستقرّ).

* كنّى عروةُ بالناقةِ السوداء، المقطوعةِ الغُزْر، القليلة اللبن، عن القِدْرِ العظيمة التي اسودّت لكثرةِ ما وُضعت على الموقد. وكنّى بالرَحْل عن غِطائها الذي يَضطرب دوماً فلا يقرُّ له قرار، بسبب غليان الماء واللحم فيها... ويأتي وصف القِدْر، في هذا البيت والابيات التالية، من ضمن وصفه للحركة التي احدثتها عودته مع رجاله وقد وفّر لهم النِعم. فمن ابرز مظاهر هذه الحركة نصب القِدر على النار، قدر سوداء ضخمة، يغلي فيها اللحم وغطاؤها، فوقها، دائم الاضطراب، فيما يَشُمُّ الحيُّ بأجمعه رائحةَ اللحم المطبوخ.

٤ ــ مُوَقَّعَةُ الصَّفْقَينِ، حَدْباءُ، شارِفٌ، تُقَيَّدُ أحياناً، لديهم، وتُرْحَلُ

الموقَّعة : التي بظهرها آثارُ الدَبَر[1]، لكثرة ما حُمِل عليها ورُكِبت.

(١) الدَبَر : الجرح الذي يكون بظهر الدابة، كنّى به عن خطوط، كالحَفَى، تكون في جوانب القِدْر.

الصَّفْقان : صَفْقا العنق : جانباه. وصفقا الفرس : خدّاها. وصفقا الناقة : ناحيتا عنقها، أو خدّاها. وصفقا القِدْر : جانباها البارزان.
حَدْباء : ناتئة ومكوّرة (الحَدَب : دخول الصدر وخروج الظهر).
الشارف : (من الإبل) المُسِنّ. وكنّى بذلك عن قِدَم عهد القدر باطعام الناس، فهي عريقة.
تقيَّد : تُربط في مكان، لا تبتعد عنه.
تُرحَل : يوضع عليها الرَّحْلُ للسفر. (وكنّى بالتقييد والترحيل عن ملازمة القِدر للقوم، فهي تبقى معهم حين ينزلون وترحل معهم حين يرحلون).

* يتابع عروة وصف القدر من خلال وصف الناقة السوداء : فهي حدباءُ، في الجنبين منها خطوط، وهي مُسِنَّةٌ قديمةُ العهد بخدمة القوم، ملازمةٌ لهم، تبقى معهم حين ينزلون وترحلُ معهم حين يرحلون.

٥ ــ عليها، من الوِلدانِ ، ما قد رأيتُمُ وتـمشي، بِجَنبيهَـا، أرامِـلُ عُيَّـلُ

عُيَّل : فقيرات (من عال : افتقر، فهو عائل).
* يشدّد عروة على وصف جماعته وما بهم من حاجةٍ شديدة الى الغنائم التي ساعدهم على نيلها[1]، فيصوّرهم يطوفـون بالقِـدْر، منتظريـن نضج اللحم، أولادٌ يتامى وأراملُ فقيرات.

٦ ــ وقلتُ لها : يا أُمَّ بيضاءَ، فِتيةٌ طَعامُهُمُ، مِنَ القُدُورِ، المُعَجَّلُ،

أم بيضاء : كناية عن السوداء تطلق عليها تحبُّباً أو تعريضاً.
المُعجَّل : المطبوخ بسرعة، لمّا ينضج.

---

(١) يرمي عروة من ذلك الى هدفين : هدف نفسي غير مقصود فيه ارضاء للنفس التي احست بالغبن لانكار معروفها، والهدف الثاني مقصود فيه تذكير لهؤلاء القوم من هلّاك عبس بما كانوا عليه قبل تدخل عروة.

٧ ـ مَضِيغٌ مِنَ النِيبِ المَسانِ وَمُسْخَنٌ   مِنَ الماءِ نعلوهُ بِآخَرَ مِنْ عَلُ.

المَضيغ : جمع المضيغة وهي كل عصبة ذات لحم.. وكل لحم على عظم مَضيغة.

المُسخن : (من الماء) الماء الساخن أو المَرَق.

النِيب : جمع ناب وهي الناقة المُسنَّة. (سُمّيت بذلك حين طال نابُها وعَظُم).

المَسَان : جمع المُسِنّ، وهو من الدواب، الذي نبتت سنُه. والبقرة والشاة يقع عليهما لفظ المُسن اذا أثنتا، أي طلعت ثنيتهما، وليس معنى ذلك كبرَهما في السن[1] (كما عند البشر).

* معنى البيتين : يخاطب عروةُ القِدْرَ قائلاً : يا أمَ بيضاءَ، (أيتها السوداء) هؤلاء حولك فتيةٌ بلغَ بهم الجوعُ كلَّ مَبْلغ، فلا ينتظرونَ اللحم لينضَجَ بل يتناولونه مُعَجَّلاً : يمسكون العظمَ عليه اللحمُ يأكلونه ويغمسونه بالمرق الساخن. فاذا ما نقص هذا المرق أُضيفَ اليه ماءٌ جديدٌ.

الى هنا يبلغ أقصاه تصويرُ عروة قومَه المحتاجين الجائعين ،وقد أنقذتهم النِعَمُ التي أمّنها لهم فأعادت اللحم الى قِدرهم والحركة الى حَيِّهم. ولكن ماذا نال منهم مقابل ذلك ؟..

٨ ـ فَإنّي وإيّاكُمْ كَذِي الأُمِّ أَرْهَنَتْ   لَهُ ماءَ عَينَيها، تُفَدّي وَتَحْمِلُ،

كذي الأُمِّ : ذي (من الأسماء الخمسة) بمعنى صاحب. وذي الأم : لمن له أم كنّى به عن الولد.

أرهنت له : أدامت له، حبست عليه.

---

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٢٢ [مسن].

ماء عينيها : الدموع، كناية عن الرعاية والعناية مع شدة التأثر بكل ما يصيبه.
تُفَدّي : (تفدّيه) تقول : تفديك نفسي، أو جُعلتُ فِداك، وما شابه.
تحمِل : تحمله أو تتحمل منه.

* يشبه عروة حاله مع جماعته العاقّين بحال الأم التي أفنت عمرَها تكلأ ولدها وترعاه، تحملُه، وتفدّيه بنفسها الى أن كبر.

٩ ــ فَلَمّــا تَرَجَّت نَفْعَــهُ وشَبَابَــهُ ... أَتَتْ دونَها أُخرى، حَديداً، تَكَحَّلُ،

حديداً : مجاورة، يقال : فلان حديدي في الدار أي داره عند حدود داري.
تكحَّل : تتكحّل : تضع الكُحل، وذلك كناية عن التبرُّج لممارسة الاغراء على الرجل.عندما كبُر الابنُ برعاية أمه وآن الوقتُ لتحصد الأم ما زرعت وتنالَ منه الاهتمام والرعاية، أحسَّ بقوّته وقلة حاجته الى والدتهِ فخضع لإغراءِ امرأةٍ أخرى من الجيران سَحَرَتْه بجمالِها وتبرُّجِها، فدخلت بين أمه وبينه.

١٠ــ فَباتَتْ بِحَدِّ المِرْفَقَيْــنِ ،مُكِبَّةً،[1] ... تُوَحْوِحُ، مِمّـا نابَهَـا، وتُوَلْـوِلُ،

بِحَدِّ المرفَقَينِ مَكِبَّةً : متكئة على مرفقيها، منكِّسةً رأسها، من الحزن والهم.

---

(١) في الديوان : « فباتت لجدّ المرفقين كليهما. » والتصحيح عن رواية هامش « شعراء النصرانية » (ص ٨٩٤) وقد اخترنا هذه الرواية لأن لها صدىً في قصيدة مرت بنا لعروة « رأيي ورأي البخل مختلف ». (راجع ص ٩٧).

تُوَحوِحُ : تُخرجُ صوتاً قوياً فيه بحَّة. (وهذا يحصل عادة عند الشجار أو النواح)

تُوَلْوِلُ : تُعْوِل وتدعو بالويل وتستغيث. (تحاكي صوت النائحة. وذلك كناية عن الحزن العميق).

نابَها : نالها، أصابها.

* إن ما أصابَها كان صدمة هائلة تشبه الصدمة بفقد عزيز. فانتابها من الحزن والغم ما جعلها تُنكِّسُ رأسها على يديها وتتكيء على مرفقيها، تَبكي بصوتٍ مبحوح وتستغيث وتنوح.

١١ــ تُخَيَّرُ مِنْ أَمْرَيْـنِ ليسا بِغِبْطَـةٍ: هما الثُّكْلُ، إلا أَنَّها قَدْ تَجَمَّلُ.

الغِبطة : المَسَرَّة.

الثُكل : فقد الولد.

تجمَّل : تتجمّل : تصبر وتكتم ما بها فلا يظهر عليها الذل.

* عند هذه الأم خِيارٌ من اثنين، وكلاهما لا يجلُبان مَسَرَّة : أن تَعْتدَّ ابنها بحكم المفقود وتُقنِع نفسَها بأنها ثكلته لتنساه، أو أن تَقْنَع بالواقع المُر فَتَتَحَمَّله صابرةً كاتمةً ما بنفسها، وهذا أهونُ الشرَّين.

١٢ــ كَلَيْلَةِ شَيباءَ التي لستُ ناسياً، وليلَتِنا إذْ مَنَّ ما مَنَّ قَرْمَلُ،[1]

ليلة شيباءَ : آخر ليلةٍ في الشهر .

قَرْمَلُ : فرس عروة بن الورد.

مَنّ : جاد وتفضّل، أنعَمَ وأحسن.

(١) ضبط لفظة قَرْمَل عن لسان العرب ج ١١ ص ٥٥٦ [قرمل].

* وكأن الشيء بالشيء يذكر : فالشدةُ التي كابدَها عروةُ من تنكُّر جماعته لمعروفه ذكّرتْه بشدة أخرى مَرَّ بها، أو لعلّه يذكُرُها في هذا المقام ليُعرِّض بجماعتِه مُلمِحاً الى الأخطار التي واجهها في سبيلهم... من ذلك ليلةُ آخر الشهر التي لا يمكن أن ينساها، وليلةٌ أخرى كاد يلاقي حتفه فيها لو لم يبادرْ فَرَسُه قُرْمَل الى انقاذه فأصبح ذا فضل عليه.

١٣ــ بِدَيمُومَةٍ ما إنْ تَكادُ تُرَى بهَا، مِنَ الظَمَأ، الكُوْمَ الجِلادَ تُنَوِّلُ.[1]

ديمومة : مَفَازةٌ بعيدةُ الأرجاء يدوم فيها السير

الكُوم : النوق ذات السنام العظيم، العالي (المشرف).

الجِلاد : من الإبل، الغزيرات اللبن.

تُنَوِّل : تعطي، أي تعطي اللبن.

* ان تعرّض عروة للخطر جرى في مفازة بعيدة الأرجاء لا ينتهي فيها السير، يجف فيها كل شيء. حتى ضرعُ النوق العِظام السنام، الغزيرات اللَّبَن، يجف وينقطع عن العطاء.

١٤ــ أقُولُ لَهُ : يا مالِ، أُمُّكَ هابِلٌ! مَتَى حُبِسَتْ، عَلَى الأفَيِّحِ، تُعْقَلُ،

يا مالِ : يا مالك. ومالك قد يكون صديقاً له ورفيقاً، وقد يكون خيالاً من عرائس الشعر أخرجه من ذاتِه وخاطَبَ نَفْسَه من خلاله.

---

(١) موقع هذا البيت في الديوان بين البيتين التاليين. وقد رأينا أن موقعه هنا يتمم معنى البيت الثاني عشر الذي يبقى غامضاً اذا بقي منفرداً، كما أن وضع هذا البيت بين الرابع عشر والخامس عشر يمنع تواصل معناهما ولا يضيف شيئاً اليه، بل يبقى هناك غريباً.

أمُّك هابِلٌ : أمُّك ثاكل، أي ثكلتك أمُّك. وهو دعاء عليه. وقد يكون للتحبب.
حُبست : حُجزَت في مكان. وكلأ حابس : كلأ كثير يحبس المال فلا يحتاج الى التنقل وراء المرعى.
الأفيَّح : هو الأفيح : المكان الفسيح.
تُعقل : تجمع قوائمها (للشاة)، تُحبَس.

* بدت الحقيقةُ فجأةً لعروة، وهي أن الذنبَ في عقوق جماعته يقعُ عليه، لا عليهم : فهو الذي أخطَأ حين أعطاهم بلا حساب. ولذلك يخاطب مالكاً، أو يخاطب نفسَهُ من خلال مالك : انظر وتبصّر، ثكلتك أمُّك، ألا ترى أن الشاةَ، اذا سيقت الى المكان الفسيح الكثير الكلأ تُعقل وتُحبَس لئلا تبطَر وتُفسِدَه كلَّه ؟

١٥ــ تُنَكَّرُ آياتُ البِلادِ لِمــالِكٍ ، وَأَيْقَنَ أن لا شيءَ فيها يُقَوَّلُ

التنكّر : التغيّر من حالٍ تسرُّك الى حالٍ تكرهها.
الآيات : الآثار، العلامات، المعالم.
يُقوَّل : يُطلب اليه القول، يُستنطق، ولعل ذلك اشارة الى الوقفة المعروفة للشاعر الجاهلي على آثار الديار يستنطقها أخبار من يهمه أمرُهم.

* ينهي عروةُ قصيدته بنفثة حسرة ويأس : يرى أن الحاضر لم يعد كالماضي، بل لم يعد فيه صلة بالماضي ولا أي أثر من آثاره ؛ فمعالم الأرض تغيرت ولم يعد فيها علاماتٌ تُستنطق لتتحدث عن الذكريات الماضية...

وكل ذلك كناية عن التغيّر النفسي الذي أصاب الشاعر، فلم يعد بامكانه أن يستأنف حياته مع جماعته، كما بالأمس.

٣٩ ــ من أصاب النعمة نسي رفاق الشدّة

(الوافر)

بَلْجٌ وَقُرَّة صاحبان لعروة، كانا من اصحاب الكنيف، ثم اصابا غنىً ونعمة. أتاهما عروة، وكان في شدة، فلم يُثيباه. تأثر عروة وتبادرت اليه صورة العنز، اذا وقع على كلأ فرعاه وسمن، بَطِر ولم يعد يهتمّ لمن حوله.

١ ــ وَأَيَّ النـاسِ آمَنُ بَعْدَ بَلْـجٍ وَقُرَّةَ، صاحِبَـيَّ، بذي طَلالِ؟[1]

ذي طَلال : ماء قريب من الربذة[2]. وقيل هو وادٍ لغَطَفان. ويبدو أنه الموضع الذي قصد فيه صاحبيه.

٢ ــ أَلَمَّا أَغْزرت، في العُسِّ، بُزْلٌ ودَرْعَةُ[3] بنتُهـا، نَسيا فَعَالـي؟

أَغْزرت : كثُر لبنُها، وذلك كناية عن النعمة والرَّفاه.
العُسّ : القَدَح الضخم، وهو الى الطول. يروي الثلاثة والأربعة والعِدّة..
بُزْل ودَرْعة : اسما عنزين.

• يكنّي عروة ببُزْل ودَرْعة عن صاحبيه بَلـج وقُرَّة، ليعطيهما صفة العنزين. ويبدو أن العنز، اذا شبع وسَمِن، اصابه البطر وغدا قليل الاهتمام بمن حوله، وكذلك صاحباه نسيا ما قدّم لهما.

---

(١) في الديوان : أأيَّ الناس... والتصحيح مع ضبط الشكل للبيت عن لسان العرب ج ١١ ص ٤٠٨ [طلل].

(٢) قرية قرب المدينة.

(٣) كذا في الديوان. وفي لسان العرب وردت « دِرْعة » (ج ٨ ص ٨٤ [درع]) ووردت « دُرْعَة » (ج ١١ ص ٥٣ [بزل]).

٣ ــ سَمِنَّ، على الربيعِ ، فَهُنَّ ضُبْطٌ، لَهُنَّ لَبـــالِبٌ تحتَ السِّخـالِ.

الربيع : ما تَعتلِفه الدوابُّ من الخُضَر. وربما سُمي الكلأ ربيعاً.
ضُبط : سِمان، قويّات.
لبالب الغنم : جَلَبَتها وصوتُها. **واللبلَبة** : الرقّة على الولد.
السِخال : ولَد الشاة من المَعَز والضأن.

* يصوّر عروة المعزى في أحسن حالاتها : وجدت الكلأ فرعته، سمنت وقويت، رُزقت صغاراً تعطف عليها وتَرِقُّ لها، تُسمع لَبلَبَتها عندما تشمها وتلحسها، هي اذن في قمة البَطَر، ومثلها صاحباه، فلا حاجة بهما الى تذكر أيام الشدة ورفاق الجوع.

٤٠ ــ نبوءة ووعيد

(الوافر)

قيسُ بن زهير من أشراف عبس وسيّدُها في حرب داحس والغبراء. حصل بينه وبين عروةَ جَفاء، فانتقد قيسٌ تصرفاتِ عروة وأقوالَه وعيَّره نسب أمه النهدية، ويبدو أنه أبدى رغبته في رحيل عروة عن دياره.. نظم عروةُ هذه القصيدة يتنبأ فيها لقيس بالخذلان والهزيمة اذا رحل (أي عروة) مع جماعته، لأنهم هم سيفُ عبسٍ الحقيقي وهُم صانعو قوة قيس، بدونهم يغدو تابعاً لكل حقيرٍ ذليل.

١ ــ تَمَنَّـــى غُرْبَتـــي قيسٌ وإنّـــي لَأَخشَى، إنْ طَحَا بِكَ ما تَقُولُ،

طَحَا بِهِ : ذهب به في مذهب بعيد ؛ طحا به ما يقول : اشتط في القول.

٢ ــ وصارَتْ دارُنا شَحْطاً عليكُمْ   وجُفُّ السيفِ، كُنتَ بهِ تَصولُ،

الشَحْط والشَحَط : البُعد.

الجُفّ : والجُفَّة والجَفَّة : جماعة الناس. وجُفّ السيف : جماعة السيف، المحاربون بالسيف.

صال : سطا وتطاول.

* معنى البيتين : عرفتُ أن قيساً تمنّى رحيلي عن دياره، وإني لأخشى، إن تماديت يا قيسُ في الكلام أكثر، أن يصبحَ تركُنا الديار أمراً لا مفرّ منه، فنبعدُ عنك ويبعدُ بالتالي، جماعةُ السيف الذين كانوا ينتضونه بأمرك فتسطو بهم على اعدائك، وتتطاول.

٣ ــ عليكَ السَّلْمُ[1]، فَاسْلَمْهَا، إذا ما   أوَاكَ لهُ مَبيتٌ أو مَقيـــلُ:

السَّلْم : الاستخذاء والانقياد والاستسلام[2].

فاسلمها : قصَد فتسلّمها، أي خذها وتناولها (يعني النبوءة التي يوجهها اليه).

أواك اليه : ضمّك اليه.

مَبيت : منزل الليل

مَقيل : منزل القَيْلولة. والمنزلان كناية عن مكان وَوَقْت صالحَيْن للتفكير الهادئ.

---

(١) كان العرب في الجاهلية يحيّون بـ« أَنعِم صباحاً » و« أَبيتَ اللّعْن » و« سلامٌ عليكم » « هذا في الدعاء بالخير والمدح، وأما الشر والذم فيُقدَّم الضمير، كقوله تعالى : ﴿ إن عليك لعنتي ... عليهم دائرة السوء... ﴾ وكانوا في المراثي يقدّمون ضمير الميت على الدعاء : عليك سلامٌ... (انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٢٨٩) [سلم].

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٣.

* عليك الاستخداء والانقياد. إنها لعنة ــ نبوءة، خذها وتفكّر بها عندما تخلو الى نفسك وقد ضَمَّك سريرُ ليلك أو مَقيل نهارِك.

٤ ــ بِأنْ يَعْيَا القليلُ عليكَ حَتّى تصيرَ له، ويأكُـلَكَ الذَليـلُ،

أعيا عليه : أعجزه (ومثلها عَيَّ عليه)، صعب عليه.
القليل : من الرجال : القصيرُ، الدقيقُ الجُثّة، وهو القُلُّ أيضاً. والقُلُّ من الرجال : الخسيس الدين. وكل ذلك كناية عن الرجُلِ المحتَقَر. **ومثله الذليل**.
صارَ لَهُ : (صار اليه) : مال نحوه، أقبل عليه، انتهى اليه.. (والهاء ضمير يعود الى الذليل).
يأكُلُكَ : يتمكَّنُ منك.

* النبوءة هي : أن قيساً سيضعُفُ نفوذُه حتى تعجزَ سطوتُه عن نَيْلِ أحقرِ الرجال ،ويصير به الأمرُ الى أن يتمكنَ منه أذلّاؤهم.

٥ ــ فَإنَّ الحربَ، لو دارَتْ رَحَاها وفـاضَ العِزُّ واتُّبِـعَ القَليـلُ،

دارت رحى الحرب : قامت الحرب واشتدّت.
فَاضَ : زال ومات. فاض العز : ذهب عزُّك يا قيس.
اتُّبِع القليل : صرت تابعاً للضعفاء الاذلّاء.

* إن أي معركة تخوضونها، بعد تركنا لكم، ستُثبتُ نبوءتي بذهاب عزّك واتّباعِك أحقرَ الناس وأذلَّهم. (وليس بعد اتباع الاذلاء ذل).

٦ ــ أَخذْتَ، وَرَاءنا، بِذِنابِ عَيشٍ اذا ما الشمسُ قامَتْ، لا تزولُ،

ذِناب : جمع ذَنَبٌ. (تقول العرب عمّنْ يرضى بحظٍ ناقص : ركب ذَنَب

البعير، واتّبع ذَنَبَ أمرٍ مُدْبِرٍ يتحسّر على ما فاته[1]).

الذناب : عقب كل شيء. واتّبع ذَنَبَ الأمر : اذا تلهّف على أمرٍ قد مضى[2]

قامت الشمس : ثبتت في مكانها لا تتقدّم.

لا تزول : لا تزلّ عن كبد السماء (لا تتجه نحو المغيب) وذلك كناية عن الاحساس بطول الوقت في اصعب حالاته وهو وقت الهاجرة.

* عندما تصبحون في هذه الحال الذليلة وقد رضيتم بالعيش الحقير، وقعدتم تتحسّرون على أيام كنّا فيها معكم نرفع شأنكم وندعم عزّكم، تجدون ساعتها أن الأيام طويلة والزمن واقف والشمس ثابتة في كبد السماء. (كأنهم يريدون للنهار أن يختفي ليستروا ذُلَّهم بظلام الليل، والنهارُ يصمم على فضحهم بثباته وعدم زواله).

٧ ــ **فَكنتْ كليلةِ الشيبــاءِ، هَمَّتْ ۞ بِمَنْعِ الشَّكْرِ، أَتْأَمَهَا القَبيلُ**[3]

ليلة الشيباء : كانت العرب تقول للبكر، اذا زُفّت الى زوجها فدَخَل بها وافتَرَعها ليلةَ زفافها : باتت بِلَيلةِ شيباء.[4]

الشّكر : فَرج المرأة. وهمت بمنع الشكر : أرادت أن تمنع فرجها عن زوجها.

أتْأَمَها : أفضاها، جامعها.

(١) لسان العرب ج ١ ص ٣٨٩ [ذنب].

(٢) الزمخشري ــ أساس البلاغة ج ١ ص ١٩٨ [ذنب].

(٣) هذا البيت غير وارد في الديوان. وقد وجدناه في لسان العرب منسوباً الى عروة مع البيت السابق (انظر ج ١٢ ص ٦٣ [تأم]) ومعناه يتمم معنى البيت الذي قبله، فأثبتناه.

(٤) لسان العرب ج ١ ص ٥١٣ [شيب].

القبيل : الزوجُ[1] (لعلها بسبب الكتاب الذي يكتب بمناسبة الزواج لأن القبيل هو كل من تقبّل بشيء مقاطعةً وكُتب عليه بذلك الكتاب[2])

* انك، بموقفك الذي يؤدي الى ابتعادنا، تحرمُ نفسَك نعمةً كبيرةً، قد تكون أكبر نعمة في حياتك، وأنت بذلك تُشبه البِكْرَ التي يُقبل عليها زوجها ليفتضَّها، في ليلة زفافها، فتَهُمُّ بمَنع فَرجِها عنه، مُضَيِّعةً بذلك أمنيةَ عُمرها.

٤١ ــ أمل في عطاء الحَكَم

(الوافر)

من مدائح عروة القليلة هذه الأبيات قالها في الحكم بن زِنباغ. والمدحُ فيها يأتي بصورة غير مباشَرة، عن طريق حوار بين الشاعر وزوجه : فهو يعتذر منها عن عزمه على تركها مُتذرّعا بأنَّ السفَر مضمون النتائج هذه المرة لأنه يتبع دليلا واضحاً ،وليس انطلاقاً عشوائياً. والزوجة، التي لم تلمه في السابق، تلومه بدلّ وغنج، لكنها توافق، مؤملة بالشبع، بعد القلة والاكتفاء بأكل الخبز وشرب الماء.[3]

---

(١) المنجد [قبل].

(٢) اساس البلاغة ج ٢ ص ١٤٩ [قبل].

(٣) يعتمد عروة، في المدح، قاعدتين معروفتين لاستدرار كرم الممدوح : الأولى وصف مشقات السير ليكون الثواب بمقدارها. والثانية ذكر الآمال الكبيرة المعقودة على زيارة الممدوح، وترقب النساء والأطفال لما يمكن أن يجود به، ليكون العطاء بمستوى هذه الآمال.

١ ـ إلى حَكَمٍ تَناجَلَ مَنْسِماهــا   حَصَى المَعزاءِ مِنْ كَنَفَيْ حَقيلِ

نَجَل الشيء : رمى به. والناقة تنجل الحصى مناجلُها تجلاً : ترمي به وتدفعه. **تناجَلَ منسماها الحصى** : تنافسا في رمي الحصى، أو تراميا بها.
المَنسِم : طرف خف البعير والنعامة والفيل والحافز هو للناقة كالظفر للانسان.
الكنف : الناحية. وناحيتا كل شيء كَنَفاه.
المعزاء : المكان الكثير الحصى الصلب.
حَقيل : اسم موضع. وقيل إنه جبل من ذي الأبارق.

* يذكر عروة أنه يقصد الحَكَم على ظهر ناقة سريعة تقذِف مناسِمُها الحصى في سيرها على طريقٍ أرضُه صُلبة كثيرٌ حصاها، تَمُرُّ بجانبَي حقيل.

٢ ـ وَلَمْ أسْألْكِ شيئاً قَبلَ هاتي،[1]   ولكنّي علــى أثَــرِ الدليـــلِ

قبل هاتي : قبل هذه المسألة. والمسألة هي أن يسافر الى الحكم. والخطاب موجّه (في اعتقادنا) الى زوجة عروة.
على أثر الدليل : أتبعُ أثراً يوصل الى الحكم. (وقد يكون الدليل انساناً وصفَه لعروة بالكرم، أو يكون الطريقَ نفسَها التي غدت واضحة لكثرة ما سَلَكها، الى الحكم، طالبو المعروف منه.)

* يخاطب زوجته قائلاً : ان طلبي هذا هو أول طلب اتقدم به اليك، وانما أقوم بذلك لأني واثق مما أفعل، أتبع طريقاً واضحة لا يضل سالكها.

(١) في امالي القالي : قبل هذا (ج ٣ ـ الذيل ـ ص ١٨).

٣ ـ وكـانَتْ لا تلـومُ فَأرَّقَتـي مَلامَتُهـا، عَلَى دَلّ جَميـلِ

الدَّلّ : الدلال والغنج.

* يبدو أن حديث عروة يجري مع زوجة غير سلمى المشهورة بلومها الدائم له. هذه الزوجة لمْ تَلُمْه في السابق على أسفاره، وهي تلومه الآن لوماً ممزوجاً بالغُنج المُحبَّب، فيعجب لملامتها ويسهر أرِقاً جفاه النوم.

٤ ـ وَآسَتْ نَفْسَها، وَطَوَتْ حَشَاهـا على الماءِ القَـراحِ مع المليلِ

آست نفسها : تعزّت، تصبّرت.
طوت حشاها على... : تركت بطنها خاوياً الا من ...
الماء القَراح : الماء الصافي، الماء الذي يُشرب إثر الطعام.
المليل : الخبز الذي يُنضج بدفنه في الرمل الحار.

* هذه الزوجة اللائمة لم تَجِدْ أُذُناً صاغية فأقنعت نفسها بضرورة سفره، وتعزّت بأنها قد تشبعُ لدى عودة زوجها، وهي التي تنامُ خاوية البطن إلّا من خُبز المَلّة والماء القَرَاح.

٤٢ ـ المال في خدمة الحقوق

(الطويل)

يتوجّه عروة مرة أخرى الى زوجته يقنعها بضرورة رحيله في طلب الغنى، فالغنى طريق الى العزّ والجاه والقيام بواجب الجماعة وتَحمُّلِ غُرْم المخطئين ودِياتِ القتلى... وما لا يُصدِّقهُ عروةُ، ولا يطيقُ تصوّرَه، أن تطرأ مُشكلةٌ يكون حَلُّها بالمعروف والحمالة[1]،

(١) الحَمَالة : الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم.

فلا يكون هو من المُشاركين الحاملِين. أليس هذا الدورُ لعروةَ خُلِقَ ولأمثال عروة ؟ فإذا لم يستطعْ تأديتَه لم يكن لِحَياتِهِ معنىً، والموتُ أسترُ له.

١ ــ دعيني أُطَوِّفْ في البلادِ لَعَلَّني أُفيدُ غِنىً، فيه لِذِي الحَقِّ مَحْمِلُ[1]

طَوَّف : أكثر الطواف. أي التنقل أو الدوران.

يُفيد غنىً : يستفيد غنىً، أي يحصل عليه.

الحق : الحق في المعروف والمروءة والقِرى والحَمالَة...

ذو الحق هو المستفيد من أصحاب المروءة والمعروف...

المَحمِل : المعتَمَد.

* أتركيني أتنقَّل في البلاد الى أن أنال من الغنى ما يُمكِّنني الاعتماد عليه لتأدية واجبات المروءة والضيافة والكرَم وتحمّل الديات عمن يحتاجه.

٢ ــ أَليسَ عَظِيماً أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ، وليس علينا، في الحقوقِ ، مُعَوَّلُ؟

تُلِمَّ مُلِمَّةٌ : تنزل نازلةٌ شديدةٌ من شدائد الدهر.

مُعَوَّل : مصدر من عوّل (عليه) أي اعتمد أو اتكل (عليه).

* انه لشيءٌ فظيعٌ ومُستنكَر أن تَحِلَّ مُصيبةٌ بجماعتنا ولا يكون لنا دورٌ في دفعها عنهم !

٣ ــ فَإِنْ نحنُ لم نملكْ دِفاعاً بحادثٍ، تُلِمُّ به الأيامُ، فالموتُ أَجملُ

دفع به : دَفَعَهُ وردّه.

(١) في شرح التبريزي : محمَلُ. ج ٣ ص ٩٧.

الأيام : الشدائد.

• إننا، اذا وقع حادثٌ، ولم نستطع دفعاً له أو تطويقاً، بأموالنا، فَقَدْنا سبَبَ وجودنا ومِحوَر سيادتنا، وكان الموتُ أفضلَ لنا.

٤٣ ــ تَحَدٍّ

(الطويل)

أغار عروةُ على مُزينة[1] فأصاب منهم امرأة من كِنانة ناكحاً فاستاقها ورجع.[2] ويبدو أن سبي النساء، بقدر ما يكون مذلةً لقبيلتهن، يكون مجالَ فخر للغاصبين. وقد بَلَغَت نشوة النصر، بعروة أن يتحدّى أعرقَ القبائل من مضر وربيعة. يقول :

١ ــ تَبَغَّ عَدِيّاً[3] حيثُ حَلَّتْ دِيارُهَا، وَأبناءَ عَوْفٍ، في القرون الاوائِلِ،

تبغّي : طَلَب وتبغّ : أُطلب.

عدي : بنو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النُضر

بنو عوف : بطن ينتسبون الى عَوف بن مُحَلِّم بن ذُهل بن شيبان

في القرون الأوائل : الذين كانوا معروفين في الأيام الغابرة.

---

(١) مزينة : بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر. وحسب ابن برّي : مزينة بنت كلب بن وبرة. وهي أم عثمان **وأوس** بن عمرو بن أُدّ بن طابخة... (لسان العرب ج ١٣ ص ٤٠٧ [مزن]).

(٢) الأغاني ج ٣ ص ٧٢.

(٣) في الديوان : تبغّ عداءً والتصحيح عن الأغاني ج ٣ ص ٧٢.

* يَحُثّ عروةُ نفسه على ملاحقة عديّ وطلبِها اينما حَلَّت وعلى طلبِ بني عَوفٍ ايضاً وهم المشهورون في الأيام الغابرة[1].

٢ ـ فَإلّا أَنَلْ أوساً[2]، فإنّي حَسْبُهَا، بِمُنبَطِحِ الأَدْغالِ[3] من ذي السلائلِ

أوس : نرجّح أنه أوس بن عمرو بن أُدّ من مزينة.
اني حسبُها : إني كافيها، أي نالت كِفايتها مني.
مُنبطِح : اسم مكان من انبطَحَ، بمعنى عَرُض واتّسع.
الأدغال : المواضع الكثيفة الشجر. وأدغال الأرض : رقتها وبطونها والوَطاء منها. وهي أيضاً **الوديان والجبال**...
ومنبطح الأدغال : المكان العريض المتسع من الوادي (الذي هو ذو السلائل) (ولعله مكان غارة عروة)
ذو السلائل : وادٍ بين الفُرع[4] والمدينة.

* أما أوس، فإن لم أَشْفِ غليلي منها، فقد نالت كِفايَتَها من أعمالي حين أَغَرتُ عليها بمنبِطِح الأدغال، حيث يتسع الوادي ذو السلائل.

---

(١) بنو عوف مشهورون بالمنعة. فمن امثالهم في الرجل العزيز المنيع الذي يَعِزُّ به الذليل ويَذِلُّ به العزيز قولهم : « لا حُرَّ بوادي عوف »، أي كل من صار بناحيته خضَع له. والمثل للمنذر بن ماء السماء قاله في عوف بن مُحَلّم وذلك أن المنذر كان يطلب زهير بن أمية الشيباني بذَحْل، فمنعه عوف بن مُحَلِّم وأبى أن يسلِّمه. فعندها قال المنذر : لا حُرَّ بوادي عوف... لسان العرب ج ٩ ص ٢٦٠.

(٢) نرى أن أوساً هي غير الأوس التي سكنت والخزرج مدينةَ يثرب. لأن عروة يتناول هنا قبائل نزار انطلاقاً من أذيّتِه مُزينةَ، بينما الأوس والخزرج من قبائل عرب الجنوب.

(٣) في الديوان : بمنبطِح الأوعال. والتصحيح عن الأغاني ج ٣ ص ٧٢.

(٤) الفُرع : ماء بعينه، وموضع بين مكة والمدينة (لسان العرب ج ٨ ص ٢٥١ [فرع]).

٤٤ ــ صورة عروة بريشته

(الطويل)

١ ــ بُنيتُ عَلَى خَلْقِ الرجالِ بِأَعظُمٍ   خِفَافٍ تَثَنّى، تَحتَهُنَّ، المَفَاصِلُ،

الخَلق : الخِلقة. صورة الانسان التي خُلق عليها. وخَلْق الرجال : صورة الرجل كما هي مرسومَةٌ في الأذهان : عمادُها القوة وعِظَم الجسم.

الاعظم الخفاف : كناية عن خفة الحركة.

تثَنّي المفاصل : كناية عن اللين.

* صورة عروة الجسدية، كما يرسمها لنفسه، صورة الرجل العظيم الجسم، القوي، الخفيف الحركة الليّن المفاصل : قوة وخفة ولين.

٢ ــ وَقَلْبٍ جلا عنهُ الشكوكَ فإنْ تَشَأْ،   يُخَبِّرْكَ، ظَهْرَ الغَيبِ، ما أنتَ فاعِلُ.

جَلا : كَشَفَ، أوضَحَ

الشكوك : التردد وغموض الرؤيا

جلا عنه الشكوك : تخلص من التردد فغدا واضحَ الرؤيا، واثقاً بنفسه.

يخبّرك... فاعل : كناية عن صدق الفراسة التي تحدد اعمال الانسان وتصرفاته من خلال حكمها على طبيعته.

ظهر الغيب : المستقبل المجهول.

* أما صورةُ عروةَ الداخلية فيُلخِّصها بالبصيرة والفطنةِ والفِراسة، فهو يرى ما يراه بوضوح، يقول ما يقوله بثقة، يحكُم على الناس بنظرة ويعرف، بفراسته ما يُتوقعُ منهم في المستقبل الغامض.

ملحق

٤٥ ــ ميراث عروة[1]

(الطويل)

يحاول عروة أن يقلّل من قيمة ثروته في عين من يطمع بإرثه. ولذا فهو يحدّد ثروته الفعلية بأدوات الحرب. ولا عجب في ذلك لأن هذه الأدوات كانت سبيله الى جني الثروات الكثيرة التي نالها. ولعلّ عروة أراد أن يخيّر وارثه بين أن يكون قَعوداً ميّالا الى الترفّه، وفي هذه الحال تصيبه خيبة الأمل، وبين أن يكون بعيد الهمّة، قويّ العزيمة فيجد في مخلّفات عروة قيمة رأس المال القابل للاستثمار...

١ ــ وَذِي أَمَلٍ[2] يرجو تُراثي، وإنَّ ما يَصيرُ لَهُ منـهُ غَداً لقَليـلُ،

تراثي : إرثي.

* وربّ وارثٍ يترقّب ميراثي ،سيصاب بخيبة الأمل عندما يطّلع على ما أخلّفه، وهو ليس بالأمر الكثير.

٢ ــ وَمَا لِيَ مالٌ غيرُ دِرعٍ ومِغْفَرٍ وَأَبيضَ مِنْ ماءِ الحديدِ صقيلُ،[3]

---

(١) هذه الأبيات غير موجودة في الديوان. انما أوردها ابن رشيق في « العمدة » (ج ١ ص ٣٦) وذكرها الجرجاني في « الوساطة » (ص ٢٤٢) وذكرها العكبري في شرحه لديوان المتنبي (ج ٢ ص ٢٧١). أما أبو تمام فنسبها الى الأبيض العنسي مع ابيات أخرى (الحماسة ج ١ ص ١٧٨).

(٢) في العمدة : إن امْرَأً يرجو تراثي...

(٣) يعلق ابن رشيق على رفع « صقيل » وهي نعت لأبيض وموضعها الخفض، فيقول :

المغفر : زرد يُنسَج من الدروع على قدر الرأس يُلبَس تحت القلنسوة. أو هو حِلَق يجعلها الرجل أسفل البيضة تُسبَغ على العنقَ فتقيه. (فتكون من غَفَر : سَتَر).
الأبيض الصقيل : هو السيف المصقول.

٣ ــ وَأَسْمَرُ، خَطِّيُّ القَنَاةِ، مُثَقَّفٌ، وَأَجْرَدُ عُرْيانُ السَّرَاةِ، طَوِيلُ.

الأسمر : الرمح تؤخذ قناته وقد أُدركت في غايتها ونضجت ويبست، فإذا قُوّمت خرجت سمراء.
الخطّي : المنسوب الى الخط، وهو مرفأ في البحرين.
مثقّف : مقوّم.
الأجرد : الفرس الأجرد : القصير الشعر.
السراة : الظهر.

* في البيتين يعدّد عروة تركته : الدرع وقلنسوة الزَرْد، والسيف المصقول، والرمح المثقف والفرس الطويل القصير الشعر.

« هكذا أنشدوه بالإقواء. ويجوز أن يُرفع على القطع والإضمار، كأنه قال : وهو صقيل، أو قال : ولي أبيض من ماء الحديد، يعني سيفه.

ويمكن أن نجد تعليلاً آخر انطلاقاً من أن عروة هدف في أبياته الى تقليص الأمل بالحصول على مال في تركته، ولكنه لم يهدف الى تقليص عدد أدوات الحرب. ولذلك يمكن ألا تكون « ما » في أول البيت للنفي وانما « مالي » أي المال الذي عندي. ولا تكون « غير » للحصر وانما للتعدد كما يقال في الاستعمال الشائع « أكثر من درع » ويكون في عبارة « مالي مال » نوع من التعجب الساخر : ومالي مالٌ وأي مال ! يأتي بعد ذلك التعريف : هو عدة دروع وقلنسوة من الزرد وسيف من حديد مصقول. (وبذلك يكون موضع « غيرُ » الرفع وكذلك موضع « أبيض » و« أسمر » و« عريان » وكلها معطوفة على « غير »).

٤٦ — ميراث عروة (ايضاً)[1]

(الطويل)

في هذين البيتين كذلك يقطع عروة أمل الوارث بالحصول على المال ،ويؤكد ان ارثه ليس الا مجموعة من ادوات الحرب.

١ — متَى ما يَجِيءْ، يوماً الى المالِ، وارِثِي يَجِدْ جُمْعَ كَفٍّ، غيرِ ملأى ولا صِفرِ:

جمع الكف : ما تحويه اليد

صفر : فارغة.

* اذا جاء وارثي يحصي تركتي يجد ما تحويه يدي ليس كثيراً، لكنه ليس بالقليل.

٢ — يَجِدْ فَرَساً مثلَ القناةِ وصارماً حُساماً، اذا ما هُزَّ، لم يَرْضَ بالهَبْرِ.

مثل القناة : مثل الرمح لطول فيه وقامة ممشوقة.

الصارم : القاطع وهو نعت لحسام.

الحسام : السيف.

الهبر : اللحم، وهو أيضاً الضرب الذي يقطع اللحم.

* الإرث القليل الكبير القيمة هو: فرس ممشوق وسيف قاطع لا يكتفي باللحم بل يقطع العظم أيضاً[2].

---

(١) البيتان غير واردين في الديوان وجدناهمافي « المفصل في تاريخ العرب » (ج ٩ ص ٦٢٧) نقلهما جواد علي عن كتاب « القصاص » من نوادر المخطوطات.

(٢) من المعروف أن عروة كان اذا اشتكى اليه شاب الفقر اعطاه فرساً ورمحاً ودفعه الى الاستغناء. (راجع ص ٢٥ من المقدمة هامش ١).

٤٧ ـــ الوصل لا يدوم[1]

(الوافر)

يقف عروةُ بديار أم عمرو فيستعيد ذكرياتِ الماضي، ويذرف الدموعَ الغالية ثم يسجّل نقمته على الزمن الغادر...

١ ـــ ألم تَعْرِفْ منازلَ أُمِّ عمرٍو، بِمُنْعَرِجِ النواصِف مِنْ أَبانِ؟

انعَرَج : مال ومنعرِج : اسم مكان منه. ومنعرج الطريق : حيث يميل الطريق أو ينعطف.

النواصف : أماكن بين الغِلظ واللين، وقيل : هي رحاب من الأرض.

أبان[2] : جبل من اثنين في البادية، أحدهما أبيض والثاني أسود، بينهما نهر يُقال له الرُّمَّة.

* يسائل عروة نفسه معاتباً : ألا ترى أمامك منازل أم عمرو حيث تنعطف الطريق المارة بالأماكن المتوسطة بين الغلظ واللين من جبل أبان ؟

٢ ـــ وَقَفْتُ بها فَفَاضَ الدمْعُ مِنِّي، كَمُنْحَدِرٍ مِنَ النَظْمِ الجُمَانِ

المنحدِر : المتساقط (دلالة على أن النظم الذي يشبِّه به قد انفرط عقدُه).

النَظْم : التأليف، جمع اللؤلؤ في سلك، ما **يُنظَم من لؤلؤ وخرزٍ وغيرهما.**

(١) هذه الابيات غير مذكورة في الديوان. وقد نقلها الدكتور ابراهيم شحادة الخواجه عن مخطوطة منتهى الطلب من أشعار العرب ص ٢٤٩. (راجع ابراهيم الخواجه ـــ عروة بن الورد ـــ ص ١٩١).

(٢) موقعه غربي القصيم. وبين الجبلين ثلاثة أميال.

الجُمان[1] : اللؤلؤ الصغار، أو هو حَبٌّ يُتخَذ من الفضة على أشكال اللؤلؤ.

* بعد لحظَاتِ التردد والتساؤل وعتاب الذات، كان الوقوفُ مع الذكريات. وهياجُ الأشجان ملأ عيني عروة بالدموع فراحت تتساقط متسارعة كأنها حباتُ اللؤلؤِ الصغار المنظومة تتدحرج متدافعةً وقد انفرط عقدُها.

٣ ــ وَلكنْ، لَنْ يُلَبِّثَ وصلُ حَيٍّ، وَجِدَّةُ وَجهِــهِ مُرُّ الزَّمَــانِ..

لَبَّثَ : أقام.

وجه كل شيء : مستقبله.

* ينتهي الأمر بعروة الى حكمة : كلُّ وصل الى فراق، فمن غير الطبيعي أن يدوم الوصل لانسان طالما أن مستقبله يصنعه الزمان المر، وهذا الزمان يطعِّم بمصائبه كلَّ حدثٍ جديد.

(١) لفظة فارسية معرَّبة.

الفهارس

١ ـــ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

٢ ـــ فهرس الأحاديث الشريفة

٣ ــ فهرس الاعلام

ــ ن ــ

ــ هـ ــ

ــ و ــ

ــ ي ــ

٤ ـ فهرس الشواهد الشعرية

المطلع	الشاعر	عدد الأبيات	القافية	البحر	الصفحة
روي الباء					
وكلهمُ قد نال	بشر بن المغيرة	١	صاحبُهْ	الطويل	٩٨
روي التاء					
فقلتُ لهُ	عروة بن الورد	١	تموتُ	الوافر	٦٨
ورُبّتَ شبعة	عروة بن الورد	١	هتيتُ	الوافر	٦٢
روي الحاء					
فرغمُ العيش	عروة بن الورد	١	الرواحُ	الوافر	٦٧
روي الدال					
وإذا افتقرتُ	عروة بن الورد	١	مكدودُ	الكامل	٦٣
ما بالثراءِ	عروة بن الورد	١	يسودُ	الكامل	٦٦
اني امرؤٌ	عروة بن الورد	١	واحدُ	الطويل	٤١
وهل أنا	دريد بن الصمة	١	أرشُدِ	الطويل	١٢
أذنبٌ علينا	قيس بن زهير	١	بيدبدِ	الطويل	٣٠
روي الراء					
دعيني للغِنى	عروة بن الورد	١	الفقيرُ	الوافر	٤١
وإني لأستحيي	الأحيمر السعدي	٢	بعيرُ	الطويل	١٧
غنينا زماناً	عروة بن الورد	٢	الدهرُ	الطويل	٢١
وغبراءَ	عروة بن الورد	٢	مغرَّرُ	الطويل	٧٧
تبكي على لبنى	قيس بن ذُريح	١	أقدرُ	الطويل	١٣٦

٥ ـ فهرس قصائد الديوان

٦ — فهرس الأماكن،
البلدان، الأيام، القبائل والجماعات والأسواق

ـــ غ ـــ

ـــ ف ـــ

ـــ ق ـــ

ـــ ك ـــ

ـــ ل ـــ

ـــ م ـــ

— ن —

— هـ —

— ي —

٧ ـ فهرس الفوائد اللغوية

٨ ــ فهرس حضاري لغوي، اجتماعي

(أمثال، حكم، جمل وتعابير اصطلاحية، شعارات، رموز...)

أ ــ الأمثال

ب ــ الشعارات والرموز

(بعضها خاص بعروة)

ج ــ جمل وتعابير اصطلاحية

٩ ــ فهرس معالم الحياة

أولاً : الانسان، جسمه، حركاته، مأكله، مشربه، ملبسه وما يتبع ذلك.

ثانياً : الحرب وعدّتها وتوابعها، الأدوات الأخرى

ثالثاً : النزول، الترحّل، المساكن، التجمّعات، الحياة العائليـة والاجتماعية

رابعاً : الصفات والرموز

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

خامساً : الأرض، السماء، الطبيعة، الأماكن، الزمان..

سادساً : الحيوان وما يتعلق به

سابعاً : النبات

١٠ ـ فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

ـ **القرآن الكريم** ـ

ـ **آثار البلاد وأخبار العباد.** زكريا بن محمد بن محمود **القزويني**، صادر، بيروت، ١٩٦٠.

ـ **الأغاني.** أبو الفرج **الأصفهاني**، الثقافة، بيروت، ١٩٥٧.

ـ **الأمالي.** أبو علي، اسماعيل بن القاسم الغالي **البغدادي**، دار الكتب، مصر.

ـ **بلوغ الأرب.** شكري **الألوسي**، المطبعة الرحمانية التجارية الكبرى، ١٩٥٦.

ـ **البيان والتبيين.** أبو عثمان عمرو بن بحر **الجاحظ**. مكتبة الخانجي ـ مصر.

ـ **تاريخ اليعقوبي.** أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب **بن واضح**، صادر، بيروت.

ـ **خزانة الأدب.** عبد القادر بن عمر **البغدادي**، مكتبة حامد عجان، حلب.

ـ **سمط اللآلي.** أبو عبيد، عبدالله بن عبد العزيز بن محمد **البكري**، لجنة التأليف، مصر، ١٩٣٦.

ـ **شرح ديوان الحماسة.** أبو علي احمد بن محمد بن الحسن **المرزوقي**، لجنة التأليف، مصر، ١٩٦٧.

ـ **الشعر والشعراء**. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة **الدينوري**، دار التراث العربي، مصر، ١٩٧٧.

ـ **العقد الفريد**. أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه **الأندلسي**، لجنة التأليف، مصر، ١٩٤٨.

ـ **عيون الأخبار**. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة **الدينوري**، دار الكتب، مصر، ١٩٢٥.

ـ **فقه اللغة**. أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل **الثعالبي**، المطبعة العربية، مصر، ١٣١٧ هـ.

ـ **فحولة الشعراء**. ابو سعيد، عبد الملك بن قريب **الأصمعي**، المطبعة المنيرية، مصر، ١٩٥٣.

ـ **الكامل في التاريخ**. أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، المعروف بعز الدين **بن الأثير**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

ـ **الكامل في اللغة**. أبو العباس محمد بن يزيد **المبرّد**، نهضة مصر، مصر.

ـ **لامية العرب**. اسد بن جابر **الشنفرى**، شرح **الزمخشري** وشرح **المبرد**، الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠٠ هـ.

ـ **اللباب في تهذيب الأنساب**. عز الدين بن الأثير **الجزري**، دار صادر، بيروت.

ـ **مجمع الأمثال**. أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري **الميداني**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠.

ـ **مروج الذهب**. أبو الحسن، علي بن الحسين **المسعودي**، الأندلس، بيروت، ١٩٧٣.

ـ **المقدمة**. عبد الرحمن بن محمد بن **خلدون**، تحقيق وشرح علي **عبد الواحد وافي**، لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٧.

ثانياً : الدواوين والمجموعات الشعرية

ـ **أراجيز العرب**. محمد توفيق البكري **الصديق**، الطبعة الأولى، ١٣١٢ هـ.

ـ **جمهرة أشعار العرب**. أبو زيد محمد بن الخطاب **القرشي**، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٢٦.
ـ **ديوان الحماسة**. أبو تمام حبيب بن أوس **الطائي**، (شرح مختصر عن التبريزي وغيره)، المكتبة الأزهرية، مصر، ١٩٢٧.
ـ **ديوان المراقسة (ملحق بديوان امرئ القيس)**. حسن **السندوبي**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٥٩.
ـ **ديوان المعاني**. ابو هلال **العسكري**، مكتبة القدسي، مصر، ١٣٥٢ هـ.
ـ **شعراء النصرانية قبل الاسلام**. لويس **شيخو**، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٢.
ـ **المجاني الحديثة**. فؤاد افرام **البستاني**، منشورات الآداب الشرقية، بيروت، ١٩٤٦.

ثالثاً : المعاجم

ـ **أساس البلاغة**. أبو القاسم محمد بن عمر **الزمخشري**، المطبعة الوهبية، ١٨٨٢.
ـ **الأضداد في اللغة**. محمد بن القاسم بن بشار **الأنباري**، المطبعة الحسينية، مصر، ١٣٢٥ هـ.
ـ **تاج العروس**. السيد محمد مرتضى الحسيني **الزبيدي**، دار الجيل، الكويت، ١٩٦٥ـ١٩٨٥.
ـ **الفروق اللغوية**. أبو هلال **العسكري**، مكتبة القدسي، مصر، ١٣٥٣ هـ.
ـ **لسان العرب**. أبو الفضل جمال الدين بن **منظور**، صادر، بيروت.
ـ **متن اللغة**. الشيخ أحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨.
ـ **معجم مقاييس اللغة**. أبو الحسين أحمد بن فارس بن **زكريا**، دار الكتب العلمية، ايران.

رابعاً : المراجع

ـ **شرح ديوان المتنبي**. أبو البقاء **العكبري**، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١.
ـ **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**. يوسف **خليف**، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩.

ـــ **الشعراء الفرسان.** بطرس **البستاني**، دار المكشوف.
ـــ **عروة بن الورد.** ابراهيم شحادة **الخواجه**، المنشأة الشعبية، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٨١.
ـــ **قصة الأدب في العالم.** أحمد أمين وزكي نجيب **محمود**، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٥٥.
ـــ **معجم الشعراء في لسان العرب.** ياسين **الأيوبي**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.
ـــ **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام.** جواد **علي**، دار العلم للملايين ـــ مكتبة النهضة، بيروت ـــ بغداد، ١٩٧٦.
ـــ **مهد العرب.** عبد الوهاب **عزام**، دار المعارف، مصر، ١٩٤٦.
ـــ **أثر الصحراء في الشعر الجاهلي.** سعدي **ضناوي**، أطروحة أعدّت لنيل شهادة الكفاءة في كلية التربية ـــ الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥.

١١ ـ فهرس الموضوعات

فهرس الفهارس

